بسم الله الرحمن الرحيم

شناسنامه

الإمارة المزيدية الأسديّة فى الحلّة

دراسة فى أحوالها السياسية والحضارية

تأليف

الدكتور عبدالجبار ناجى

١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م

فهرس الموضوعات

الطبعة الثانية ١١

الفصل الأول ١٣

خصائص العصر السياسية ومصادر معرفتنا عن المزيديين ١٣
مصادر معرفتنا عن الإمارة المزيدية ٢٨

الفصل الثانى ٥١

بنو مزيد (بنو أسد) والقبائل العربية فى الفرات الأوسط ٥١
توزيع جغرافى للقبائل العربية ٥١
بنو شيبان ٥٣
بنو نمير ٥٥
بنو عقيل ٥٩
بنو خفاجة ٦٣
بنو عبادة ٧٠
بنو المنتفق ٧٣
بنو عبس ٧٥
بنو غزيّة ٧٧

بنو أسد ٧٩
الفصل الثالث..... ٨٥
أمراء بنى مزيد ٨٥
علاقة المزيديين ببنى دبيس ٩٦
صدقة بن منصور ١٢١
توسعاته ١٣٦
ونسلمه حتى نضرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ ١٤٩
فترة دبيس بن صدقة ١٥٥
نهاية المزيديين ١٨٦
الفصل الرابع..... ١٩٧
بُنية جيش بنى مزيد ١٩٧
الأعراب ١٩٧
الأكراد ٢٠٥
الأكراد وبنو مزيد ٢٠٩
عناصر أخرى ٢١٤
الأساليب الحربية والأسلحة ٢١٥
الفصل الخامس..... ٢١٩
الإدارة فى عهد المزيديين ٢١٩
سلطات وواجبات المزيديين ٢٢٥
الفصل السادس..... ٢٥٥
أعمال المزيديين الحضرية والعمرانية فى منطقة الفرات الأوسط ٢٥٥

١ـ الناحية العمرانية فى المنطقة ٢٥٥
بابل ٢٥٥
سورا ٢٦٠
قصر ابن هبيرة ٢٦٣
النيل ٢٦٧
الجامعين ٢٧١
الحلّة ٢٧٦
الأهمية الإقتصادية للمنطقة ٢٨٣
أنهار المنطقة ٢٨٤
الطرق التجارية ـ التجارة ٢٨٦
الزراعة ٢٨٩
ملحق قائمة ابن خرداذبة وقُدامة بن جعفر ٢٩٥
الصناعة ٢٩٦

الفصل السابع ٣٠١

التشيّع فى حلّة بنى مزيد ٣٠١
المبحث الأوّل: دور الحلّة ومنطقتها فى حركة التشيّع ٣٠١
تقسيمات الحلّة وتوابعها ٣٠٩
بنو مزيد والتشيّع ٣١٢
المبحث الثانى: الحياة الفكريّة فى الحلّة المزيديّة ٣٢١
أولاً: الشعر والشعراء ٣٢١

المصادر ٣٦١

المخطوطات ٣٦٢

المصادر المُحقّقة والمنشورة ٣٦٥

الكتب الحديثة والأبحاث.....٣٨٣
المجلات العربية المستعملة فى الكتاب ٣٨٧
الكتب الأجنبية.....٣٨٩
البحوث الأجنبية.....٣٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ}

سورة آل عمران ـ آية ١٤٠

الطبعة الثانية

كان عدد نسخ الطبعة الأولى من الإمارة المزيدية محدوداً جداً بواقع خمسمائة نسخة فقط، لذلک، ومنذئذٍ سرعت فى رصد أى معلوماتٍ جديدة تتعلق بالموضوع والحمد لله فقد تجمعت لدى معلوماتٍ إضافية قيّمة. غير أن الظروف التعيسة التى رافقت الأحتلال الأجنبى جاءت بنتائج سلبية كثيرة أهمها نجاح الإحتلال فى زرع الطائفية المريرة فى مجتمعٍ كان قبل مجيئهم متآلف فأدى ذلک الى عمليات كثيرة أشدها التهجير القسرى للعوائل من مناطق سكناهم وبيوتهم التى أمتلكوها بعد جهدٍ جهيد من أرزاقهم المحدودة أصلاً. ولسوء الحظ كنت وأهلى أحد هؤلاء المهجرين الذين تركوا بيوتهم ومقتنياتهم ومكتباتهم فارّين منها بأرواحهم ليستأجروا إن كانوا محظوظين بيوتاً للسكن فقط، فليتصور هذا العالم كم هى معاناتنا نحن الأساتذة. لهذا فقد تركت جميع ما أملک وما جهدت نفسى فى بنائه ألا وهو المكتبة وما جمعته من المعلومات فى البيت الذى هُجّرت منه، ياللأسف. فهذه صورة مأسوية واحدة لما جاء به الإحتلال (الديمقراطى) الذى جىء به الى العراق، وليتصور القارئ

الكريم كم هى معاناة من يفكر ويبحث فى هذا البلد.

لهذا السبب وغيره فقد أضطررت على الإبقاء على أصل الطبعة الأولى من الكتاب ما خلا تعديلاتٍ أجريتها على العنوان وعلى الفصل الأول منه، وقد أضفت إليه فصلاً عن الحياة الفكرية وعن التشيّع فى الحلّة ومنطقتها أبان عهد بنى مزيد.شكرى الى ولدى الاستاذ السيد حيدر الياسرى على مساعدته القيمة فى الحاسوب والانترنيت جزاه الله خير الجزاء.

أدعو الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى عملى هذا، والله الموفق.

المؤلف

أ.د. عبدالجبار ناجى

الفصل الأول

خصائص العصر السياسية ومصادر معرفتنا عن المزيديين

الحدود الزمانية للإمارة المزيدية تمتد من حوالى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى الى منتصف القرن السادس الهجرى/العاشر الميلادى، الثالث عشر للميلاد. أما الحدود المكانية فهى منطقة الفرات الأوسط بدرجة أساسية وحدود الفرات الأوسط فى الحقبة الإسلامية واسعة لأسباب سياسية لا جغرافية. فكانت تضم كل من عانة والأنبار على نهر الفرات شمالاً الى بطائح الكوفة جنوباً، ومن إقليم كسكر بمدينته المشهورة النيل شرقاً الى الكوفة غرباً والى بطائح الحويزة جنوباً ونهر الملك شمالاً. فضلاً عن سعة المنطقة جغرافياً فإنها أشتملت على عدّة أوجه تضاريسية مهمة من أنهار وتفرعات نهرية من نهر الفرات الى أنهار وتفرعات من نهر دجلة، ومن أجمات ومستنقعات تجمّع فيها القصب والأحراش الى تلال غير مرتفعة وأراض مستوية واسعة ولهم قرى وبلدان ومدن رئيسة. وهى منطقة ذات أهمية إقتصادية وتجارية كبيرة فطريق حجيج العراق القادم من الشرق عبر طريق الحرير الى بغداد ثم يتوجه الى الجامعين (وبعدئذٍ الحلّة) الى الكوفة حيث يتجمع الحُجّاج قبل رحيلهم الى مكة. وهذا الطريق بقدر ما هو فاعل ونشيط فى موسم الحج فإنه حيوى أيضاً فى نقل التجارات والبضائع من هذه المنطقة الغنية فى زراعة الحبوب والخضروات والفواكه الى بغداد والعكس، فإن المنطقة بحدود الرقعة القريبة من بغداد تمثل ريف بغداد الذى يدعم العاصمة إقتصادياً. يضاف الى ذلك شهرة المنطقة نفسها ومدنها الكوفة والحلّة وريفها والنيل وقصر

ابن هبيرة ونهر الملك فى النشاط الزراعى. فوجود مساحاتٍ واسعة من الأراضى الصالحة مهمة للكلأ والرعى، ووجود الآجمات والمستنقعات والأهوار التى تميز بها إقليم كسكر ونهر الكوفة والنيل وغيرها يعدّ مورداً أساسياً فى زراعة الرز وقصب السكر والقطن، كما أنه يعد مورداً مشهوراً فى تزويد الحواضر بالدواجن ومشتقاتها والمواشى والأسماك والطيور وغير ذلک من إنتاجات حيوانية وفى النقل والمواصلات.

والمنطقة ذات أهمية إستراتيجية منذ أبعد الفترات التاريخية وأنها حلقة الوصل البرية والنهرية بين جنوب العراق والخليج الى الآفاق وبين الشرق حيث بلدان المشرق الإسلامى. والفرات الأوسط شهد عبر التاريخ القديم تأسيس ممالک ودول مدن معروفة، وفى الفترة التى سبقت الإسلام أيضاً نظير مملكة ميسان ودولة الحيرة. وفوق هذا وذاک فإن الله تعالى حباها بنعمة ومثابة لا تضاهى بوجود مدينتى النجف وكربلاء وبأنتشار المزارات ومشاهد وقبور الأئمة وأبناءهم وأقاربهم وأنصارهم، كيف لا تكون كذلک وقد كانت قديماً مهداً للأنبياء والأولياء، فهنا موطئ إبراهيم۷ وهناک موطئ الكفل وفى جهةٍ أخرى موطئ النبى دانيال۷. وهنا مرقد الشهيد زيد بن على۷ وهناک مشهد القاسم بن الإمام موسى الكاظم۷ وهناک مشهد الإمام صاحب الزمان[والى غير ذلک.

وتاريخ أمتنا العربية الإسلامية شهد منذ عصورٍ سحيقة ظاهرة تأسيس سلالات أو إمارات عربية ذات تكوين سياسى هرمى منظّم سواءً كان ذلک فى جنوب الجزيرة العربية وبالأخص اليمن أم فى وسطها المتمثل بإمارة كنده أم ـ وهو المهم ـ فى أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية والشمالية الغربية المتاخمة لمناطق نفوذ الإمبراطوريتين العظمى آنذاک، ونقصد بذلک إمارة المناذرة فى الحيرة غربى الفرات، وإمارة الغساسنة فى بادية

الشام مما يطلق عليها بإمارات أو دول الحدود Buffer States. وهى إمارات لم يقتصر دورها ونشاطها ومهمتها على الجانب السياسى والعسكرى بما تمليه ظروف تأسيسها وطبيعة المرحلة التاريخية آنئذٍ إنما أيضاً بعطائها الحضارى والحضرى والفكرى والإجتماعى والعمرانى.

ومما يلفت النظر وجود عدد من أوجه الشبه بين عوامل نشوء وتطور هذه الإمارات العربية القديمة وأفولها وبين ما شهدته الفترة الزمانية التى نحن بصددها بشأن الإمارة المزيدية، ولاسيما إذا ما أخضعنا هذه الدراسة فى المتشابهات فى عناصر التأسيس والأفول: لدولتى المناذرة والغساسنة. وكأمثلة على ذلک إمارة بنى مزيد (وهم يرجعون الى بنى أسد) فقد تأسست فى النيل والجامعين (الحلّة) وفى منطقة الفرات الأوسط منذ أواخر القرن الرابع الهجرى. لقد كان العامل الرئيس لقيام دولة المناذرة ـ كما هو معروف ـ خوف الساسانيين وقلقهم من الأخطار التى فرضها وجود مجموعات من القبائل البدوية غير المنضبطة فى بادية الشام (وكذلک بما عرف ببابديتى الكوفة والبصرة) التى كانت تشنّ الهجمات والغارات السريعة على المسالح الفارسية ومناطق نفوذ الفرس على طول الخط الممتد الى الغرب من الفرات وشط العرب أى من الأنبار شمالاً الى البصرة جنوباً. ولذلک فقد سعت الدولة الساسانية الى ترشيح المناذرة وأختيارهم للمساعدة فى هذا الإتجاه، وللعوامل السياسية هذه فقد منحتهم الشرعية فى الإستقرار فى المزارع والحقول الى جوار النهر بغية المحافظة على الحدود الغربية المفتوحة وصدّ هجمات القبائل التى ما زالت مترحلة أو لمطاردة القبائل البدوية التى تسبب قلقاً للمدن والقرى والمسالح فى هذه المنطقة المهمة التى تميزت

بخصوبتها من جهة وبوقوعها على طرق التجارة والمواصلات من جهةٍ أخرى، وكانت عرضةً دوماً لهجمات تلك القبائل وغاراتها.

وهذه العوامل هى التى حملت البويهيين الديالمة الذين أسسوا إمارة بويهية فى العراق أمتدت من سنة ٣٣٤ـ٤٤٧هـ/٩٤٥ـ١٠٥٥م على أن يرشحوا إحدى القبائل البدوية المتنقلة على طول أطراف النهر الغربية ألا وهم بنو مزيد للقيام بدورٍ أساس فى المنطقة ومنحتهم الشرعية فى تأسيس إمارتهم. والهدف من ذلك فرض السيطرة على طريق الحج والتجارة وضمان الأمن فى المنطقة من الأخطار التى شكلتها وجود قبائل مثل بنى عقيل وبنى خفاجة وبنى عبادة على المراكز الحضرية المنتشرة فى الفرات الأوسط وهى ذات المنطقة التى أسس فيها اللخميون الحيرة. إنها منطقة أمتازت بخصوبتها ووفرة مياهها ووقوعها على الطريق التجارى وطريق الحجيج. وأتبع السلاجقة الأتراك الذين أعقبوا البويهيين على السيادة على العراق منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م سياسة مشابهة لسياسة البويهيين مع القبائل العربية.

أما العنصر المماثل الآخر هو أن الساسانيين قد منحوا أمراء الإمارة التى رشحوها للقيام بالدور السياسى العسكرى ألقاباً ذات دلالة مهمة وتعكس مقدار أهمية رئيس هذه القبيلة المرشح أم ذاك، فلقّب الساسانيون أمرئ القيس مثلاً بلقب ملك العرب، وهو نفس اللقب الذى منحه البويهيون والسلاجقة على أمراء بنى مزيد.

كذلك فإن كلاً من الإمارتين، المناذرة فى الحيرة والمزيديون فى الحلّة أفلحتا ـ مستثمرة الظروف السياسية المضطربة للساسانيين والبويهيين والسلاجقة ـ بمرور الزمن فى التأثير السياسى كقوة متنفذة وفى تكوين كيان سياسى مستقل. إذ أستثمر المناذرة إضطراب أوضاع

الإمبراطورية الساسانية الداخلى والخارجى فى حروبهم مع البيزنطيين فى الحصول على مكاسب سياسية. كذلک أفلح المزيديون فى أستثمار الأوضاع السياسية والعسكرية المرتبكة للبويهيين والسلاجقة فى علاقاتهم مع الخليفة العباسى، وفى أنشغالهم جميعاً بالمنازعات والحروب المستمرة فيما بينهم فأسسوا إماراتٍ مستقلة.

والمناذرة مثلاً شجعوا الحركة الفكرية إذ أصبحوا مركزاً للإشعاع فأنجذب نحوهم الشعراء المشهورين، فضلاً عن براعة عدد من ملوكهم بهذا الأداء فشهروا به. وتوجه الشعراء المرموقون فى العصر العباسى المتأخر الى نوادى وقصور المزيديين للإسهام فى مدحهم ومدح مدينتهم النيل والحلّة. وأغدقوا فى إعطياتهم وجراياتهم على الشعراء كما فعل ملوک المناذرة. وكان لأمراء بنى مزيد أنفسهم الدور الفاعل فى إنشاد الشعر، وأن عدداً منهم توجه الى الشعر أكثر من أنخراطه وأنشغاله فى الشأن السياسى. وشجع المزيديون الكُتّاب والأدباء والفقهاء والعلماء الى جانب تشجيعهم الشعراء فنهضت فى الحلّة حركة فكرية وأدبية واسعة.

وأسهم الملوک المناذرة فى حركة الإعمار والبناء مثلاً فى بناء مدينة الحيرة المشهورة التى أعتمدت الكوفة بعدئذٍ على تجربتها الحضرية[1]. كذلک عمل المزيديون بدأبٍ ومثابرة على تطوير مدينتهم الأم، النيل، ثم بعد ذلک توجهوا الى إعمار أجمة الجامعين فحولوها الى مدينة عامرة نافست مدينة الكوفة، تلک هى مدينة الحلّة.

ولدت الإمارة المزيدية وأفل نجمها زمن العباسيين فى عصورهم المتأخرة، فقد أسس

---

١. ينظر: عن المناذرة فى الحيرة: غنيمة: يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية (فصل سلالة آل لخم فى الحيرة) ص١٢٩؛ جرجى زيدان: العرب قبل الإسلام، ج١، ص١٨٤؛ د. جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، (المناذرة)؛ مقالة: (Manadhira) in E. I. (٢) by ومقالة (Hira) in E. I. (٢) by .

العباسيون سلطتهم زمن الخلفاء الأُول السفاح والمنصور بعد تخلصهم من أعدائهم سواء كانوا من أبناء جلدتهم وأسرتهم وقوّادهم الذين عملوا بجدٍّ فى إنجاح ثورتهم أم من أبناء عمومتهم العلويين من بنى هاشم بعد أن أستأثروا بل أستثمروا شعار آل البيت إستثماراً مصلحياً. كان سلاح القتل والإبادة هو السلاح الذى أشهره المنصور ضد هؤلاء وهؤلاء. وبلغت الدولة أوجها زمن الرشيد والمأمون فى أستعمال سياسات العنف والترهيب وعدم التسامح مع الآخر أياً كان ذلک الآخر طالما أنه حسب رأيهم آخراً منافساً لسلطتهم. وقد أفلح هؤلاء فى سياساتهم الخارجية وحروبهم ضد الروم من جهة وضد الحركات المناوئة لهم فى المشرق الإسلامى والمغرب العربى من الجهة الثانية. ومما يجدر التنويه إليه أن سياسة العباسيين القوية ضد التحديات المحلية والداخلية والخارجية ترتبط أرتباطاً مباشراً بفلسفة النظام الذى أُريد منه رفع الخليفة العباسى الى مصافى العظماء والمتفردين فى الحكم أليس هو ظل الله فى الأرض؟ وهى سُنّة متكررة فى التاريخ دون أن يأخذ هذا الحاكم أو ذاک الإمبراطور الموعظة والعبرة، إنه عظيم ويجمع فى ذاته النقيضين الحاكم المتفرد القاسى والدموى وهو فى الآن ذاته الرشيد والعطوف والكريم والرحيم. فما أن وصل العباسيون الى أوج أنتصاراتهم حتى بدأت مؤسستهم السياسية تواجه التحديات الواحدة تلو الأخرى فى كل بقاع إمبراطوريتهم فهناک ثورة وهنا أنتفاضة وهناک عدوان خارجى على الحدود وهكذا حتى وصلت بهم الحالة الى أن المتوكل نفسه يُقتل بيد أبنه وأن الجُند الأتراک يقتلون هذا الخليفة ويسملون عيون خليفة آخر ويرفعون عباسياً من غير الأسرة الى الخلافة ويحطّون من قدر عباسى آخر. وما أن إعتلى الراضى بالله سدّة الحكم حتى وجد نفسه خليفة حبيساً

فى بغداد وضواحيها، أما خارج بغداد فصارت بيد الأمراء الأتراک والديلم أو المتنفذين أو الثوار والمتمردين. أما خارج العراق فتنازعته قوى الإنفصال والإستقلال فى المغرب العربى والأندلس وفى سجستان وخراسان وما وراء النهر والديلم وطبرستان والجبال وأرمينية وأذربيجان والموصل والجزيرة الفراتية ومصر الفاطمية وقرامطة البحرين وبُريديين البصرة وعمران بن شاهين فى البطائح وابن رائق فى واسط.

كانت الأزمة الإقتصادية هى السبب المباشر فى أن يرضخ الخليفة العباسى الى طلبات المتنفذين من القوّاد الديلم والأتراک، وأن يتنازل عن عنجهية الخلافة وتفردها الى أمير الأمراء شريطة أن يحلّ هذا الأمير الأجنبى أزماته الإقتصادية ومصاريف بلاطه وحاشيته اليومية التى تقدر بمبالغ باذخة وكبيرة جداً آنذاک. بينما يعيش الناس فى مستوى معاشى دون خط الفقر بكثير، هذا لا يهم الخليفة بقدر ما يهمه تلبية مطاليب قصره وجواريه وحاشيته وأبهته.

من الجانب الآخر فإن هذا الوضع السياسى والإقتصادى والإدارى المضطرب والمفعم بالفساد المتفشى فى كل مفصل من مفاصله الإدارية فى الوزارة وفى الدواوين وفى ديوان الجند وفى ديوان المصادرات وفى الإقتصاد وسيادة الإحتكار وتلاعب التجّار الكبار والصيارفة من اليهود وغير اليهود فى مقدرات الأسعار وأحتكار المواد الغذائية الأساسية للفقراء ألا وهو الخبز دون الرز. إن وضعاً إجتماعياً وإقتصادياً مؤذياً ومؤدياً الى زيادة معاناة الشريحة العظمى من المجتمع العراقى من الفقراء والعلماء الذين لم يذلوا علومهم وأقلامهم

خدمةً للعباسيين ووزرائهم وقوّادهم لم يؤدّ الى توقف عطاء الحضارة والعلم والتقدم. فالسياسة والحروب وظلم الحكّام وجورهم شيء وحب العلم والتعلم وطلب العلم والسعى الدؤوب فى الكتابة والتدوين فى مجالات العلوم الإنسانية والعلمية الصرفة كان يسير بخط بيانى أعلى بكثير من الخط البيانى السياسى والإقتصادى المتردى جداً.

وفى الفترة منذ نهاية القرن الثالث الهجرى فصاعداً شهدت الخلافة العباسية تحدياتٍ كبيرة أفقدتها التوازن فأضطرت الى الإستسلام للأمر الواقع وقنعت بأن يبقى الخليفة رمزاً دينياً بينما يتسلط أمير الأمراء للفترة من ٣٢٤ـ٣٣٤هـ/٩٣٥ـ٩٤٥م ثم بعدئذٍ يبقى شبه أسير تحت السيطرة البويهية من سنة ٣٣٤ـ٤٤٧هـ/٩٤٥ـ١٠٥٥م. وكاد البويهيون الشيعة أن يزيحوا الخليفة العباسى والى الأبد كما فعل هولاكو بعد غزوه بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م لكنهم فضّلوا أن يُبقوه مجرداً من أمتيازاته وأبهته وجبروته وأمواله وأملاكه. كان الخليفة يعتقد فى سياسة فرّق تسُد أنها ستجلب له النفوذ الذى قد أفتقده لذلك فقد دعم السلاجقة الزاحفين من بلاد ما وراء النهر بأتجاه العراق لكنه أخطأ التقدير ثانيةً كما أخطأ آخر خليفة المستعصم بالله التقدير فى عدم رضوخه للتتار بناءً على نصيحة قائده الضيق الأفق وعدم قبوله نصائح وزيره الواسع المعرفة بطبيعة الطوفان المغولى الذى يدمر من يعيق زحفه. فالسلاجقة برغم أنهم أتباع المذهب الحنفى وكانوا متحمسين له كثيراً، إلا أنهم كانوا غير سعيدين فى رؤية تعاظم شأن الخليفة العباسى. وحاول بعض الخلفاء التحدى وإشهار السيف بوجههم ففشل بعضهم وقتل ونجح الناصر لدين الله ووفق فى كبحهم وإنهاء سيطرتهم.

فالحالة السياسية ـ العسكرية للخلافة العباسية منذ منتصف القرن الرابع الهجرى/العاشر

الميلادى حالة ليست متعافية فلم تعد إمبراطورية العباسيين مترامية ومتوحدة، إذ كثر الطامعون فى التحرك نحو الإنفصال وتأسيس إماراتٍ مستقلة. فظهر البويهيون فى حوض بحر قزوين من المشرق الإسلامى ثم زحفوا نحو بغداد، ومارسوا الحكم الفعلى. وحددوا صلاحيات العباسيين فأصبح لهم الوزراء وللخليفة كاتب يدير أقطاعاته وحددوا له راتباً معيناً كان يقطع فى أوقات الأزمات الإقتصادية. وصاروا يصادرون أمواله وأملاكه ويتدخلون فى مسألة عزله وتنصيب آخر محله يتفقون هم عليه[1].

أعقب البويهيون السلاجقة الأتراك، ففى السنوات التى سبقت سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م كان البويهيون فى بغداد يعانون من ضعفٍ داخلى وإنحلالٍ سياسى عام. بينما شاهد التاريخ حدثاً مهماً متمثلاً بالتقدم العسكرى المذهل للسلاجقة من بلاد ما وراء النهر وأصطدامهم بالبويهيين عسكرياً. وتوجهت أطماع السلاجقة بعد أستيلائهم على مناطق نفوذ الغزنويين السيطرة على مناطق نفوذ البويهيين، وساعد نجاح السلاجقة تفكك الأسرة البويهية فقد دخل فولاستون ابن أبى كاليجار فى نزاع مسلح مع أخوته الملك الرحيم وأبى على. وعقد فولاستون وأبو على معاهدة مع السلاجقة معترفين بسيادتهم ضد أخيهما الملك الرحيم، وأضاف فولاستون مؤكداً أعترافه الرسمى، بزعيم السلاجقة طغرلبک، أسمه فى الخطبة من على منابر شيراز دون أن يبذل طغرلبک جهداً عسكرياً فى ضمها. وبعد ذلک دخل طغرلبک بغداد سنة

---

١. ينظر عن البويهيين وعلاقتهم بالخليفة: Kabir, M. The Buwayhid Dynasly of Baghdad (Calcutta) pp. ١٨٦; (Buwayhid) by CL. Chen. ؛ ١٩٥ Bosworth, C.E. "Mititary structure of the Buwayhid in Iran and Iraq" ترجمة: ناجى، د. عبد الجبار، (التنظيم العسكرى للبويهيين فى إيران والعراق) نشر فى مجلة المورد، بغداد، مجلد ٤، عدد ١، ١٩٧٥م.

٤٤٧هـ مسدلاً الستار على آخر حاكم بويهى وهو الملك الرحيم ومبتدءاً فترة سلجوقية أمتدت حتى سنة ٥٩٠هـ عندما نهض الناصر لدين الله بمعية الخوارزميين فى مواجهة عسكرية ضد طغرل الثالث آخر حكام سلاجقة العراق فحقق نجاحاً فى أنهاء تلك السيطرة[١]. فالخليفة العباسى بسبب ضعفه وعدم قدرته على مواجهة البويهيين أعترف بشرعية سلطة السلاجقة، وصار أسم السلطان طغرلبک ومن أعقبه يذكر من على منابر صلاة الجمعة. كان الخليفة يأمل أن يُحسّن من وضعه السياسى فقرّب السلاجقة ومنحهم الألقاب، تماماً كما فعل مع البويهيين. غير أنه أخفق فى تقديره هذا لأن السلاجقة أيضاً وضعوه تحت سيطرتهم وأتخذوا أحياناً إجراءاتٍ تعسفية بحقه وكرروا ما فعله البويهيون.

والمُلاحظ أن كلاً من البويهيين والسلاجقة فشلوا فى سياساتهم وفى علاقاتهم مع أهالى العراق. وزادوا فى الطين بلّة عندما طبقوا سياساتٍ مذهبية طائفية أشعلت نيرات التطاحن والفتن بين الشيعة والسُنّة المكونان الأساسيان فى محلات بغداد الغربية والشرقية ذهب ضحيتها الناس الأبرياء فقط. لهذا وعلى كرور الأيام فقدوا سيطرتهم فى الأحتفاظ بسلطانهم وسطوتهم ومناطق نفوذهم فى العراق مدة طويلة. فقد جاء أنهيار الدولة البويهية بالدرجة الأساس نتيجة الخلافات والمشاحنات العائلية والحروب بين الأمراء البويهيين على السلطة

---

١. ينظر عن علاقة السلاجقة بالخليفة: Bowen: "The Last Buwayhids" in JRAS (١٩٢٩) pp. ٢٣٤ـ ٢٣٧; Bosworlh, E. "The Politica and dynastic history of the Iranian world" in the Cambridge Cambridge Hist. of Iran vol. ٥ pp. ٤٢ـ ٤٦; Lowe. "The Seljuq" in the Medieval Hist. Islambul (١٩٢٣) pp. ٣٠٣ـ ٣٠٥; Defremery, "Histoire de Seldjoukides" in J.A. (١٨٤٨) Sanaullah. M.E. , The decline of the Saljuqid Empire (Calcutta ١٩٣٨).

والنفوذ ونتيجةً للحروب الكثيرة التى أستعرت بين أفراد العائلة البويهية. ونفس الحالة بالنسبة للسلاجقة.

فالمتغيرات السياسية السريعة السابقة الذكر، سارعت فى إظهار علامات الضعف السياسى الداخلى وعدم أستطاعة البويهيين أو السلاجقة على ضبط مقاليد الأمور فى العراق وبقية الأجزاء فى المشرق الإسلامى؛ فضلاً عن أستفحال حدّة الأزمة المالية المتمثلة بنضوب موارد الدولة المالية وعدم نجاح الأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة فى تلبية متطلبات جندهم فى دفعٍ منتظم لأرزاقهم ناهيک القول عن السياسة الإقتصادية التى أتبعها هؤلاء فى منح الإقطاعات الصغيرة والكبيرة الى قوّادهم وجنودهم عوضاً عن أرزاقهم قد أدت الى خراب الأراضى الزراعية الغنية فى العراق فأدى ذلک الى نزوح الفلاحين عن قُراهم الزراعية نحو المدن والحواضر. فأنتج هذا العامل وغيره الى شحّة المواد الغذائية وأرتفاع أسعارها بشكلٍ عالى جداً لم يقو الفقير على تحمل أعبائه فى الحصول على الرغيف العادى (أقصد من الحنطة غير المنخولة) للعيش. وتبع هذه الفوضى السياسية والفوضى فى الإجراءات الإقتصادية الى فوضى إجتماعية عانى منها الأهالى كثيراً وأخصها سوء الحالة الإقتصادية التى زادها سوءاً أحتكار التجّار بل حتى مسؤولى الدولة للمواد الغذائية الأساسية. فأضطربت الأحوال الإجتماعية وأنفقد الأمن والنظام وأستفحل أمر العيارين أو الشطّار ضد سيادة نفوذ الديالمة والأتراک من جهة والجند وأصحاب رؤوس الأموال والتجّار من جهةٍ ثانية. ووصلت الحالة الى أن فلاناً العيّار أصبح هو المهيمن على بغداد وأمنها ويعيث بها الفساد دون معاقبة ومحاسبة من السلطة الضعيفة المنهارة. وبلغت الحالة الى أن الناس دأبوا على التشبث

بالحصول على مساعدة من العيّار الفلانى بدلاً من الجند والسلطة لأن هذا العيّار (أمثال عزيز العيّار والبرجمى) كانوا الأقوى سطوةً ونفوذاً وهيبة من الخلافة والسلطة على حدٍّ سواء.

خلال هذه الحقبة المضطربة ظهر من الجانب الآخر نشاطاً ملحوظاً فى حركة وفاعلية عدد من القبائل البدوية التى كانت تجوب بادية العراق الغربية والى حدٍّ ما الجزيرة الفراتية على طول خط المراكز الحضرية والمناطق الخصبة ذات المياه الوافرة والأنهار المهمة، وعلى طول طريق التجارة والنقل وطريق الحاج الخارج من العراق عبر الصحراء الفسيحة بأتجاه مكة.

ولعل من الصحيح القول أن تصاعد فاعلية وحركة هذه القبائل سواء فى شنّ الهجامت السريعة والغارات على قوافل التجّار والحجّاج أم فى تهديدها وشنها هجماتٍ وغاراتٍ متكررة على المراكز الحضرية فى منطقة الفرات الأوسط الزراعية قد أرتبط بمدى قدرة وكفاية السلطة المركزية سياسياً وادارياً وبمدى ردود فعل هذه السلطة عسكرياً فيقوى موقف القبائل ويشتد نشاطها أثناء حالات الفوضى والضعف داخل السلطة المركزية المتمثلة بالخليفة والأمير البويهى والسلطان السلجوقى وتتناقص الهجمات ويتحجم دور القبائل عندما تتحسن أوضاع السلطة المركزية سياسياً وعسكرياً فيكون بمقدورها الردّ المباشر والسريع على تحركات القبائل، التى أعتمدت أسلوباً تكتيكياً فى الكرّ السريع والحصول على الغنيمة ثم الإنسحاب السريع الى أعماق الصحراء فى حالة مطاردة جيوش السلطة لها.

ومن بين أهم القبائل العربية المتحركة فى باديتى الكوفة والبصرة وفى بادية الشام قبائل بنى عقيل وبنى أسد وبنى خفاجة وبنى المنتفق. فى الوقت الذى فرضت فيه قبائل آل الجراح من طىء وبنو كلاب ومنهم بنو مرداس نفوذها فى الجزيرة الفراتية فى حلب وفلسطين.

يعدّ ظهور بنى مزيد وبناء إمارتهم مظهراً واضحاً من مظاهر أستمرار فاعلية البداوة وحركة القبائل العربية فى الأداء وفى ممارسة الدور المتنفذ فى شؤون العراق خاصة. إذ كانت البداوة هى الصفة الغالبة على قيم وعادات وثقافة هؤلاء. كذلک فإنهم أستطاعوا بفعل جدارتهم وجرأتهم وقوتهم العسكرية وتعبئتهم فى القتال من أن يؤثروا فى أحداث ذلک العصر. وبالفعل فقد عملوا على تأسيس إمارة فى موضع ليس ببعيد عن العاصمة بغداد أى فى الحلّة. والأكثر من ذلک فقد دوّخت هذه الإمارة السلطة المركزية، الخليفة أو الأمير البويهى أو السلطان السلجوقى. وكان تركيب الجيش المزيدى لا يختلف فى عناصره كثيراً عن تركيب جيش بغداد، إذ كان يضم العرب والأكراد والأتراک وهم من المرتزقة. غير أن الأختلاف الرئيس بين جيش المزيديين وجيش بغداد يتركز على القيادة والزعامة، فكانت القيادة عربية محضة عند المزيديين وكان عماد الجيش هو العنصر العربى عند المزيديين سواء كان ذلک فى التشكيلات والتعبئة، أم فى العمليات الحربية فى ميدان القتال. فى الوقت الذى كانت فيه قيادة جيش بغداد فى الأعم الأغلب أجنبية وكذلک كان عماد جيشهم من العناصر الأجنبية كذلک فى القتال والتعبئة.

ونظراً لإخلاص بنى مزيد لقيادتهم فقد حصلوا على مكاسب سياسية وعسكرية فقد توسعت مناطق نفوذهم إذ سيطروا على مناطق عديدة. يضاف الى ذلک فإن الأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة أضطروا نتيجة عنفوان بنى مزيد وإخلاصهم فى الواجب الى الإعتماد عليهم فى الأمور العسكرية. لذلک فإنهم أدّوا دوراً بارزاً فى أستقرار الحياة السياسية لذلک العصر حتى أنهم تحدوا السلطة المركزية فى كثيرٍ من المناسبات وتزعموا حروباً ضد

البويهيين والسلاجقة قادتهم فى مناسبات الى محاولة الإستيلاء على بغداد نفسها. والواقع أن بنى مزيد أتبعوا سياسةً ذكية فى أستغلال ظاهرة أختلاف الأمراء البويهيين ومحاربة بعضهم البعض الآخر وهى سمة قد أصبحت واضحة وسائدة زمن السلاجقة أيضاً، فوسعوا من ممتلكاتهم ومناطق نفوذهم أولاً ثم عملوا بجدٍّ وفاعلية على تفتيت السيطرة الأجنبية بالدرجة الثانية.

وبنو مزيد على الرغم من تأصل القيم البدوية فيهم إلا أنهم شجعوا الأعمال العمرانية وهذه الظاهرة على الضد تماماً لما أفترضه ابن خلدون بأن الأعراب "فى أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب"[1]. ففى بداية أمرهم أتخذوا مدينة النيل على نهر النيل الذى تم حفره زمن ولاية الحجّاج الثقفى فى العصر الأموى؛ وبعد ذلک شمّروا من سواعدهم فى بناء مدينة الحلّة الواقعة بالقرب من ذلک الأثر التاريخى القديم، بابل. وأختيار بنى مزيد للمنطقة التى تأسست فيها مدينة الحلّة يعدّ دليلاً كافياً على سلامة تفكيرهم فى الجوانب الحضرية والإقتصادية والعمل على أنعاش وأزدهار هذه المنطقة الزراعية المهمة. فضلاً عن قيامهم بإنجاز أعمال عمرانية أخرى نظير بناء القناطر والسدود وزراعة البساتين النظرة وبناء البيوت الفاخرة فى الحلّة وشراء بيوت ودور فى بغداد وتشييد سور طينى يُحيط بالحلّة. فهذه الأعمال المنظورة فى التاريخ وغيرها الذى لم تذكر توضح بجلاء بأن بداوة بنى مزيد هى بداوة غير مدمّرة وغير مخرّبة للعمران البشرى وللأعمال العمرانية والحضرية، فلم يكن همهم أو شغلهم الشاغل فى أعمال النهب والسلب للمدن والقرى والضواحى والأراضى الزراعية إنما كانوا على العكس تماماً ممن عمّر وبنى.

---

۱. المقدمة، (دار الفكر، بيروت)، ص۱۱۸ ـ ۱۱۹.

كانت العلاقة بين بنى مزيد والسلطة هشّة قائمة على ما يتحقق للسلطة من وارد مالى، إذ كان المزيديون يدفعون أموالاً كبيرة سنوياً مقابل إسباغ الشرعية على أستقرارهم وحمايتهم للمراكز الحضرية فى منطقة الفرات الأوسط. ومقابل ضمانهم حماية طريق الحاج والتجارة من الكوفة عبر الصحراء الى مكة. وفى المقابل كان لهم الحق فى جباية الضرائب والميرة من القرى والبلدات المحيطة بالحلّة والمنتشرة فى منطقة الفرات الأوسط كالذى قام به أحد أمرائهم فى سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م فقد جمع ما يُقدّر بخمسمائة ألف دينار ضريبة مفروضة على القرى. وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على أن المزيديين قد أهتموا إهتماماً ملحوظاً فى تنمية الموارد الإقتصادية فى المنطقة من أجل أن يوفروا تلك الأموال التى فرضتها عليهم السلطة المركزية. آخذين بنظر الأعتبار صعوبة تحقيق هذا الواجب المالى لأنهم كانوا منهمكين ومنشغلين فى المتغيرات السياسية وفى إرضاء التيارات السياسية المتطاحنة للأمراء البويهيين وللسلاطين السلاجقة دون أن يُفرّطوا فى محاولاتهم المستمرة فى إرضاء سلطة بغداد سياسياً ومالياً.

وأنتعشت الحياة الأدبية والفكرية فى عهد بنى مزيد، إذ كان الأمراء العرب يحبون الشعر كثيراً والبعض منهم شارك فى هذا الميدان بشاعريته وقصائده. كذلك فإنهم أتصفوا بالجود والكرم والشجاعة والوفاء بالعهود والضيافة وكما هو معروف أن صفات كهذه تكون مادةً دسمةً وعاملاً مشجعاً لمدح الشعراء وتقاطرهم على النيل والحلّة لمدح الأمراء المزيديين. وعلى هذا الإعتبار فقد أستضافت الحلّة الكثير من الشعراء والأدباء المرموقين. فضلاً عن أن المدينة ذاتها، وهو أمر مهم، قد أخرجت عدداً من الشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء. وحسب

المرء أن يعلم بأن بعض الأمراء المزيديين كان يمتلک خزانة کتب تضم الألوف من المجلدات[1] أيضاً فقد خلّف أحد الأمراء ديواناً شعرياً يضم أربعين قصيدة فی الحنين الی الحلّة وفی الغزل والمديح والخمريات والوصف وغيرها من الخصائص الشعرية[2]. وهكذا فإن جميع ما تقدم ذكره ينصب فی تقديم الدليل الكافی علی أهتمام المزيديين وعنايتهم وتشجيعهم الحياة الفكرية.

نخلص الی القول بأن الفترة التاريخية لظهور ونشوء الإمارة المزيدية فترة غير واضحة تماماً فی المصادر. والمزيديون يمثلون طابعاً خاصاً ومتميزاً فی أنهم يُعدّون موجة من البدو أمتازوا بقوتهم العسكرية وعنفوانهم وشجاعتهم فأسسوا إمارة كانت فی البداية صغيرة لكنها توسعت ثم أستمرت فی الحياة مدة طويلة فعاصرت سلطات عسكرية وقوی متعددة كالبويهيين والسلاجقة وفرضوا سيطرتهم علی أهم منطقة من مناطق العراق العباسی. وأسسوا مدينة الحلّة. لكنهم مع ذلک ظلوا محتفظين بعاداتهم وبقيمهم البدوية وشجعوها دون أن يتغلب عليهم ترف الحضارة فی بغداد ومدنيتها، علی عكس ذلک فإنهم حاولوا بإستمرار الوقوف بالضد من العاصمة فی الجوانب الأدبية والحضارية والسياسية.

مصادر معرفتنا عن الإمارة المزيدية

لم تحظ قبيلة بنی أسد بصورة عامة وبنو مزيد بشكلٍ خاص فی القرون الرابعة والخامسة والسادسة للهجرة بعنايةٍ وأهتمام الدارسين والباحثين فی التاريخ العباسی. مع أن هناک

---

۱. ابن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، بلا)، م۴، ص۶۰۹.

۲. ابن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، بلا)، م۴، ص۶۰۹.

دراسات ورسائل جامعية قد كتبت عن تاريخ العراق السياسى والإجتماعى والثقافى وبشأن بغداد بشكلٍ أساس. فليس هناک مؤلفات عن بنى مزيد، علماً بأن أفراداً من عشيرة بنى أسد وممن يُعتقد أنه يرجع نسبه الى دبيس أو صدقة أخذوا يهتمون بدراسة عشائرهم. وهناک فى إيران الإسلامية رسالة ماجستير عن بنى مزيد باللغة الفارسية قد أعتمد مؤلفها على كتابى (الإمارة المزيدية، الذى طُبع أولاً فى سنة ١٩٧٠م). غير أن هذا لا يعدم من تطرق عدد من الباحثين الحليين عن بنى مزيد. وأخص الإشارة هنا الى الأستاذ يوسف كركوش فى دراسته القيّمة عن تاريخ الحلّة إذ تناول فى صفحات كتابه الأولى ذكر لعدد من أمراء بنى مزيد، كذلک فإن الأستاذ على الخاقانى قد تطرق الى دور بنى مزيد فى الشعر فى كتابه المشهور (شعراء الحلّة)، والأستاذ محمّد على اليعقوبى فى كتابه القيّم (البابليات). لقد عُنى هؤلاء الأساتذة الباحثين المعروفين فى الجانب الأدبى من الإمارة المزيدية معولين كثيراً على روايات المؤرخ الموصلى المعروف ابن الأثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) حول التاريخ السياسى والعسكرى للمزيديين. ومن الجهة الأخرى فإن المستشرقين قد أسهموا إسهاماً فاعلاً بشأن التاريخ السياسى لبنى مزيد مثلما عمل الأستاذ كاربجک، الألمانى Karaback. فقد ألّف كتاباً عنوانه (مختصر تاريخ بنى مزيد) وتم طبعه فى ليبزج سنة ١٨٧٤م[١].

وقد أطلعت عليه بعد أن ترجمه لى أحد الأفاضل جزاه الله خير الجزاء. والكتاب ركّز على التاريخ السياسى العسكرى مستثمراً كتاب الكامل لأبن الأثير بشكلٍ رئيس. وعُنى الأستاذ سيترسين Zetterseen ببنى مزيد فكتب حولهم مقالةً فى دائرة المعارف الإسلامية

١. J. Karaback: Beitrage zur geschichte der Mazjaditen (Leipzig ١٨٧٤).

فی الطبعة الأولی منها بعنوان Mazaydid وکتب عن صدقة بن منصور فی الطبعة الثانیة من دائرة المعارف بعنوان Sadaqa کما أن الأستاذ بوزورث C. B. Bosworth کتب عن Mazayad فی دائرة المعارف (طبعة جدیدة بالإنجلیزیة) فضلاً عن تطرقه الی الإمارة فی کتابه The Islamic Dynasties وألّف الأستاذ جورج مقدسی العربی الأمریکی بحثاً قیّماً عن الحلّة بعنوان Notes on Hilla and the Mazyadids in medieval Islam[1].

حقیقة أن المجموعة المصدریة التاریخیة تعدّ هی المصادر الأساسیة التی أمدتنا بمعلوماتٍ کثیرة لیس عن الجوانب السیاسیة ـ العسکریة فحسب إنما عن المیادین الإداریة والإقتصادیة وعن تحرکات القبائل العربیة فی منطقة الفرات الأوسط وعن الجوانب الفکریة بشأن الصفات العربیة الأصیلة لأمراء بنی مزید.

ولعل أهم هذه المؤلفات التی کتبت عن بنی مزید أو بالأحری إعتماداً علی النسخة الباقیة من مخطوط (المناقب المزیدیة فی أخبار الملوک الأسدیة) ـ عن الأمیر صدقة بن منصور المزیدی، إذ أن أخباراً عدّة فی المخطوط تؤشر الی صدقة دون غیره من الأمراء المزیدیین. والمناقب المزیدیة ألفها الشیخ هبة الله بن نمّا بن علی بن حمدون الحلّی الربعی، ربما کان عمیداً لأسرة آل نمّا العلمیة المشهورة التی سنتحدث عنها لاحقاً وحول دورها فی ترصین حرکة التشیع العلمیة فی الحلّة. ومما یجدر ذکره فی هذا الصدد أن (المناقب المزیدیة) أی النسخة فی المتحف البریطانی قد حققها کل من الأساتذة الأفاضل الدکتور صالح موسی

---

۱. نشرت فی مجلة JAOS ص۲۴۹ ـ ۲۶۲.

درادكة والدكتور محمد عبد القادر خريسات وطبع الكتاب فى عمّان مع مقدمة قيّمة عن بنى مزيد. والمناقب المزيدية عنوان مغرٍ جداً للقارئ وللمهتم ببنى مزيد لأول وهلة، لكن حقيقة الأمر ليست كذلک بما فيه الكفاية لأن أبى البقاء بن نمّا الحلّى عرض فى هذا الجزء من المناقب مواضيع أخرى عن بنى أسد وأخباراً عن ملوک الحيرة. إذ تحدث بدايةً عن الأنبياء، ثم عن الساسانيين وهو فى هذه المعلومات أعتمد كثيراً على تاريخ أبى جعفر الطبرى وقد نصّ على ذلک بصراحة. وتحدث أبو البقاء عن آل نصر وعن ملوک الحيرة ووقف على أمرئ القيس. ثم أنتقل للحديث عن جملة من الخصائص العربية نظير: فرسان العرب، وحكام العرب، ومفاخر العرب، بعدها أنتقل الى موضوعٍ أخص وهو معد بن عدنان ومضر ومدركة بن ألياس وخزيمة وأسد بن خزيمة. وفى الجزء الآخر يُقارن أبو البقاء بين هؤلاء الشيوخ وبين ملک العرب صدقة بن مزيد فقط. وهو أمر يدفعنا الى القول وكذلک دفع المحققان الفاضلان، الى أن أبا البقاء كان معاصراً لفترة إمارة صدقة بن منصور المزيدى، أو أنه ميّز ذكر صدقة دون الأمراء الآخرين لشهرته الواسعة فى حياة الإمارة. وقد أعتمدت رأى الشيخ باقر آل محبوبة عن وفاة أبى البقاء أنها كانت فى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م.[١] ويرى الخوانسارى أن وفاته كانت فى جمادى الأول ٥٦٥هـ ففى هذه السنة أعدّ أبو البقاء داره فى حلّة الجامعين للتدريس[٢].

---

١. جعفر الشيخ باقر آل محبوبة: ماضى النجف وحاضرها، ص٤٢٤. والمخطوطة ناقصة تبدأ من ورقة ١٣ الى آخرها ورقة ١٦٩. وفيها بعض الصفحات المخرومة. وفى حاشية المخطوطة يوجد كتاب آخر (مخطوط) إلا أن خطه مشوش. وقد حقق المخطوطة الأستاذان الفاضلان الدكتور صالح موسى درادكه والدكتور محمد عبد القادر خريسات وأخرجا المخطوطة بنفس العنوان. وأشارا الى أنها تمثل الجزئين ١ـ٢. [عمّان ت الأردن/ الطبعة الأولى، ١٩٨٤].

٢. روضات الجنات، ج٢، ص١٨٠.

وهناک رأی ثالث للأستاذين المحققين أنه عاش النصف الثانی من القرن الخامس الی النصف الثانی من القرن السادس الهجری دون أن يذكرا سنة محددة لوفاته[1].

وواقع الحال فإن العلماء المحدثين لم يذكروا شيئاً عن المناقب المزيدية وأن المرحوم الدكتور مصطفی جواد ذكر نصاً من المناقب فی المستدرک الذی صنعه علی كتاب المختصر المحتاج إليه لأبن الديبثی، وأن العالمين القمی فی فوائد رضوية (باللغة الفارسية) والخوانساری فی روضات الجنات قد أشارا الی أبی البقاء والی أفراد آخرين من أسرة آل نمّا ودورهم العلمی. ومع أن كمية ما خصصه أبو البقاء من الروايات عن بنی مزيد لا تتجاوز سوی عدد قليل جداً لا ينسجم تماماً مع حجم الكتاب (المناقب) وعنوانه لكنها قدمت فائدة تاريخية مهمة للباحث وبالأخص بشأن صدقة بن منصور، وهی معلوماتٍ معاصرة والی حدٍّ كبير شاهدة عيان عن هذا الأمير المزيدی.

وفيما عدا المناقب المزيدية الذی يبدو أن مؤلفه قد عاصر الإمارة وهی فی أوج تقدمها فإننا لا نملک مصدراً آخر ينافسه فی المعاصرة. والواقع أن هناک مؤلفاتٍ تاريخية عظيمة الفائدة إن وجدت، فالفترة التاريخية التی تأسست فيها الإمارة قد أنتجت مؤرخاً بغدادياً معروفاً ومن أسرة علمية ذائعة الصيت هو ثابت بن سنان الذی ألّف كتابه التاريخی كتتمة لتاريخ الطبری وأوصله الی سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م حسب أكثر أقوال المؤرخين[2]، وأهمية تاريخ ثابت تكمن بأن التدوين التاريخی قد شهد فی القرن الرابع الهجری/العاشر الميلادی منعطفاً

---

١. د. صالح درادكه: المناقب المزيدية (المقدمة)، ص٩.

٢. ناجی، د. عبد الجبار: تاريخ مهم للمؤرخ العراقی المنسی ثابت بن سنان. المنشور فی مجلة المورد، مجلـد ٢/العـدد ١٩٧٣/٢، ص٢٣٣ـ٢٤٥.

متميزاً فى جميع النواحى. واقعاً فإن كل ما نملک من مصادر عن هذه الفترة لا يتجاوز عدد أصابع اليد يقف تاريخ الطبرى على رأس القائمة، ولكن الطبرى قد أوقف تاريخه فى سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، ولحسن الحظ فإن المؤرخ والكاتب الأندلسى عريب بن سعد القرطبى (المتوفى ٣٦٩هـ/٩٧٩م) صنّف كتابه (صلة تاريخ الطبرى) وقدم معلوماتٍ مهمةٍ عن الأحداث السياسية فى العراق.

لقد بدأ عريب تاريخه من أحداث سنة ٢٩١هـ منتهياً الى أحداث سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وأعقبه تاريخاً مهماً آخر ألّفه المؤرخ محمد بن عبد الملک الهمدانى (المتوفى ٥٢١هـ/١١٢٧م) بعنوان: (تكملة تاريخ الطبرى) وابتدأه من أحداث سنة ٢٩٦هـ ثم أنهاه فى أحداث سنة ٣٦٧هـ/٩٠٨ـ٩٧٧م. ويتضمن التكملة معلوماتٍ مفيدة ونافعة، علماً بأن المؤلف قد أنتفع كثيراً من المعلومات التى أدلى بها مسكويه فى التجارب وتابعها فى الأغلب، والكتاب مطبوع. إن هاتين التتمتين بطبيعة الحال لا يمكن مقارنتهما بالمادة الغنية التى قدمها تاريخ الطبرى من حيث المتانة والغزارة والأسلوب. ولما كنا نتحدث عن المؤلفات الموجودة لا الضائعة لا بد من الإشارة الى مؤلف المسعودى المشهور (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وتوفى المسعودى سنة ٣٤٥هـ أو ٣٤٦هـ وبقدر أهمية مروج الذهب تاريخياً فإنه لم يدرک قيام الإمارة المزيدية شأنه شأن ثابت بن سنان أو عريب القرطبى، وأن محمد بن عبد الملک الهمدانى لم يقدم فى القسم المنشور شيئاً عن الإمارة لأنه أنهى تكملته بأحداث سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. أما ما يتعلق بمؤلف أبى على مسكويه (المتوفى ٤٢١هـ/١٠٣٠م) الموسوم:

تجارب الأمم، فيعدّ كتاباً بالغ الأهمية بل فريداً لتغطيته حقبة خلافة المقتدر بالله والحقبة البويهية تغطيةً شاملةً ولا يُضاهيه أى تاريخ للفترة من خلافة المقتدر بالله الى فترة حكم عضد الدولة البويهى، لكنه لم يقدم شيئاً عن بنى مزيد بالرغم من أن أول إشارة إليهم قد وردت بحدود سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م.

ومع الإستمرارية التى لحظناها فى تاريخ الطبرى وتتماته وتاريخ المسعودى ومسكويه فإن هناك تواريخاً فى غاية الأهمية لكنها لم تصلنا لحد الآن مثلاً كتاب أبى محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغانى (المتوفى ٣٦٢هـ/٩٧٢م) المعروف بأنه صاحب الطبرى، وذيل الفرغانى تاريخ الرسل والملوك وأطلق عليه تسمية المذيل على تاريخ الطبرى[١]. وقد أشار القفطى الى أنه تاريخ يحتوى على تفصيلاتٍ تاريخية مهمة عن جوانب شتى من تاريخ العراق. وتاريخ الفرغانى ضائع، وأن الفترة التاريخية التى يغطيها لا تتعلق بتاريخ المزيديين. كما أن تاريخ ثابت بن سنان الذى يأتى ترتيبه بعد المذيل للفرغانى يصل الى الحقبة التى ظهر فيها المزيديون أول مرة لأنه ينتهى بحوادث سنة ٣٦٠هـ أو أواخر سنة ٣٦٣هـ لكن لا نملك على روايته فى المصادر التى أقتبست من كتابه. وأن الكتاب المهم الذى غطّى الفترة البويهية هو كتاب هلال بن المحسن الصابى (المتوفى ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فقد أوصل تاريخ ثابت بن سنان من حيث أنتهى الى سنة ٤٤٧هـ[٢]. بمعنى أن هلال فى تاريخه هذا عن العراق

---

١. ينظر عن الفرغانى: عريب القرطبى: صلة تاريخ الطبرى، (ليدن، ١٨٩٧م)، ص١٥٦ـ١٥٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، (دمشق)، ج٧، ص٢٧٧؛ F.Rosenthal: A history of Muslim Historiography (Leiden ١٩٦٦) p. ٨٢ وقد ترجمه الدكتور صالح أحمد العلى (علم التاريخ عند المسلمين) ص١١٧ـ١١٨؛ ومقالة: al-Farghani فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة بالإنجليزية) vol. ٨ p. ٧٩٣ by Rosenthal.

٢. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١، ص٣٢٤ـ٣٨٥.

(إذ وصلنا عنوانه بأسم التاريخ) هو الذى يقدّم معلومات أساسية عن بنى مزيد منذ بدء تأسيس الإمارة الى حدود سنة ۴۴۷هـ ولهلال الصابى عدّة كتب أخرى تدخل فتراتها ضمن تاريخ المزيديين أحدهما كتاب أخبار بغداد وهو كتاب ضائع فربما كان يتضمن خطط بغداد العمرانية على النسق الذى نجده فى المائة صفحة الأولى من كتاب الخطيب البغدادى، أو أنه كان يتضمن أيضاً معلومات عن تاريخ بغداد السياسى وهنا لا بد أن يأتى الصابى على ذكر بنى مزيد لكن لا دليل مؤكد لدينا. وله كتاب مهم آخر عن أخبار الوزير البويهى المعروف أبى محمد الحسن المهلبى المتوفى سنة ۳۵۲هـ/۹۶۳م، ففى زمن هذا الوزير وردت أول إشارة عن منحه حماية سورا لمزيد جدّ المزيديين سنة ۳۴۵هـ/۰۵۶م. إنه مجرد تخمين وذلک لعدم توافر الكتاب بين أيدينا وبسبب عدم أعتماد المؤرخين عليه أو عدم الإشارة الصريحة إليه من قبلهم فمن المُحتمل أن أبا شُجاع الروذراورى أو ممن ألّف عن الوزارة أو ابن الجوزى وسبط ابن الجوزى وياقوت الحموى قد ذكروا أخباراً، مع أنهم قد أعتمدوا عليه فى ترجمة الوزير المهلبى الذى أدى دوراً مهماً خلال عهد الأمير معز الدولة البويهى لكنهم أغفلوا الإشارة إليه. وهذه حالة نألف وجودها عند ابن الجوزى وابن الأثير بما له علاقة بعدم ذكرهما تواريخ ثابت بن سنان والصابى.

أما بخصوص تاريخ الصابى فإنه حسب أوصاف المؤرخين والعلماء كتاب مهم. والمعروف أن تاريخه يعدّ تاريخاً معاصراً للأحداث السياسية والإدارية والإجتماعية والإقتصادية والعلمية لإهتمامه بأمور الفلک والطب والعلوم الأخرى. يُضاف الى ذلک كون الصابى قريب جداً من الوثائق فى ديوان الإنشاء الذى كان يعمل به وربما الوثائق التى ترد السلطة المركزية بأعتباره كاتباً قديراً. ولهذا السبب أيضاً ربما طوّر علاقاتٍ وثيقة جداً

بالإداريين الكبار العاملين مع البويهيين بل ربما مع الأمراء البويهيين أنفسهم. والدليل على أهمية (تاريخ) الصابى أنه يقع فى أربعين مجلداً تغطى جميع الفترة المذكورة آنفاً. ولسوء الحظ فإن هذه الأربعين مجلداً قد فقدت أو ضاعت أو أتلفت ولم يبق إلا أخباراً للأحداث التى وقعت خلال أربع سنوات فقط من سنة ٣٨٩ـ٣٩٣هـ/٩٩٨ـ١٠٠١م وقد ألحقت هذه الأحداث بتاريخ أبى شجاع الروذراورى أو بجزء من تاريخ هذا الوزير المشهور الموسوم (ذيل تجارب الأمم)[١]. مع أعتقادى أن هذه الأحداث للأربع سنوات التى بقيت سالمة ربما تمثل جزءاً من أصل الأحداث فى صيغتها الأصلية لا جميعها، إذ أن تاريخ الصابى قد وصف بأنه تاريخ مفصل كثيراً.

فالخسارة التاريخية لفقدان هذه المؤلفات هى خسارة كبيرة لتاريخ العراق من سنة ٢٩٥هـ الى سنة ٤٧٠هـ إذا ما أضفنا ابن الصابى محمد المعروف بغرس النعمة الذى ذيّل على كتاب أبيه (تاريخ الصابى). ويعرض جمال الدين القفطى تفصيلاً رائعاً لما نحن بصدده إذ أنه يسجل تسلسل هذه التواريخ التى فقدت الآن بعين مؤرخ دقيق ويوصلها الى العقد الأول من القرن السابع الهجرى، والقفطى توفى فى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م. ولأهمية عرض القفطى وروعته سوف ننص على أقتباسه وهو يبتدأ بتاريخ الطبرى وتاريخ ثابت بن سنان، يقول: "وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور فى الآفاق الذى ما كتب كتاب فى التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين وستين وثلثمائة وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم ولولاهما لجهل شئ كثير من التاريخ فى المدتين [فما بال القفطى رحمه الله ونحن

١. ذيل تجارب الأمم، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

الآن نجهل هذه التواريخ وغيرها؟] وإذا أردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليک بكتاب أبى جعفر الطبرى رضى الله عنه فإنه من أول العالم والى سنة تسع وثلثمائة [نلاحظ أهمية هذا التحديد التاريخى للفترة التى غطاها تاريخ الطبرى فالمتوافر من التاريخ ينتهى فى سنة ٣٠٢هـ وليس ٣٠٩هـ وهو أمر مثير ويثير التساؤل فيما إذا كان القفطى قد أخطأ القول أو أن الناسخ وقع فى الخطأ أم أن تاريخ الطبرى قد أنتهى فعلاً واصلاً فى سنة ٣٠٩هـ أى قبل وفاته بسنة أم ربما هناک أكثر من نسخة من تاريخ الطبرى وأن النسخة الموجودة ناقصة بينما أعتمد القفطى على نسخة جديدة أوصلها الطبرى الى سنة ٣٠٩هـ والله أعلم] ومتى شئت أن تقرن كتاب أحمد بن أبى طاهر وولده عبيد الله [المقصود هنا آل طيفور أحمد وعبيد الله وهما قد صنفا كتاباً فى مجلدات عن بغداد لا يُضاهيه كتاب آخر وكان مرتباً حسب الخلفاء العباسيين وقد أصدر بيت الحكمة كتاباً بعنوان (تاريخ بغداد) لأبن طيفور جمعت فيه الباحثة التى أعدت الدراسة الإقتباسات الواردة فى المؤلفات التاريخية والأدبية][1].

فنعم ما تفعل لأنهما بالغا فى ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأتِ به الطبرى بمفرده وهما فى الأنتهاء قريبا المدة، والطبرى أزيد منهما قليلاً. ثم يتلوه كتاب ثابت فإنه يُداخل الطبرى فى بعض السنين ويبلغ الى بعض سنة ثلاث وستين وثلثمائة. فإن قرنت به كتاب الفرغانى الذى ذيّل به كتاب الطبرى فنعم الفعل تفعله فإن فى كتاب الفرغانى بسطاً أكثر من كتاب ثابت فى بعض الأماكن. ثم كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى فإنه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة. ولم يتعرض أحد فى

---

١. عبد الحميد، د. سلمى.

مدته الى ما تعرض له من أحكام الأمور والإطلاع على أسرار الدول وذلک أنه أخذ ذلک عن جده لأنه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع وتولى هو الإنشاء أيضاً فإستعان بعلم الأخبار الواردة على جمعه. ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال وهو كتاب حسن الى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل وقصر فى آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به. ثم داخله ابن الهمدانى وتممه الى بعض سنة أثنتى عشرة وخمسمائة. وكمل عليه أبو الحسن الزاغونى فأتى بما لا يُشفى الغليل إذ لم يكن ذلک من صناعته فأوصله الى سنة سبع وعشرين. ثم كمّل عليه العفيف صدقة الحداد الى سنة نيف وسبعين وخمسمائة. ثم كمل عليه ابن الجوزى الى بعد سنة ثمانين. ثم كمل عليه ابن القادس الى سنة ست عشرة وستمائة"[1].

لذلک ـ وكما ألمحنا ـ أن فقدان هذه السلسلة المتواصلة من تاريخ العراق فى القرون الرابعة والخامسة والسادسة أدى الى ضياع فقراتٍ مهمة جداً من تاريخ القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى حيث ولادة الإمارة المزيدية. ولما كانت ولادتها لها علاقة بالمؤسسة السياسية والإدارية العباسية، وأقصد الخلافة والدولة البويهية والسلجوقية ووزارة البويهيين، فعلينا أن نتخيل حجم ومقدار وأهمية المعلومات التى ضاعت. والمؤسف أن ابن الجوزى فى المنتظم لا يحتوى على تفصيلاتٍ تاريخية وبخاصة خلال السنوات الأخيرة. مع أنه كان مطلعاً على هذه التواريخ ولاسيما تواريخ ثابت والصابى وغرس النعمة. فضلاً عن أن ابن الجوزى وابن الأثير وهما يعتمدان أو ينقلان من هذه التواريخ الضائعة، لم يصرحا بتسمية تواريخها الأمر الذى خلّف صعوبةً فى معرفة مصدر معلوماتها ولولا توافر مرآة الزمان لسبط

١. القفطى، جمال الدين أبى الحسن: كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت: دار الآثار)، ص٧٧ـ٧٨.

ابن الجوزى [المفصّل منه] لما عرفنا حقيقة منهجية كل من ثابت والصابى وغرس النعمة أو أهمية المعلومات التى ضمنوها تواريخهم. ومع وجود هذه الإشكالية فإنه من حسن الحظ القول أن عدداً من المؤرخين الذين أعتمدوا إعتماداً مباشراً وكثيراً على هذه التواريخ الضائعة قد أدت خدمةً علميةً لا تقدر، وبالأخص ما دوّنه سبط ابن الجوزى فى النسخة التى لم تحقق من مرآة الزمان فى أسطنبول، ولعل من الصحيح القول بأن الأستاذ على سويم قد حقق نسخة مختصرة[1] من المرآة تمثل جزءاً من تاريخ السلاجقة فى العراق. وحققت جنان جليل الهموندى ما يتعلق بالفترة البويهية معتمدةً على نسخة مصورة للمرآة فى المتحف البريطانى[2]. وقد أعتمدت فى دراساتى على النسخة المطولة المهمة جداً للمرآة فى أسطنبول التى تحتوى على معلوماتٍ قيّمة أقتبسها سبط ابن الجوزى من تواريخ ثابت والصابى والفرغانى.

أما المنتظم لأبن الجوزى البغدادى الحنبلى (٥١٠ـ٥٩٧هـ/١١١٦ـ١٢٠٠م) فقد عاصر مؤلفه بعض الحوادث السياسية المتأخرة بين بنى مزيد وسلطة بغداد. وعاش قريباً منها. ولا يُستبعد أنه أخذ معلوماته ممن لهم علاقة بالحوادث وممن شاهدها، ومعلوماته عنهم مهمة، لكنها قليلة إذا ما قورنت بتلك الأخبار عن الخليفة والسلطان. فهو يقدم لنا معلوماتٍ عن بنى مزيد فى إطار علاقتهم بسلطة بغداد. كما أن لمعلوماته أهمية فى السياسة والحروب والإدارة والعلاقة بين المزيديين والسلطة المركزية. وابن الجوزى يمثل وجهة نظر السلطة فى

---

١. مرآة الزمان.

٢. مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان لسب ابن الجوزى: (تحقيق: جنان جليل محمد الهموندى/ بغداد، ١٩٩٠م).

بغداد، ولا يخفى تحيزه ضد المزيديين. إلا أنه مع كل هذا يعدّ من أهم المصادر التى أعتمدتُ عليها فى البحث. وهناک أكثر من دليل على أنه أعتمد إعتماداً كثيراً على تاريخ ثابت وتاريخ الصابى[1].

وقد عرض ابن الأثير (توفى ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) فى كتابه الكامل فى التاريخ معلوماتٍ قيّمة عن الأمور السياسية والعسكرية والإدارية وعن مواطن القبائل العربية فى العراق وعلاقتهم ببنى مزيد. غير أن ابن الأثير لم يشر الى المصادر التى أستقى منها معلوماته، وفى الكثير منها نجد تشابهاً مع المعلومات التى يقدمها ابن الجوزى، وخاصةً فى الروايات القصيرة فإن التشابه يكاد يكون حرفياً. ولهذا فمن المُحتمل جداً أن يكون ابن الأثير قد أعتمد على ابن الجوزى، أو أنهما أعتمدا على مصادر واحدة كتاريخ ثابت بن سنان، والفرغانى، وهلال بن المحسن الصابى. وفى الوقت ذاته فإن ابن الأثير يورد تفصيلاتٍ لم يذكرها ابن الجوزى، مثلاً فى قتل صدقة بن مزيد سنة ٥٠١هـ وابن الأثير هو الآخر قد نقل معلوماتٍ كثيرة عن بنى مزيد أو تاريخ العراق من تاريخ ثابت وتاريخ الصابى.

إن كلاً من ابن الجوزى وابن الأثير، عنى بما له علاقة مباشرة بالسلطة. كما أنهما ركزا إهتمامهما بالناحية السياسية والحروب فأسهبا فيها دون الإهتمام بالنواحى العمرانية أو بالأمور الإقتصادية أو الإدارية أو الجيش، حيث لا يذكران ذلک إلا عرضاً. لهذا كانا من أوسع المصادر التى أعتمدت عليها فى النواحى السياسية، والحروب، وعلاقة المزيديين بسلطة بغداد.

---

١. ينظر: ناجى، د. عبد الجبار: (تاريخ مهم)، ص٢٤٠ـ٢٤١؛ البهادلى، د. حسين: هلال بن المحسن الصابى ومنهجه فى كتابة التاريخ، فى مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، عدد١٨/ ٢٠٠٦، ص١٧٥ـ١٧٦.

وفى كتاب مرآة الزمان لمؤلفه سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وخاصةً المخطوط الذى يوجد فى أسطنبول[١] مادة غنية جداً. وأما المادة الموجودة فى القسم المطبوع فإنها مختصرة كثيراً وهى تكرار لما جاء عند جده ابن الجوزى. سبط ابن الجوزى يصرح فى القسم المخطوط عن مصادره فيذكر أن أهمها تاريخ ثابت ابن سنان، وتاريخ الصابى، وتاريخ ابنه غرس النعمة، وهذه التواريخ مع الأسف مفقودة.

أما أبو الفداء فى المختصر فى أخبار البشر، وابن الوردى فى كتاب تتمة المختصر فقد تابعا ابن الأثير بصورةٍ عامة. كما فعل ذلک ابن العبرى فى كتابه مختصر الدول. أما المعلومات التى جاءت فى مخطوطة المسجد المسبوک المنسوبة الى على بن الحسن الخزرجى الأنصارى[٢]، فإنها تمثل فترة متأخرة، وقد أعتمد فى أخبار العراق، وخاصة المتعلقة ببنى مزيد، على ابن الجوزى وبعد فترة ابن الجوزى أخذ أكثر الأخبار عن ابن الأثير.

مما تقدم يظهر أن ما أوردته المصادر السابقة عن الدولة المزيدية هى مختصرات لأبن الجوزى وابن الأثير، فقد تابعتهما فى المادة والأسلوب، ولكن رواياتهم مركزة وواضحة من غير إسهاب أو تطويل. وبذلک فإنها أفادت فى تثبيت الصفة العامة للرواية التى يفصل فيها ابن الجوزى وابن الأثير كثيراً. إن معلومات هذه الكتب مرتبة على السنين، فهى تحدد زمن الحوادث وتعاقبها.

---

١. سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان (مخطوطة فى مكتبة أحمد الثالث)، رقم: .No. ٢٩٠٧ c. حقق على سويم القسم الخاص بالسلاجقة وقد أعتمدت هذا القسم المحقق أيضاً.

٢. المسجد المسبوک والجوهر المحكوک فى طبقات الخلفاء والملوک للملک الأشرف الغسانى (بغداد: دار البيان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). وحقق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الجزء الثانى وأفصح فى دراسته فى أن ينسب المسجد الى الملک الأشرف الغسانى وليس للخزرجى.

أما ابن خلدون فإنه ردد ما أورده ابن الأثير، إلا أنه أتبع أسلوباً جديداً فى كتابته حيث جمع الروايات الخاصة ببنى مزيد، وجعلها موضوعاً خاصاً متسلسلاً دون أتباع نظام السنين فهو من جهة يقدم للقارئ فكرة عامة عن الموضوع، ولكنه لا يذكر متى حدث ذلک، لذا فإنه يُتعب القارئ فى التفتيش عن سنة الحادثة. وهو أيضاً يهتم بالنواحى السياسية بالدرجة الأولى، وقد خصص فصولاً طويلة عن القبائل أفادتنا كثيراً.

ومن الكتب عن الدولة السلجوقية، أخبار الدولة السلجوقية للحسنى (المتوفى ٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، وكتاب دولة آل سلجوق للبندارى (المتوفى ٦٤٣هـ/١٢٤٥م). وقد أشارا الى بنى مزيد إشاراتٍ عرضيّةٍ مهمة. وقد ردد البندارى ما جاء به الحسينى، ونقل عنه فى بعض المواضع حرفياً. وهذان الكتابان من المراجع الرئيسية والمهمة فى موضوع السلاجقة، وفيها معلوماتٍ مهمة، ولكنها قليلة وعرضية والتى لها علاقة بالسلطان مع الأمير المزيدى. وقد أخذ الحسينى بعض معلوماته من ابن الجوزى وابن الأثير، ولكنه أضاف إليها وخالفها أحياناً.

وقد ذكر ابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) فى ذيل تاريخ دمشق بعض الروايات العراقية، والظاهر أنه أخذها من العراقيين القادمين الى الشام. وفى بعض رواياته أختلاف عمّا ذكره المؤرخون العراقيون. غير أن المعلومات التى قدمها ـ عن بنى مزيد بصورةٍ خاصة ـ قليلة إلا فى علاقة المزيديين بالشام، وفى بيان توزيع القبائل العربية فى تلک المنطقة. وابن القلانسى أعتمد عليه ابن العديم فى زبدة الحلب، وخاصةً فى موضوع أعتقال دبيس بن

صدقة فی دمشق سنة ۵۲۵هـ/۱۱۳۰م [۱] وکذلک سبط ابن الجوزی فی روایاته عن الشام، وخاصةً فی خبر أسر دبیس عندما کان ذاهباً الی قلعة صرخد[۲]. کما أن ابن العدیم أعتمد علی کتاب ابن الجوزی خاصةً فی الروایات العراقیة.

أما ابن واصل (ت ۶۹۷هـ) فی کتابه مفرج الکروب، فقد أعتمد علی ابن الأثیر، ویظهر هذا فی قصة أسر دبیس وحمله الی صاحب دمشق سنة ۵۲۵هـ حیث نقلها حرفیاً[۳]. وروایاته عن بنی مزید أیضاً قلیلة وعرضیة وأوسع معلوماته کانت عن دبیس بن صدقة، وخاصةً عند ذهابه الی الشام.

أما الأمور الإداریة والأمور الخاصة بالشؤون العسکریة، فلیس فیها کتاب جامع أو مخصص، ولکن توجد عنها إشاراتٍ فی کتب التاریخ مثل ابن الجوزی وابن الأثیر وأبی الفداء وابن کثیر. ولهذه الإشارات قیمة هامة فی تلک الأمور، حیث أمدتنا بنصوصٍ ومعلوماتٍ طریفة.

قدمت کتب التراجم معلوماتٍ تاریخیة وعسکریة وإداریة، فضلاً عن مادتها الأدبیة وأهمها معجم الأدباء لیاقوت الحموی، ووفیات الأعیان لأبن خلکان، والوافی بالوفیات للصفدی، وشذرات الذهب لأبن العماد الحنبلی، وهؤلاء یقدمون تراجم لشخصیاتٍ متعددة وتتخلل تلک التراجم مادة تأریخیة مهمة. فإبن خلکان قدّم عدّة روایات عن مقتل دبیس بن صدقة، أخذها عن بعض الکتب القدیمة مثل تاریخ المأمونی أو عن تاریخ ابن المستوفی،

---

۱. ابن القلانسی: ذیل دمشق، ص۲۵۱؛ ابن العدیم: زبدة الحلب، ج۲، ص۲۴۸.

۲. ابن القلانسی: ص۲۳۱؛ سبط ابن الجوزی: مرآة الزمان، ج۸، ص۱۳۶.

۳. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۲۵۴؛ ابن واصل: مفرج الکروب، ج۱، ص۴۴ـ۴۵.

وهذه الكتب غير موجودة الآن، وأغلب الظن أنها أقدم من فترة ابن خلكان. غير أن المادة التاريخية والإدارية عند ابن خلكان قليلة جداً إذا ما قورنت بالمعلومات الأدبية، إذ أنه يُفصّل فى الأشعار والشعراء المدّاحين. ثم أنه يعرض الرواية التاريخية بشكلٍ مبتور، فمثلاً يكتب نسب صدقة وترجمة حياته ثم يقول أنظر الناشرى ـ أحد أنساب بنى مزيد ـ دون أن يذكر هذه التكملة فى بعض الأحيان. أما الصفدى فقد أتبع نفس إسلوب ابن خلكان، إلا أن تراجمه مختصرة، وقد أورد مادةً جديدةً عن بعض الأمراء المزيديين المتأخرين، الذين لا تذكرهم المصادر الأخرى مثل ترجمته لعلى بن دبيس بن صدقة سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م. وتراجمه تتضمن مادة أدبية أكثر من كونها تأريخية.

أما كتب الأنساب ففيها معلوماتٍ طيبة عن العشائر البدوية، وأهمها الأنساب لأبن الكلبى الذى كان عمدة من كتب عن النسب. فهو فى كتابته عن نسب أية قبيلة يذكر القبيلة الأم ثم بطونها. مع ذكر عدّة أشخاص ينتمون للقبيلة أو البطن ممن يشتهرون بالشعر أو الشجاعة أو ممن تسلموا بعض الوظائف. وقد نقل معظمه ابن حزم فى جمهرة الأنساب مع حذف كثير من الأشياء المهمة كحذفه بطون بنى خفاجة الإحدى عشرة التى ذكرها ابن الكلبى. أما ابن دريد فقد بحث فى كتابه الإشتقاق أنساب العرب، إلا أنه لم يأتِ بمثل التفصيلات التى جاء بها ابن حزم والتى كانت مادة رئيسية لشجرات أنساب القبائل المختلفة. والسمعانى فى الأنساب أستمد أكثر معلوماته عن ابن الكلبى مع إضافة ذكر بعض المشهورين من رجال القبائل الى زمانه. وقد لخص ابن الأثير فى اللباب ما أورده السمعانى مع بعض الإضافات. وفى المجلد الثانى والسادس من تاريخ ابن خلدون مادة كثيرة عن القبائل وأنسابها. وقد نقل القلقشندى عن ابن خلدون أكثر معلوماته فى الأنساب فى كتبه نهاية الإرب وصبح الأعشى وقلائد

الجمان، وكذلک السويدى فى سبائک الذهب. وفى نهاية الإرب للنويرى بعض الروايات المستمدة من ابن الكلبى بالإضافة الى المعلومات التى أخذها من مصادر أخرى. من كل هذا يظهر أن ابن الكلبى كان المصدر الرئيسى الذى أعتمدت عليه أغلب كتب الأنساب. كما أنه ينبغى أن لا ننسى بأن بعض تلک الكتب أمتازت عن كتاب ابن الكلبى، فى أنها جامعة لعدّة أنساب، فضلاً عن إهتمامها بمواضيع أخرى غير النسب. أما الكتب التى أختصت بالأنساب رددت، على الأغلب ما أورده ابن الكلبى.

أما عن أماكن سكنى القبائل فى الجزيرة العربية، فأخص بالذكر الأصمعى عند ياقوت وما قدمه لغده فى مخطوطة عن أماكن القبائل فى الجزيرة العربية، وفيه عدد كثير من الأسماء تتفق وما أورده الأصمعى. وقد ذكر عرام فى جبال تهامة بعض الأمكنة أيضاً. وفى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى وصف لأماكن سكنى بعض القبائل. كما يوجد فى كتابى النقائض لأبى عبيدة والأغانى لأبى الفرج ذكر لأيام العرب فى الجاهلية وبعض مواطنها. غير أن هذه المعلومات تتعلق بالفترة الأولى من الإسلام، وليس من المحتم أنها بقيت على حالتها حتى القرن الخامس الهجرى كما أنها تهتم بالجزيرة العربية.

وفى توزيع مناطق سكنى القبائل فى المناطق الأخرى غير الجزيرة العربية، أعتمدت على كتب مختلفة، أهمها أنساب الأشراف وفتوح البلدان للبلاذرى والبلدان لليعقوبى، وتاريخ الأمم والملوک للطبرى غير أنها معلوماتٍ قليلة، وفى ثنايا الروايات التاريخية. وفى تجارب الأمم لمسكويه، وتكملة الطبرى لمحمد بن عبد الملک الهمدانى رواياتٍ فردية إلا أنها قيّمة عن توزيع القبائل.

وقد ذكر ابن الأثير رواياتٍ كثيرة عن قبائل مختلفة، وأغلب رواياته تمثل القرن الرابع

والخامس والسادس، مثلاً عن بنى عقيل فى الشام والعراق، وعن بنى خفاجة فى الشام والعراق، وعن بنى المنتفق فى العراق وغيرها من القبائل. كل هذا فى ثنايا بحثه عن الحوادث التاريخية والسياسية. ولهذا أهمية أخرى إذ يظهر فعاليات القبيلة من الناحية السياسية، فضلاً عن تحديد موقعها.

وفى زبدة الحلب لأبن العديم معلوماتٍ تبين مواطن القبائل فى الشام والجزيرة تمثل القرن الرابع والخامس الهجرى، ولتلك المعلومات أهمية بارزة، لأن المؤلف من أهل هذه المنطقة. غير أنها روايات فردية وقليلة وتوجد فى ثنايا الروايات التاريخية أيضاً.

أما المؤلفات البلدانية والجغرافية فإن فيها معلوماتٍ قيّمة عن أنهار منطقة الفرات الأوسط، ونوع تربتها، والحاصلات الزراعية فيها، والأمور الإقتصادية والإجتماعية الأخرى. وأهمها كتاب مختصر البلدان لأبن الفقيه، والبلدان لليعقوبى، وعجائب الأقاليم لسهراب، والجزء الأول من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى. إن المادة التى قدمها أولئك الجغرافيون هى الأساس لمعرفة أتجاه وأسماء الأنهار خلال فترات زمنية مختلفة. وقد فصّل سهراب فى أنهار المنطقة والمدن التى تمر بها هذه الأنهار. وكانت إشارات الخطيب لتلك الأنهار عرضية أقل من أهتمامه بأنهار بغداد. ولكننا لا نعلم هل أن سهراب درس هذه الأنهار ولاحظها بصورةٍ عملية، أم أنه أخذ المعلومات من أوصاف الناس لها؟ كما أن أغلب الكتب التى بين أيدينا تمثل القرن الرابع، أى قبل عهد بنى مزيد، لذلك لا نعلم هل أن تلك الأوصاف بقيت على حالها أم تغيرت؟

وللمسعودى مكانة خاصة، حيث قدم أوصافاً ومعلوماتٍ طريفة، وبعضها لم يسبقه فيه أحد. كما أنه أمدنا بمعلوماتٍ طيبة فى موضوع القبائل وفى الناحية الإقتصادية.

وقد قدم ابن خرداذبة مادةً جيدة عن الأنهار، والمنتوجات الزراعية، وتوزيع زراعتها على مدن المنطقة. وقد نقل قدامة معلومات ابن خرداذبة حرفياً، وأضاف بعض الإضافات الأخرى.

وقدّم ابن رستة فى كتابه الأعلاق النفيسة معلوماتٍ مهمة ودقيقة عن أبعاد الطريق من بغداد الى الكوفة. أما المقدسى فيعتبر الجغرافى الأول إذ قدم فى أحسن التقاسيم معلوماتٍ إدارية وإقتصادية عن المدن فى منطقة الفرات الأوسط، رغم أستعماله إصطلاحاتٍ غير واضحة فى هذا الموضوع، كما أنه وصف طريق الحجّاج. أما ياقوت الحموى فى معجم البلدان فقد أفادنا فى وصف الأنهار والمدن، والقرى المحيطة بالمدن ـ كالحلّة والنيل وبابل ـ ولا يُستبعد أنه زار المنطقة، أو أخذها من بعض الكتب، أو من أقوال المسافرين. غير أن ياقوت فى كثيرٍ من الروايات الجغرافية المهمة لا يذكر إسنادها، مما يؤدى بنا الى التساؤل فيما إذا كانت موجودة فى زمنه أو قبل ذک؟ وقد ردد صاحب مراصد الإطلاع ما قاله ياقوت بأختصار. وأعتمد على ياقوت أيضاً أبو الفداء فى كتاب تقويم البلدان، وأخذ أكثر معلوماته من كتاب المشترک لياقوت.

أما العمرى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فقد أورد فى مسالک الأبصار روايةً طريفة عن وصف نهر الفرات. أما شيخ الربوة الدمشقى فى كتاب نخبة الدهر فأغلب أوصافه غامضة، وفيها كثير من الخطأ وعدم الأهتمام بجغرافية العراق، وخاصةً بالنسبة للأنهار. والظاهر أن لكتابه أهميةً فى جغرافية الشام أكثر من جغرافية العراق.

وفی کتب الرحلات مادة غنیة، من حیث وصف المدن التی تقع فی طریق رحلاتهم، وقد تطرق بعضهم الی وصف أسواق تلک المدن وجسورها ـ إن وجدت ـ وصناعاتها. ومن أبرزهم بنیامین التطیلی، الذی هدف من وراء رحلته إبراز عدد أماکن الیهود فی المدن العراقیة والإسلامیة. ولا شک أنه یبالغ فی کلامه عن الیهود، ویحاول إبراز أهمیتهم وکبر حجمهم السکانی. أما ابن جبیر، فی القرن السادس، وابن بطوطة، فی القرن السابع، فقد قدما معلوماتٍ دقیقة وواضحة عن مدینة الحلّة، التی کانت تقع علی طریق الحج.

وفی الکتب الأدبیة مادة غیر قلیلة، ویمکن تصنیفها الی نوعین، الکتب التی لها طابع تاریخی، والتی قدمت لنا بعض المعلومات عن صفات أمراء بنی مزید والشعراء الذین مدحوهم، کدیوان مهیار الدیلمی، وأرجوزة الصادح والباغم التی ألفها ابن الهباریة للأمیر صدقة المزیدی، وکتاب خریدة القصر للعماد الأصبهانی، ودیوان الأبیوردی. والأبیوردی ذهب الی الحلّة وأکرمه الأمیر صدقة. ودیوان المؤید فی الدین الوزیر الفاطمی وقد جاء المؤید الی الشام وأتصل بالبساسیری، وقد قدّم معلوماتٍ تاریخیة عن موقف دبیس بن علی بن مزید والبساسیری من الخلیفة الفاطمی، فهو من المصادر المعاصرة لهذه الحوادث[1]. ومن نقائض هذه الکتب أنها تکتب المدیح للحصول علی المال بالدرجة الأولی، لذا فإنها تُظهر الجانب الإیجابی کالکرم والشجاعة والمروءة بینما تترک بعض الجوانب السیاسیة التی تهمنا أکثر من تلک الصفات.

والنوع الثانی هو الکتب الأدبیة التی أمدتنا ببعض المعلومات الإقتصادیة، مثلاً عن أنواع المزروعات والفواکه والحبوب الموجودة فی بعض مدن الفرات الأوسط. وأخصّ بالذکر

---

۱. عن قیمة کتاب المؤید فی الـدین أنظـر: Husain F. al-Hamdani: ,The history of the Isma'ili Da'wa and its literature during the last phase of the Fatimid Einpire' in JRAS (۱۹۳۲) p. ۱۳.

الدلائل والإعتبار للجاحظ، وعيون الأخبار لأبن قتيبة الدينورى، والأغانى للأصفهانى والفرج بعد الشدة للتنوخى، والديارات للشابشتى، ولطائف المعارف للثعالبى. إلا أن هذه المصادر تمثل فترة قديمة وبعيدة عن فترة بنى مزيد، لذا فإنها قدمت ما كان موجوداً من تلك الأمور فى المنطقة فى ذلك الزمن، كما أنها لم تكن متخصصة فى البحوث الإقتصادية، فهى ذكرت تلك المواد فى ثنايا بعض المواضيع الأدبية. ومن جهةٍ أخرى فإنه لم توجد كتب إقتصادية جغرافية تناولت هذه المواضيع فى الفترة المزيدية، كما لم يوجد ذكر لتلك الأمور حتى فى الكتب التاريخية والأدبية المعاصرة لهذه الفترة، مما جعلنا نعتمد على تلك المصادر بأعتبارها تعطينا فكرة عامة عن تلك المواضيع.

وأخيراً لا بدّ من الإشارة الى بعض القواميس العربية، التى أفادتنا فى بيان أماكن سكنى القبائل فى الجزيرة العربية، كما أوضحت معانى بعض الإصطلاحات الإدارية والزراعية كالدهقان والكورة، ومنها الصحاح للجوهرى، ولسان العرب لأبن منظور، وتاج العروس للزبيدى. ولكن هذه المصادر تقدم تعاريف قديمة، فمثلاً ابن منظور ينقل بعض ما جاء فى الصحاح دون أن نعرف هل أن مثل ذلك التفسير ظلّ مستعملاً الى فترةٍ متأخرة أم أن أستعماله قد أندثر؟

ص: ۴۷

الفصل الثانى

بنو مزيد (بنو أسد) والقبائل العربية فى الفرات الأوسط

توزيع جغرافى للقبائل العربية

لقد كان العراق منذ أزمنة قديمة جداً موطناً تهاجر إليه القبائل العربية، فقد هاجر عند الفتح الإسلامى عدد كبير من مختلف عشائر الجزيرة العربية، وأستوطن أغلبهم الأمصار الإسلامية ثم تحضروا[١]. وضعفت صلتهم بالحياة البدوية الصحراوية، وبالبدو الذين كانوا ينتقلون فى الصحراء أو فى أطراف الأمصار. بينما ظلت قبائل عربية أخرى تستوطن الريف والبادية فى العراق، ولم تتأثر بالنظم الحضرية السائدة فيها. ففى فترة الفتح الإسلامى كانت أكثر عشائر بكر وبطونها مقيمة فى أطراف العراق الغربية، وأطراف البحرين واليمامة والأُبلة[٢].

---

١. أستوطن البصرة والكوفة عدد من القبائل، لكل منها خطة معلومة. أنظر: صالح العلى: التنظيمات الإجتماعية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى، الفصل الأول؛ ماسنيون: خطط الكوفة، ص١٠، ١١.

٢. البلاذرى: فتوح، ص٧٨؛ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، مجلد١، ص١٩٥٨؛ دائرة المعارف الإسلامية: الترجمة العربية،ينظر أيضاً مقالة (٢) .E.I in (Bakr) دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة، بقلم: ج۴، ص۴١؛ صالح العلى: التنظيمات، ص٢٣.

وكانت هذه القبائل تُغير على المناطق المجاورة لها، والتابعة للساسانيين مما أدى الى إصطدام الملوك الفرس بها[1]. وفى القرن الثانى للهجرة ورد ذكر أستيطان خفاجة فى أطراف رصافة هشام[2] وفى القرن الثالث الهجرى ذكرت الأخبار ما يُظهر سكنى أعراب بنى أسد وطئ وتميم فى أطراف الكوفة[3]. وكما كان يسكن بين البصرة والكوفة جماعة من بنى تميم وبنى أسد[4]. وفى سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م ذُكر بنو أسد فى نواحى عين التمر[5]. لقد كان أهل هذه القبائل بدو حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم البدوية، دون أن تؤثر فيهم الحياة المدنية. وقد لعبوا دوراً كبيراً فى الحياة السياسية فى العراق فى القرون الأخيرة إذ سيطر بعض تلك القبائل على أقسام من المناطق الخصبة فى العراق، كما فعل بنو عقيل وبنو مزيد مثلاً، بينما أستمر البعض الآخر منتهجاً حياة التنقل والرعى كما كانت تفعل خفاجة.

ومما يجدر ذكره أن القبائل العربية التى أتخذت منطقة الفرات الأوسط المنطقة الرئيسة لتحركاتها ونشاطاتها السياسية والإجتماعية كانت من الشيعة الإمامية.

وفى هذا الفصل سوف نستعرض طرق مهاجرة القبائل العربية عبر التاريخ وسُكناها فى منطقة الفرات الأوسط والمناطق القريبة الأخرى، ولاسيما تلك القبائل التى ذكر لها علاقة ببنى مزيد.

---

١. الطبرى: م١، ص١٠٢٩ـ١٠٣٢.

٢. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٧٨٥. عن الأصمعى.

٣. الطبرى: مجلد٣، ص١٦١٧، ٢٢١٧.

٤. الطبرى: مجلد٣، ص١٨٥٠ (سنة٢٥٧هجرية).

٥. نفس المصدر: مجلد٣، ص٢٢٥٩.

بنو شيبان[1]

كان لبنى شيبان عدّة بطون[2]. ولها فى الجزيرة العربية بعض المواقع والمياه[3].

وقد شاركت قبيلة بكر وشيبان فى الفتوح الإسلامية والثورات والحركات التى حدثت فى القرن الأول للهجرة[4]. وكان من مساكنهم فى العراق فى هذه الفترة منطقة ذى قار[5]، التى تقع بين الكوفة وواسط[6] وسكنوا البصرة وكان ماء سفوان عند جبل سنام لهم[7].

وفى العصر العباسى الأول أدى بنو شيبان دوراً مهماً فقد أنضم بعضهم الى الخوارج، كما

---

١. عن أنسابهم أنظر: ابن دريد: الأشتقاق، ص٣٧٢؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٢١؛ السمعانى: الأنساب، ص٣٤٣أ؛ ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج٢، ص٣٦؛ ابن خلدون: م٢، ص٦٢٥؛ القلقشندى: نهاية الإرب فى معرفة أنساب العرب، ص٣٠٩؛ صبح الأعشى، ج١، ص٣٣٨؛ النويرى: نهاية الإرب فى فنون الأدب، ج٢، ص٣٣٢ـ٣٣٣؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٩٥. ومقالة (Shayban) فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/ بالإنجليزية) بقلم الأستاذ: Th. Bianquis.

٢. أنظر: ابن دريد، ص٣٢١، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٧٢؛ النويرى: نهاية الإرب، ج٢، ص٣٣٢ـ٣٣٣؛ القلقشندى: نهاية الإرب، ص٣٠٩؛ صبح الأعشى، ج١، ص٣٣٨.

٣. أنظر: الأصفهانى: الأغانى، ج١١، ص٤٤؛ البكرى: معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٣، ص١٠٤٩، ج٤، ص١١١٠، ١٢٢٩، ١٣٦٢.

٤. البلاذرى: فتوح، ص٢٤١؛ الطبرى: م١، ص١٩٦١، ٢٠١٨، ٣١٣١، م٢، ص٤٣٥، ٤٦١، ٤٦٤، ٦٨٣، م٣، ص١٥٩٩، ١٩٢١، ١٩٢٢، ٢١٣٦، ٢١٣٧؛ صالح العلى: التنظيمات، ص٣١.

٥. الأغانى، ج٢، ص١٥؛ الطبرى: م١، ص١٠٢٨.

٦. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٠.

٧. ابن دريد: ص١٥٤؛ البكرى: ج٣، ص٧٤٠؛ القلقشندى: قلائد الجمان، ص٦٩.

أيدوا ثورة أبى السرايا[1]. وحاربهم المعتضد فى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م[2]، وأغاروا على الأنبار سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م فنهبوها[3]، كما هاجموا الخارجين من بغداد فى تلك السنة[4]. ومن مناطق سكناهم فى القرنين الثانى والثالث الهجريين الأنبار[5]، وشهرزور[6]. وتعدّ الجزيرة الفراتية[7] من المراكز المهمة فى سكنى بنى شيبان. فقد كان بنو ذهل يسكنونها[8]، وسكنوا الموصل[9]. أما تحديد ابن خلدون الذى يُفيد بأن لبنى شيبان "كثرةً فى صدر الإسلام وفى شرقى دجلة من جهات الموصل"[10] فهو غامض والأرجح أنه يريد القول بأنهم كانوا فى الجزيرة غرب الموصل. وسكنوا أيضاً مدينة الرحبة سنة ٥٠٠هـ[11] وفى مدينة الرقة[12]. إن كل ما وصلنا من معلوماتٍ عن علاقة بنى شيبان ببنى مزيد فى سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م هو أشتراكهم مع صدقة بن مزيد فى حربه ضد الخليفة[13]. ويعنى هذا أنهم كانوا يسكنون بالقرب من الحلّة،

---

١. الطبرى: م٣، ص٢١٣٦.

٢. ابن خلدون: م٣، ص٥١٥.

٣. الطبرى: م٣، ص٢١٨٨.

٤. ابن الأثير: ج٩، ص٣٤٢.

٥. الطبرى: م٣، ص٢١٨٩.

٦. ابن خلدون: م٤، ص٩٦٨.

٧. التى تقع بين الموصل والشام وسنشير إليها بالجزيرة تمييزاً عن جزيرة العرب.

٨. البلاذرى: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣١٨؛ الطبرى: م٣، ص٢١٣٦؛ ابن خلدون: م٣، ص٥١٥.

٩. ابن خلدون: م٤، ص٧٠٧، ٧٢٦.

١٠. نفس المصدر: م٢، ص٦٢٧؛ القلقشندى: نهاية، ص٣٠٩.

١١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦١؛ ابن خلدون: م٥، ص٣٤٧.

١٢. ابن خلدون: م٤، ص١٨٥.

١٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٩.

ومن المُحتمل أن إنضمام بنى شيبان للجيش كان على أساس الحصول على الغنائم والأموال، ويُحتمل كذلک أنهم أشتركوا أكثر من مرة تحت أسم الأعراب.

بنو نمير[1]

تعتبر نمير من القبائل العربية المشهورة بلقب جمرات العرب[2]. وكان لها عدّة بطون[3].

كان لبنى نمير فى الجاهلية أيام ووقائع[4]. كما ذُكر لهم عدّة مواضع وجبال فى الجزيرة العربية[5].

وأشتهرت بعض مواضعهم مثل عيصان بوجود المعدان[6].

---

۱. عن نسبهم أنظر: ابن دريد: ص۲۹۳؛ ابن حزم: ص۲۷۲؛ السمعانى: ص۵۷۰أ؛ ابن الأثير: اللباب، ج۳، ص۲۳۸؛ القلقشندى: نهاية، ص۴۳۳؛ ابن منظور: لسان العرب، ج۷، ص۹۴؛ الزبيدى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج۳، ص۵۸۶؛ السويدى: سبائک الذهب فى معرفة قبائل العرب، ص۴۲. ينظر مقالة: (Numayar) فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/ بالإنجليزية) بقلم: G. Levi Della Vida.

۲. ابن قتيبة: المعارف، ص۸۷؛ الجاحظ: الحيوان، ح۵، ص۱۲۳.

۳. الأغانى، ح۱۳، ص۱۸۴، ح۱۶، ص۳۱۰.

۴. الطبرى: م۳، ص۱۳۶۱.

۵. أنظر: لغدة: ص۳۴أ؛ الأغانى، ج۸، ص۱۴، ج۱۱، ص۱۳۷؛ البكرى: ج۲، ص۳۶۵، ج۳، ۷۹۶، ۹۹۸؛ ياقوت: البلدان، ج۱، ص۷۸، ۹۳، ج۲، ص۲۴ــ۲۸۹، ج۳، ص۵۸ــ۲۸۵، ۳۰۱، ۶۶۲، ج۴، ص۶۸، ۹۲، ۱۹۲، ۶۲۸، ۶۳۹، ۹۴۸؛ ابن منظور: ج۱، ص۲۰۹، ج۱۱، ص۷۶؛ الفيروزآبادى: القاموس المحيط، ج۱، ص۲۱۸، ۹۹، ج۲، ص۲۹۰، ج۳، ص۳۶، ۱۵۷، ۱۸۰، ۳۰۸؛ الزبيدى: تاج العروس، ج۲، ص۲۵۱، ج۳، ص۱۰ـ۲۱۵، ج۷، ص۲۴۸، ج۹، ص۱۵۲، ج۱۰، ص۷۹.

۶. لغدة، ص۵۰أ؛ ياقوت: البلدان، ج۳، ص۷۵۳.

وهناک بعض الأماکن التی تقع فی الیمامة وتُنسب لبنی نمیر منها قران[1] وقرما[2] وأضاخ[3] والوخراء[4] وأجوبة[5]، ومما یؤید ذلک قول البکری أن بنی نمیر کانت من بین القبائل التی نزلت الیمامة عند مجئ الإسلام[6]. وقد ذکرت مصادر القرن الثانی للهجرة أماکن سکناهم فی الیمامة مما یدل علی أنهم کانوا فیها آنذاک. إلا أننا لا نعرف متی تم أنتقالهم الی العراق. ومما یزید فی صعوبة الأمر، وجود بعض الروایات المتأخرة التی ذکرت بنی نمیر فی أماکنهم القدیمة، ففی سنة ۲۳۲هـ/۸۴۶م ذکر الطبری بعض الحوادث عن بنی نمیر وغارتهم علی الناس وعلی الیمامة[7]. وفی تلک السنة أیضاً قاتل القائد بغا الکبیر جماعة منهم فی الشریف وهو من میاههم[8] وکل هذا یؤکد أن قسماً منهم ظل فی الجزیرة العربیة.

---

۱. قران وملهم، یاقوت: ج۴، ص۶۳۸. عن السکونی.

۲. یاقوت: ج۴، ص۶۸.

۳. نفس المصدر: ج۱، ص۳۰۳؛ الزبیدی: ج۲، ص۲۵۱.

۴. یاقوت: البلدان، ج۴، ص۹۰۹؛ الزبیدی: ج۳، ۱۰.

۵. الزبیدی: ج۱۰، ص۷۹.

۶. البکری:ج۱، ص۹۰.

۷. الطبری: م۳، ص۱۳۵۸.

۸. الطبری: م۳، ص۱۳۵۸، ۱۳۶۲؛ ابن خلدون: م۳، ص۵۷۵.

غير أن قسماً من بنى نمير قد أنتقل الى مناطق العراق والجزيرة الفراتية[1] فقد ذكر البلاذرى أنهم كانوا فى الشام قرب تدمر[2]، وسكنوا مدينة حمص سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م [3]. ومدينة الرها سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م [4]. والرقة سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م [5]. وفى حرّان سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م [6].

إن هذه الروايات توضح سكنى بنى نمير للمنطقة منذ فترةٍ قديمة. بالإضافة الى تردد ذكرهم فى الشام وحلب والجزيرة الفراتية خلال القرن الخامس الهجرى[7]. كما أنهم سكنوا الموصل[8].

كذلک سكن بنو نمير أطراف البصرة فى القرن الثالث الهجرى[9]. وورد ذكرهم فى مدينة هيت سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م [10]، غير أنه لم يرد ذكر على أنهم سكنوا الكوفة أو المنطقة المجاورة لها.

---

١. ابن خلدون: م٢، ص٦٤٣؛ القلقشندى: نهاية، ص٤٣٣. عن ابن خلدون.

٢. البلاذرى: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٠٩.

٣. ابن العديم: زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ج١، ص١١٨. وذكرهم ابن الأثير بها فى سنة ٥٠٢ هجرية، ج١٠، ص١٩٥.

٤. ابن الأثير: ج٩، ص١٣٠.

٥. نفس المصدر: ج٩، ص١٧٣؛ ابن خلدون: م٤، ص٥٩٧.

٦. ابن الأثير: ج١٠، ص٤٧؛ ابن خلدون: م٣، ص٩٥٦، م٤، ص٥٩٧.

٧. ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٨٣، ٢٩٥، ج٢، ص٦١، ٧٨، ٨٠.

٨. ابن خلدون: م٤، ص٩٧٨.

٩. الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٣٠٤؛ السمعانى: الأنساب، ص٥٧٠أ.

١٠. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.

ليس لبنى نمير دور سياسى مهم فى العراق، فأقدم ما وصلنا رواية الجاحظ التى ذكرت أن جماعة منهم خرجوا على شخص يريد الذهاب الى البصرة[1]. ثم أنهم ساعدوا أبا نصر خواشاده ـ الذى ولاه مشرف الدولة البويهى على الموصل ـ ضد باد الكردى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م [2]. وأنهم قتلوا أمير بنى عقيل عند مدينة هيت سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م [3]. وأشتركوا فى جيش البساسيرى مع دبيس بن مزيد ضد السلطان، وكانوا من أهل حرّان والرقة[4].

كل هذا يظهر أن بنى نمير سكنوا مناطق متفرقة من العراق، غير أن دورهم السياسى مع بنى مزيد ضعيف، لا يعدو أكثر من أشتراكهم مع البساسيرى وابن مزيد وهؤلاء الناس كانوا من أهل حرّان والرقة. ويُحتمل أن سبب ذلک يرجع الى أنهم لم يسكنوا المنطقة التى سيطر عليها المزيديون أو تلک المناطق القريبة من الكوفة.

---

١. الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٣٠٤.

٢. ابن خلدون: م٤، ص٩٧٨.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.

٤. ابن خلدون: م٤، ص٥٩٧.

بنو عقيل[1]

لقد كان موطن بنى عقيل فى الجزيرة العربية من حيث العموم، يقع بين اليمامة واليمن والحجاز، حيث ذكرت المصادر عدداً من المواقع والمياه والوديان التى تعتبر من مساكنهم فى تلك المنطقة[2].

ويوجد فى أرض بنى عقيل بعض المعادن مثل الذهب فى وادى العقيق[3] ـ عقيق عقيل ـ وفى عماية[4]. وفى جبال خزبة يوجد الفضة[5]. ومن المحتمل أنهم أستغلوا هذه المعادن وعرفوها، فمما قاله لغده عن موضع خزبة أن "الناس يعيشون منها فلما كثر بها أهل اليمامة

---

۱. أنظر عن نسبهم: مخطوطة الأنساب لأبن الكلبى: ص۱۳۱أ ـ ب؛ ابن دريد: ص۲۳۸؛ ابن حزم: ص۲۸۸، ۴۸۳؛ السمعانى: ص۳۹۶أ؛ ابن الأثير: اللباب، ج۲، ص۱۴۶. وقال ابن خلدون ونقلها عنه القلقشندى: "أن بنى عقيل بطن من أسد بن خزيمة وكانت لهم إمارة بأرض العراق والجزيرة... وملوك الحلة وجهاتها" ابن خلدون: م۲، ص۶۲۲؛ القلقشندى: نهاية، ص۳۶۵؛ ولا شک أنه أخطأ فى ذلک، فنسبتهم ترجع الى كعب بن عامر، وهم لم يسكنوا الحلة وإنما أسسها بنو مزيد، وإليهم عمل ابن الهبارية أرجوزته الصادح والباغم. ينظر مقالة: (Ukayl) فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم الأستاذ: H. Kinder mann.

۲. أنظر عن أماكن بنى عقيل فى نجد: أبا عبيدة: نقائض جرير والفرزدق، ج۱، ص۱۶۸، ۴۸۳، ج۲، ص۶۳۲؛ الهمدانى: صفة جزيرة العرب، ص۱۴۰، ۲۵۳؛ البكرى: ج۱، ص۲۴۰، ج۲، ص۶۲۷؛ ياقوت: البلدان، ج۱، ص۳۹۶، ۵۹۱، ۶۲۲، ج۲، ص۶۶، ۲۴۰، ۳۶۳، ج۳، ص۷۸۴، ۹۰۵، ج۴، ص۱۷۰، ۴۴۸، ياقوت: المشترک وصفاً والمفترق صقعاً، ص۴۳، ۵۳. ولهم بعض المواضع بين الطائف ومكة. أبو عبيدة: النقائض، ج۱، ص۶۸، ج۲، ص۶۳۲؛ الهمدانى: ← ← صفة، ص۴۸؛ البكرى: ج۲، ص۴۴۰، ج۳، ص۱۰۷۰. وفى اليمامة توجد لهم أماكن أيضاً. أنظر: الهمدانى: ص۱۵۳، ۱۷۷؛ البكرى: ج۱، ص۱۲۷؛ ياقوت: البلدان، ج۱، ص۷۰۴، ۸۷۴، ج۳، ص۷۰۱. وفى عسير الحجاز لهم بعض الأماكن أنظر: الهمدانى: ص۲۷، ۸۴، ۱۱۸، ۱۵۴.

۳. الهمدانى: صفة، ص۱۷۷.

۴. نفس المصدر: ص۱۵۳.

۵. لغده: ص۴۹ب.

وبغوا فيها وسُفكت فيها الدماء مُسخت معادنها التى كان فيها النيل الكثير"[1].

والظاهر أن بعض بنى عقيل ظلوا فى مواطنهم فى الجزيرة العربية حتى فترة متأخرة[2]. لذلك فمن الصعب تحديد فترة أنتقالهم الى العراق ومن المُحتمل أنهم هاجروا إليه أثناء الفتح الإسلامى.

ومن بين الأماكن التى أستوطنها بنو عقيل فى الفترة الإسلامية، مدينة البصرة[3]. ومدينة الكوفة[4].

وأستوطنت قبيلة بنى عقيل الجزيرة الفراتية[5]. وكانت لهم مدينة الرقة[6] كما سكنت مدينة كيسوم فى شمال حلب[7] ومدينة حرّان[8] وفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م كان صاحب نصيبين من بنى عقيل[9]. وملك بنو عقيل الرحبة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م [10] غير أننا لا نعلم متى هاجروا الى هذه الأماكن.

---

١. نفس المصدر والصفحة.

٢. أنظر: الطبرى: م٣، ص١٦٤٤؛ عن بنى عقيل قطعت طريق جدة، مسكويه: تجارب، ج٢، ص٣٧٥؛ محمد بن عبد الملك الهمدانى: تكملة تاريخ الطبرى، ص٢٨٥.

٣. أنظر: السمعانى: ص٣٩٦أ؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص١٦؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١٤٦.

٤. أنظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٤٩؛ ابن قتيبة الدينورى: المعارف، ص٣٠٥، ٥٢٦؛ الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص٥٥.

٥. ابن الأثير: ج٦، ص١١٤. (١٩٩هجرى).

٦. نفس المصدر: ج٦، ص١١٠.

٧. نفس المصدر: ج٦، ص١٠٩. (سنة ١٩٨هجرية).

٨. السمعانى: ص٣٩٦أ.

٩. ابن الأثير: ج٩، ص٢٨.

١٠. ابن الأثير: ج٧، ص٢٤٤.

وكان بنو عقيل مقيمين فى الشام[1]. وهناک عدّة روايات ذكرها ابن العديم توضح أن بنى عقيل كانوا يسكنون بالقرب من مدينة حمص[2]. وكانوا فى مدينة صور[3]. وبالقرب من دمشق[4]. وفى حلب[5]. كما أنهم سكنوا قرب الرملة فى القرن الرابع الهجرى[6]. ومن مناطق أستيطانهم فى الجزيرة مدينة الموصل منذ زمن الحمدانيين فى القرن الرابع الهجرى، وقد حدثت بين الحمدانيين وبنى عقيل عدّة معارک سنة ٣٧٩، ٣٨٠هـ/٩٨٩، ٩٩٠م [7]. وبعد زوال حكم الحمدانيين عن الموصل سيطر عليها بنو عقيل وأسسوا فيها إمارة قوية أمتدت الى فترة طويلة وأشتهر من أمرائهم قرواش بن المقلد العقيلى[8].

أما فى العراق فقد كان لبنى عقيل حماية سقى الفرات منذ القرن الرابع الهجرى[9]. وحماية بعض المدن من سواد العراق مثل قصر ابن هبيرة والجامعين والكوفة[10]، وكانت هذه الحماية مقابل مقدار من المال يدفعها أمراء بنى عقيل الى الأمير البويهى والخليفة، ولا شک أن هذه

---

١. مسكويه: ج٢، ص٤٠٢؛ ابن الأثير: ج٨، ص٢٥٣.

٢. ابن العديم: زبدة، ج١، ص١١٨ (حوادث سنة ٣٣٥ هجرية).

٣. ابن خلدون: م٤، ص١٣٥.

٤. ابن العديم: ج٢، ص٦١ (حوادث سنة ٤٧١ هجرية)، ج٢، ص٨٠ (حوادث سنة ٤٧١ هجرية).

٥. ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، ج١، ص٣٠٤.

٦. ابن خلدون: م٤، ص٥٣٣ وما بعدها.

٧. الروذراورى: ص١٧٦، ١٧٧؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٦ـ٤٧؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٨.

٨. عن قرواش أنظر: الروذراورى: ص٢٩٣؛ ابن الجوزى: ج٨، ص٦٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٥١؛ ابـن تغرى بردى: النجوم، ج٤، ص٢١٤.

٩. ابن الأثير: ج٩، ص٨٨.

١٠. الروذراورى: ص٢٩٣.

الحماية دليل على قوة بنى عقيل وأستيطانهم فى هذه المنطقة. وكان يرأس مدينة حديثة جماعة من بنى عقيل فى القرن الخامس الهجرى[1] وكانت تكريت لبنى معن من بنى عقيل فى القرن الخامس الهجرى[2].

كان نشاط بنى عقيل يقوى كلما ضعفت السلطة المركزية وعلى العكس يضعف كلما قويت ففى سنة ٣٧٢هـ مثلاً عندما شدد عليهم عضد الدولة هربوا ودخلوا البرية[3] ولكنهم أستطاعوا فى فتراتٍ أخرى أن يسيطروا على بعض المناطق فى الفرات الأوسط وأصبحت لهم الحماية عليها، ثم كوّنوا إمارة مستقلة فى الموصل.

وعندما أستولى البويهيون على مقاليد السلطة والسيادة فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى، سيطر العقيليون على عدّة مناطق من العراق، ولعبوا دوراً بارزاً وأسسوا علاقاتٍ مع سلطة بغداد، وعزموا على تأسيس إمارة خاصة بهم، فقد ملك زعيمهم أبو الذوّاد محمد بن المسيب مدينة الموصل فى القرن الرابع الهجرى[4]. وزوّج أبنته من بهاء الدولة بن عضد الدولة

---

١. ابن خلدون: م۴، ص۶۱۴.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧؛ أبو الفداء: م١، ج۴، ص١٣٩؛ قالوا بنو قعن بينما ذكرهم ابن خلدون بنو مقن. ج۴، ص۶٠٣؛ والأصح بنو معن أنظر: البلاذرى: أنساب الأشراف، ج۵، ص٢۶٨.

٣. الروذراورى: ص۵۶.

۴. الروذراورى: ص١٧٩؛ ابن الأثير: ج٩، ص۴۶ـ۴٧.

البويهى[1]. وعندما توفى هذا حدثت بعض المشاكل العائلية، فقد طمح المقلّد بن أبى الذوّاد وإخوانه الحسن وعلى بالإمارة[2]. ثم أستقرت الإمارة للمقلّد الذى أصبح قوياً وذا مكانة. وورث قرواش ابن المقلّد الإمارة بعد وفاة أبيه[3]. وكانت فترة حكم قرواش من أهم الفترات فى حياة بنى عقيل، من حيث نضوج فكرة تكوين إمارة مستقلة لهم. إذ قوّى علاقته ببنى مزيد ضد القائد البويهى[4]، وحارب قبيلة خفاجة لإعتدائها على أملاكه فى السواد مثل الكوفة والجامعين والقصر[5]. وهذا يدل على أن قرواشاً أراد تثبيت مكانته من جهة، وتوسيع إمارته من الجهة الأخرى.

بنو خفاجة

وهم من عشائر بنى عقيل بن كعب[6]. غير أن المصادر الأولى لا تذكر تفصيلاتٍ عن حياتهم ومواضع سكناهم فى الجزيرة العربية قبل الإسلام، كما تم ذكره عن بنى عقيل أو بنى

---

۱. ابن خلكان: وفيات، ج۴، ص۳۴۸.

۲. أنظر: الروذراورى: ص۲۸۱؛ ابن الأثير: ج۹، ص۴۶ـ۴۷؛ الذهبى: العبر فى خبر من عبـر، ج۳، ص۵۱؛ ابـن تغـرى بردى: النجوم، ج۴، ص۲۰۳؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج۳، ص۱۳۸ـ۱۳۹.

۳. ابن الأثير: ج۹، ص۶۱ـ۶۲.

۴. نفس المصدر: ج۹، ص۶۴؛ أبو الفداء: م۱، ج۴، ص۲۸؛ ابن خلدون: م۳، ص۹۱۶.

۵. ابن الأثير: ج۹، ص۶۲؛ ابن خلكان: وفيات، ج۴، ص۳۵۱.

۶. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبى: (إسكوريال) ص۱۳۲ب، (نسخة لندن)، ۱۳۳أ؛ ابن دريد: ص۲۹۹؛ ابن حـزم: ص۴۶۹؛ القلقشندى: قلائد الجمان، ص۱۲۲؛ نهاية الإرب، ص۱۴۶؛ وذكر ابن الكلبى لخفاجة إحدى عشر بطنـاً ص۱۳۲ب؛ النويرى: نهاية، ج۲، ص۳۵۰. وقال ابن الكلبى أن خفاجة أسمه معاوية بن عمرو ص۱۳۲ب؛ بينما ذكر السمعانى أنه أسم امرأة ومن المحتمل أنه خطأ. الأنساب، ص۲۰۴ آ ب.

أسد مثلاً. مما يدل على أن قبيلة بنى خفاجة كانت داخلة ضمن نطاق بنى عقيل التى تفرعت منها. وأن كل ما ذكر فى الفترة التى سبقت ظهور الإسلام، قصة قتل توبة الخفاجى من قِبَلْ بنى عقيل[١]. ومن خلال الحوادث فقد ورد ذكر بعض المواضع التابعة لخفاجة مثل تثليث[٢] وماء الحريز الذى يقع فى تثليث[٣]. وكان وادى بيشه تجتمع فيه قبيلة بنى خفاجة[٤] من كل هذا يظهر أن أماكن سكنى بنى خفاجة كانت مجاورة لبنى عقيل، وكان بنى خفاجة أقرب الى اليمن. وهناك مواضع أخرى كانت خاضعة لخفاجة مثل السرو[٥]، والشرائن[٦] وثعلب[٧]، وأورال[٨].

ولعل المنازعات التى نجمت عن قتل توبة الخفاجى كانت سبباً فى أنفصال بنى خفاجة عن بنى عقيل وأستقلالهم[٩].

---

١. أنظر: عرام: جبال تهامة فى نوادر المخطوطات، م٧، ص٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤. ينظر مقالة (Khafadja) فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم: F. Krenkow.

٢. نفس المصدر: م /، ص٢٥١، وتثليث تقع بالقرب من مدينة صنعاء باليمن، الهمدانى: صفة، ص٤٨.

٣. عرام: م٧، ص٢٥١.

٤. وهو من بلاد اليمن يقع مقابل تثليث. لغدة، ص١ أ، البكرى: ج٢، ص٦٣١.

٥. البكرى: ج٢، ص٦٣١.

٦. نفس المصدر: ج٣، ص٧٨٨.

٧. ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٦٦.

٨. نفس المصدر: ج١، ص٤٠٠.

٩. وهناك رواية للأصفهانى تبين كيف كانت بنو خفاجة داخلة فى بنى عقيل، فهو يذكر سلسلة الرواية ويقول: "عن رجل من بنى عامر ثم من بنى خفاجة". ج٨، ص١٧٨؛ فالمشهور بنو عامر وليس خفاجة، والرجل مع أنه ينتسب لبنى خفاجة إلا أنه داخل فى بنى عامر.

ذكر الأصمعى عند كلامه عن الزوراء أو رصافة هشام بن عبد الملک أن لأهلها آباراً فى وسط البرية وكان على بنى خفاجة خفارة هذه الآبار يؤدونها صاغرين[1]. وهذا يدل على أنهم سكنوا هذه المنطقة فى القرن الثانى على الأقل، وأن بنى خفاجة كان لهم من العدد والقوة ما حمل الناس على دفع الخفارة لهم، ويبدو أيضاً أن أنتقالهم الى هذه المنطقة كان على أثر الفتوح الإسلامية.

والراجح أنهم أستمروا على التجول بالقرب من رصافة هشام المذكورة، والدليل على هذا وجود بعض الروايات التى تبين أن بنى خفاجة كان لهم معرفة سابقة فى الشام، ففى سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م عندما أوقع بهم قرواش ساروا الى الشام وأقاموا به[2] وفى سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م أحضرهم القائد البويهى أبو جعفر الحجّاج من الشام[3]. كما أن بنى خفاجة قد سكنوا حلب[4]. والرحبة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[5]. وفى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م وصل الأمير ناصر الدولة على بن الحسين بن الأمير ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان فى جيشٍ ضخم حتى نزل مدينة حمص وهناک أجتمعت عليه بنو كلاب وبنو خفاجة[6]. وهذا يدل على

---

١. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٧٨٥ عن الأصمعى.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٦٢.

٣. نفس المصدر: ج٩، ص٦٤.

٤. الحلبى: محمد راغب بن محمود: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٤، ص٢٠١؛ وهناک بعض المعلومات عند عبد المنعم الخفاجى: بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والإدارى، ج٦، ص١١، حيث قال: "حلب موطن من مواطن الخفاجيين".

٥. ابن الأثير: ج٩، ص٧٨.

٦. ابن العديم: زبدة، ج١، ص٢٧٧.

أن خفاجة كانت تقطن أطراف مدينة حمص. وفى سنة ۵۵۶هـ نهبت خفاجة سواد الكوفة فسار إليها الأمير قيصر شحنة الحلّة فهربت الى رحبة الشام[۱]. فى الوقت الذى لم يرد فيه ذكر لهذه القبيلة فى العراق حتى القرن الرابع الهجرى. ولا نعلم متى قدموا ومن أين جاءوا؟، ومن المُحتمل أنهم إنحدروا إليه من الشام.

إن أقدم ما وصلنا عن بنى خفاجة فى العراق ما قدّمه ابن الأثير فى سنة ۳۹۱هـ/۱۰۰۰م عندما نهبوا الكوفة التى كانت تابعة لقرواش مما أدى الى مقاتلتهم وهروبهم الى الشام[۲]. ومنذ هذه السنة تبدأ فعاليتهم السياسية تتكرر إذ كانوا يقومون بالإغارة على المناطق المجاورة لمدينة الكوفة، وفى سنة ۴۰۲هـ/۱۰۱۱م نافست خفاجة بنى عقيل على حماية سقى الفرات[۳]. وفى سنة ۴۱۷هـ/۱۰۲۶م نهبت الكوفة[۴] كما أنها أعترضت الحجّاج القادمين من مكة[۵]، وفى سنة ۴۵۲هـ/۱۰۶۰م أصبحت ولاية الكوفة وسقى الفرات لبنى خفاجة مقابل دفع مقدارٍ من المال[۶]. وفى سنة ۴۸۵هـ نهبت الكوفة[۷]. وفى سنوات ۴۹۹هـ ۵۰۰هـ حاربت قبيلة بنى عبادة فى موضع قرب الحلّة[۸]. وقال السمعانى أن أولاد خفاجة يسكنون فى نواحى

---

۱. ابن الأثير: ج۱۱، ص۱۱۲.
۲. ابن الأثير: ج۹، ص۶۲.
۳. نفس المصدر: ج۹، ص۸۸.
۴. نفس المصدر: ج۹، ص۱۳۳.
۵. ابن الجوزى: ج۷، ص۲۶۶؛ ابن الأثير: ج۹، ص۸۸؛ الذهبى: العبر، ج۳، ص۸۳.
۶. ابن الأثير: ج۱۰، ص۵.
۷. نفس المصدر: ج۱۰، ص۸۱.
۸. نفس المصدر: ج۱۰، ص۱۵۰.

الكوفة[1]. كما ذكر ابن جبير أن من أسباب خراب الكوفة هجمات خفاجة "التى لا تزال تضربها"[2] من كل هذا يظهر أن بنى خفاجة سكنوا على أطراف الكوفة، وأتخذوها مركزاً لنشاطهم السياسى منذ القرن الرابع الهجرى.

فالراجح ـ حسبما تقدم من معلوماتٍ ـ أن قبيلة خفاجة أنتقلت فى القرن الأول الى الشام أولاً، ثم أخذت تنتقل الى العراق لاسيما منطقة الكوفة والبصرة، ويُحتمل أن موجات أخرى جاءت الى العراق والشام بعد أن أستقر الخفاجيون المذكورون فى تلك المناطق إلا أننا لا نعرفها.

سكن بنو خفاجة ـ كما مرّ سابقاً ـ أطراف الكوفة، وكانت هذه المدينة تابعة لأمراء بنى عقيل، ولذلک جرت عدّة معارک بينهما. ففى سنة ٣٩١هـ أنتصر بنو عقيل[3] أولاً ولكن بنى خفاجة أستطاعوا فى السنة التالية أن يمتلكوا الكوفة وأصبحت لهم إمارة عليها[4]. وفى سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م نافست خفاجة بنى عقيل على ضمان سقى الفرات[5] ولكنها لم تحصل على ذلک فشنت هجوماً على الأنبار ونهبتها[6] وفى سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م تعرض بنو خفاجة

---

١. السمعانى: ص٢٠٤ب؛ الزبيدى: تاج، ج٢، ص٣٣.

٢. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٧.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص٦٢.

٤. نفس المصدر: ج٩، ص٧٣ وما بعدها.

٥. نفس المصدر: ج٩، ص٨٨.

٦. نفس المصدر والصفحة.

للكوفة مما دفع قرواش العقيلى الى محاربتهم[1] وهذا يُظهر أن بين قبيلتى خفاجة وعقيل نزاعاً مستمراً رغم أن خفاجة بطن من عقيل، ويبدو أن المنافسة على السيطرة هى السبب الرئيسى لذلک النزاع، إذ أن بنى عقيل كانوا يسيطرون على منطقة واسعة بينما لا تملک خفاجة شيئاً. ويُحتمل أيضاً أنهما ورثا المنافسة والنزاع الذى كان سائداً فى الجزيرة العربية.

لم تقتصر أعمال خفاجة على نهب الكوفة وسوادها والتعرض لبعض المدن الأخرى، بل أعترضت طرق الحجّاج، ونهبتهم، وقامت بأعمالٍ مزعجة لهم. كأن ألقت الحنظل فى الماء حتى أفسدته مما أدى الى موت عدد منهم وحينذاک نهبتهم[2].وفىسنة۴۸۵هـ/۱۰۹۲م أعترضت الحجّاج أيضاً بعد أن دخلت مدينة الكوفةونهبتها[3].ولا أدلمنغضبالناس على أعمالها أنها لما دخلت الكوفة رماها الأهالى بالنشّاب، وقد نهبت حتى الثياب من الرجال والنساء[4].

وقد دفعت هذه الأعمال السلطة الى الإصطدام بخفاجة إما مباشرةً أو بإستخدام إحدى القبائل المجاورة ضدها، كبنى عقيل أو بنى أسد، كما أستعانت بقبيلة بنى أسد عندما تعرضت خفاجة للحجّاج[5]. ويمكن القول أن موقف السلطة وتذبذبها بين القوة والضعف كان عاملاً رئيسياً فى الأعمال التى قامت بها خفاجة والقبائل الأخرى.

---

۱. نفس المصدر: ج۹، ص۱۳۳.

۲. ابن الجوزى: ج۷، ص۲۶۱؛ ابن الأثير: ج۹، ص۸۸؛ الذهبى: العبر، ج۳، ص۸۳.

۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۸۱.

۴. نفس المصدر والصفحة.

۵. ابن الجوزى: ج۷، ص۲۶۱.

لقد ورث بنو مزيد أملاک بنى عقيل، فأصبحت الكوفة وأطرافها خاضعة لهم، الأمر الذى أدى الى إصطدام المزيديين ببنى خفاجة عدّة مرات ـ كما سنوضحه فى الفصل السياسى لبنى مزيد ـ بسبب تعرضها ونهبها وإغارتها على بلاد بنى مزيد[1] وعلى الكوفة[2]، والبطيحة[3].

لا شک أن من العوامل التى دفعت بنى خفاجة الى أتخاذ ذلک الموقف، إضافةً الى موقف السلطة المركزية، هو عامل المنافسة مع القبائل الأخرى، وإهمال سلطة بغداد لها. فبنو عقيل قد أمتلكوا منطقة واسعة، ثم جاء بنو مزيد وسيطروا على منطقة واسعة أيضاً، بينما لم يحصل الخفاجيون على أى شئ. وأبرز دليل على ذلک أنه فى سنة ۴۵۲هـ عندما وافق السلطان على بنى خفاجة وأعترف بهم وخلع عليهم وأصبحت لهم ولاية الكوفة وسقى الفرات، رضخوا وأخذوا يدفعون أربعة آلاف ديناراً سنوياً مقابل تلک الحماية[4]. ومعنى هذا أنهم أرتبطوا بالسلطة وأصبحوا عضواً نافعاً.

ظلت قبيلة بنى خفاجة قوية تقوم بنشاطها فى هذه المنطقة. فقد أشتبكت مع بنى عقيل وبنى مزيد، ومع قبيلة عبادة سنة ۴۹۹هـ ـ ۵۰۰هـ [5] مما أكسبها دوراً مهماً فى الحياة السياسية، ففى سنة ۵۹۶هـ خلع الديوان العزيز على زيادة الخفاجى وسلمت إليه حماية البلاد الفراتية[6] بينما ضعف تأثير القبائل الأخرى كبنى عقيل وبنى مزيد.

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۸۸؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج۱۲، ص۱۵۲ـ۱۵۳.

۲. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۴۸ (سنة ۴۹۸هجرية)، ج۱۱، ص۱۲ (سنة ۵۵۶هجرية).

۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۵۷ وما بعدها.

۴. ابن الأثير: ج۱۰، ص۵.

۵. نفس المصدر: ج۱۰، ص۱۵۰، ۱۵۷ وما بعدها.

۶. ابن الساعى: الجامع المختصر فى عيون التواريخ وعيون السير، ج۹، ص۴۳.

بنو عبادة

وهم بطن من قبيلة بنى عقيل[1]، والظاهر أنهم كانوا يسكنون بجوار بنى عقيل، قال لغدة خلال ذكره مواضع بنى عقيل "ومنها البيضاء وهى لبنى معاوية بن عقيل وهو المنتفق معهم منها عامر بن عقيل وبرك ونعام لعقيل ما خلا عبادة ولهم الحصيص وهو لعقيل.. ولهم المدراء بينهم وبين الوحيد بن كلاب وليس لعبادة فيه شئ"[2]. وهذه الرواية توضح أن بنى عبادة كانوا يسكنون بالقرب من أماكن بنى عقيل، كما أنها تبين مدى سيطرة بنى عقيل على أماكن كثيرة، بينما لم يكن لبقية بطونها إلا مواضع قليلة.

ذكر لبنى عبادة موضع فى الجزيرة العربية وهو ماء الغزايل أو ذو غزايل[3]. ولكننا لا نعلم عن زمن أنتقال بنى عبادة الى العراق. إلا ما ذكره ابن ماكولا "عبادة حى من العرب...مم نزلوا على جانب من الفرات"[4] وقد كرر ابن سعيد قول ابن ماكولا وأضاف أن قريش بن بدران من أمرائهم قد تغلب على الموصل وحلب فى أواسط المائة الخامسة[5]. ولعل ابن سعيد

---

١. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبى: ص١٣٤ أ ـب؛ ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١١٠ـ١١١؛ القلقشندى: نهاية، ص٣٣٥؛ قلائد الجمان، ص١٢٢؛ النويرى: نهاية، ج٢، ص٣٤٠؛ السويدى: سبائك، ص٤٥؛ كان عبادة يعرف بالأخيل لأنهم رهط ليلى الأخيلية، والأخيل طائر يتشائم به، ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن خلدون: م٦، ص٢٥؛ من أيامهم يوم رحرحان. الأغانى، ج٥، ص٢١.

٢. لغده: ص١ أ، عن أبى الورد العقيلى.

٣. لغده: ص١ أ؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٥٩٧ عن الأصمعى.

٤. السمعانى: ص٣٨٠ب؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١١٠ـ١١١ عن ابن ماكولا.

٥. أنظر: القلقشندى: قلائد الجمان، ص١٢٢؛ نهاية الإرب، ص٣٣٥ عن ابن سعيد. أن قرواش وبدران أولاد المقلدين المسيب العقيلى صاحب الموصل. أنظر: الروذراورى: ص١٧٩؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٨.

كان يقصد بنى عقيل الذين سيطروا على ـ الموصل، وكان قريش بن بدران أحد أمرائهم، إلا أن هذا الإلتباس يؤدى الى نتيجة مهمة وهى سيطرة بنى عقيل على القبائل الأخرى، وأن بنى عبادة كانوا مع بنى عقيل فى فترةٍ متأخرة.

قال ابن خلدون: "وهم ـ عبادة ـ لهذا العهد بالعراق مع بنى المنتفق وفى البطائح التى بين البصرة وواسط لرجل أسمه قيّان بن صالح.... وما أدرى أهو من بنى معروف أمراء البطائح بنى المنتفق أو من عبادة الأخائل"[1] غير أننا لا نعلم فيما إذا كان هذا النص يوضح أحوال بنى عبادة فى زمنه أم قبله، وهذه الروايات من الجهة الأخرى تبين دور بنى عبادة فى العراق فى حوالى القرن الخامس الهجرى، حيث أخذت تكوّن لها كياناً مستقلاً، ولكنها لا تبين زمن قدومها العراق، ولعلها جاءت مع بنى عقيل زمن الفتوح الإسلامية الأولى إلا أن المؤرخين لم يفردوها فى الذكر.

وقد وصف ابن سعيد قبيلة عبادة أنها ذات عدد وكثرة. ثم ذكرهم فى روايةٍ أخرى أن لهم بقية فى الخازر والزاب إلا أنهم فى عددٍ قليل لا يتجاوز المائة فارساً[2]. ولا يمكن هذا إلا أن يكون ابن سعيد قد خلط بين بنى عقيل وعبادة، حيث كانت الأولى كثيرة العدد بينما لم يرد ما يؤيد قوة وكثرة عبادة، ويُحتمل أيضاً أن لبنى عبادة عدّة فروع تختلف فيما بينها فى العدد والقوة.

---

۱. ابن خلدون: م۶، ص۲۵.

۲. القلقشندى: قلائد الجمان، ص۱۲۲ عن ابن سعيد.

كذلک خلط العمری أیضاً بین بنی عبادة وبنی عقیل فقال أن منازل قبیلة عبادة تقع بالقرب من بغداد الی الموصل[1]، مع العلم أن أکثر فعالیات بنی خفاجة ـ کما سنلاحظ ـ کانت بالقرب من الکوفة، ولم ترد معلوماتٍ عن سیطرتهم علی هذه المنطقة. ولا شک أن هذا الخلط دلیل علی نفوذ بنی عقیل من جهة، وضعف بنی عبادة من جهةٍ أخری.

یظهر دور عبادة فی القرن الخامس الهجری، وهذا التاریخ یتفق ومما ذکره ابن سعید سابقاً، إلا أنه بدلاً من الموصل وحلب نراهم بالقرب من الکوفة. فقد أصطدمت فی سنة ۴۹۹هـ/۱۱۰۵م قبیلتی عبادة وخفاجة وکان سبب ذلک یرجع الی نهب أحد رجال بنی خفاجة جملین لرجل من عبادة[2]. مما یدل علی أنهما کانتا متجاورتین، وکلاهما یوجد بالقرب من الحلّة والکوفة، إذ أن المعرکة التی وقعت بینهما کانت فی موضع الوقف القریب من الحلّة[3]. کما أن الروایة تصور أستمرار الطبیعة البدویة وعاداتها فی الصحراء حیث کانت الغزوات والمنازعات فیما بینهم لمثل تلک الأسباب. وتکررت الحرب سنة ۵۰۰هـ/۱۱۰۶م وقد أنتصرت قبیلة عبادة وأستقرت فی المناطق التی تسکنها خفاجة[4].

وأشترکت قبیلة عبادة فی جیش المزیدیین سنة ۵۰۱هـ ولکنها فرّت من المعرکة[5]، مما

---

۱. نفس المصدر والصفة، عن العمری فی مسالک الأبصار.

۲. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۱۴۹ـ۱۵۰.

۳. نفس المصدر والصفحة؛ یاقوت: البلدان، ج۳، ص۱۸۴.

۴. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۱۵۷ وما بعدها.

۵. ابن الجوزی: ج۹، ص۱۵۶؛ ابن الأثیر: ج۱۰، ص۱۶۸؛ سبط ابن الجوزی: مرآة الزمان فی تاریخ الأعیان، ج۸، ص۲۶.

يدل على أن أشتراكها لم يكن مهماً ورئيساً، وأنها لم تكن من الجيش الثابت. ويظهر أنها كانت قليلة العدد حتى أنها فى حربها مع خفاجة طلبت المساعدة من بنى مزيد[١].

بقى بنو عبادة الى فترةٍ متأخرة فى منطقة الفرات الأوسط، فمثلاً فى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م قدم وفد من شيوخ القبيلة على السلطان بعد أندحار المستنصر وكانوا من أهل هيت والأنبار والحلّة والكوفة وكان رئيسهم سليمان بن مهارش العبادى[٢] ويعنى هذا أنهم خلفوا بنى مزيد على مناطقهم. وكما قال ابن خلدون أنهم الى فترته ـ القرن الثامن والتاسع الهجرى ـ كانت لهم السيطرة على المنطقة بين البصرة والكوفة وواسط والبطيحة[٣].

بنو المنتفق

وهم بطن من بنى عقيل[٤]، وكانوا يسمون بالخلط[٥] كان بنو المنتفق يسكنون فى جزيرة العرب بالقرب من بنى عقيل، قال لغدة أن أرض المنتفق فى الميثب[٦]، وهذا كان من مياه بنى

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.

٢. المقريزى: السلوك لمعرفة الملوك، القاهرة، ١٩٣٦م، ج١، ق٢، ص٤٧٦.

٣. ابن خلدون: م٦، ص٢٥.

٤. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبى: ص١٣١ـ١٣٢أ؛ ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن حزم: ص٤٨٣؛ ابن الأثير: اللباب، ج٣، ص١٨١؛ القلقشندى: نهاية، ص٧٥؛ قلائد الجمان، ص٧٥؛ ينظر: (al-Muntafik) فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم: G. Levi Della Viola.

٥. ابن خلدون: م: ص٦٤٧، م٦، ص٣٤، ٦٣.

٦. لغده: ص١ أ، والميثب ماء تقع على الطريق المؤدى الى تيماء.

عقيل[1] وذكر الجرجانى أن بنى المنتفق كانوا يسكنون فى جنوب البصرة[2]. وقال ابن سعيد أن "منازل المنتفق الآجام بين البصرة والكوفة والإمارة فى بنى معروف"[3] والراجح أن مجيئهم الى العراق مع بقية بطون بنى عقيل زمن الفتوح وأستقروا فى أطراف البصرة. ولم ترد إشارة الى أنهم سكنوا منطقةٍ أخرى من العراق[4].

لقد ورد ذكر بنى المنتفق فى علاقتهم مع بنى مزيد سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م عندما أستولى صدقة على البصرة وأستناب بها أحد مماليک جده المسمى النونتاش وبعد رجوعه الى الحلّة قام بنو المنتفق بغزو البصرة ونهبها[5]. وفى سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م حالفهم دبيس بن صدقة على نهب البصرة[6]. إن هاتين الروايتين تؤكدان أن مساكن بنى المنتفق كانت قريبة من البصرة. وأشترک بنو المنتفق أيضاً مع جيش الخليفة المسترشد فى طرد بنى أسد من الحلّة وكان مقدمهم ابن معروف الذى تسلم الحلّة بعد جلاء بنى مزيد عنها سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م[7]. وبذلک أصبحت لهم الإمارة على بلاد بنى مزيد والمناطق التى كانت تسيطر عليها.

---

١. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٧١٢ عن الأصمعى.

٢. ابن خلدون: م٦، ص٢٤ عن الجرجانى.

٣. نفس المصدر: م٢، ص٦٤٧ عن ابن سعيد.

٤. ذكر ابن خلدون أن الخلط لهذا العهد فى إعداد جشم بالمغرب، م٢، ص٦٤٧ وربما كانوا من بطونهم.

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٤؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص١١١.

٦. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩١. وقد جعلها ابن كثير سنة ٥١٦هجرية والأصح ٥١٧هجرية.

٧. ابن الأثير: ج١١، ص١٢.

بنو عبس

إحدى القبائل الثلاث التى أُطلق عليها جمرات العرب[١] وهم من بطون غطفان[٢]، وهم من القبائل المشهورة عند ظهور الإسلام.

وقد ذكرت لهم عدّة مواضع ومياه[٣]. وكانوا مجاورين لمساكن بنى أسد قال لغدة أن موضع "الجزير أسفله لبنى وأعلاه لبنى أسد... وأسفل بارق لعبس وأعلاه لأسد"[٤].

والظاهر أن كثيراً من بنى عبس قد هاجر من الجزيرة العربية، قال ابن خلدون: "إنه ليس بنجدٍ لهذا العهد أحد من بنى عبس"[٥].

وقد ساهم بنو عبس فى الفتوحات الإسلامية الأولى[٦]. وأستوطن عدد من أفرادهم المدائن[٧]. كما كانت لهم خطة ومساجد[٨]

---

١. ابن قتيبة: المعارف، ص٨٧؛ الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص١٢٣.

٢. عن نسبهم أنظر: ابن حزم: ص٢٥٠ـ٢٥٢؛ السمعانى: ص٣٨٢ أ؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١١٤؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج١، ص٣٤٤؛ النويرى: نهاية، ج٢، ص٣٤١.

٣. أنظر: الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٧٦؛ البكرى: ج١، ص١٨٠، ١٩٤، ٣٣١، ج٢، ص٣٧٧، ٤٣٦، ٥٤٥، ٦٣١، ٧٦٢، ٨٦٤، ١٠١١، ١٠٦٥، ج٤، ص١١٥٠، ١١٨٥، ١١٢٢، ١٢٨٨، ١٣١٧.

٤. لغده: ص٧ أ؛ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، ج٢، ص١٠٠.

٥. ابن خلدون: م٢، ص٦٣٢؛ ينظر مقالة (Ghatafan) فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/باللغة الإنجليزية) بقلم الأستاذ: J. W. Fuck.

٦. الطبرى: م١، ص١٧٤٠، ٢٤٨٧؛ ابن خلدون: م٢، ص٨٥٩.

٧. الطبرى: م١، ص٢٤٨٧.

٨. البلاذرى: فتوح، ص٢٧٨.

بالكوفة[1]، وذكر السمعانى أن لهم كثرة وجماعة فى مدينة الكوفة[2]. كما أنه ورد ذكر جماعة منهم يتنقلون فى الطريق بين بغداد والكوفة سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٣م[3].

وأستوطن بنو عبس أيضاً أرض الجزيرة الفراتية وقنسرين[4]. كما أن بعضهم ظل يسكن البادية[5].

كانت علاقة بنى عبس ببنى مزيد ضعيفة، ومن المُحتمل أنهم أصبحوا حضراً بعد أن سكنوا الكوفة لذلك أنعدم وجودهم كبدو، ولم يلعبوا دوراً سياسياً واضحاً، أو أنهم كانوا ضمن الأعراب الذى يتكون منهم جيش المزيديين، أو أنهم أشتغلوا بالرعى والزراعة وأهملوا الحياة السياسية.

كان بنو يعيش بن عبس بن خلاط مسيطرين على مدينة عانة، وعلى أغلب الظن أنهم بطن من عبس وقد طلبوا المساعدة من صدقة بن مزيد ضد الأتراك الذين أرادوا أخذ المدينة والاستيلاء عليها، وقد ساعدهم صدقة وأعادهم الى المدينة[6].

---

١. ماسنيون: خطط الكوفة، ص١١، وكانوا مع بنى ذبيان.

٢. السمعانى: ص٣٨٢ أ ـ ب.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٨٢ـ١٨٣.

٤. ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٤٨.

٥. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٣٢٥.

٦. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٧.

بنو غزيّة

هناک قبيلتان بأسم غزيّة، ترجع إحداهما الى بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن[١]. فى حين يرجع نسب الأخرى الى بنى غزيّة بن أفلت بن ثعل الطائى[٢].

كانت منازل القبيلة الأولى ـ من هوازن ـ كما ذكر السمعانى غربى نجد[٣]. بينما ذكر ابن سعيد من بين مساكن القبيلة الثانية ـ من طىء ـ عين تمر والأنبار[٤]. قال الحمدانى كان منهم قوم يسكنون الشام والحجاز والعراق[٥]. وروى العمرى أن هناک طائفة منهم بطريق الحج وكان لهم فيه بعض المياه[٦] وكان لقبيلة طئ خطة فى الكوفة[٧]، مما يدل على أنهم أنتقلوا الى العراق زمن الفتوح، ويُحتمل أن غزيّة كانت معهم أو بالقرب منهم.

---

١. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبى: ص١٥٣ ب ـ ١٥۴ أ؛ ابن دريد: ص٢٩٢؛ الققشندى: قلائد، ص١١٥؛ وذكر ابن خلدون أنهم مع قومهم بنى جشم بالسروات بين تهامة ونجد. القلقشندى: صبح، ج١، ص٣۴٣؛ نهاية الإرب، ص٣٨٧ وما بعدها؛ السويدى: سبائک، ص۴٨. ولم أعثر على الرواية عند ابن خلدون فى كتابه العبر.

٢. عن نسبهم أنظر: ابن خلدون: م٢، ص٥٣١، م۶، ص١٣ وما بعدها؛ القلقشندى: قلائد، ص٨٨، صبح الأعشى، ج١، ص٣٢٣؛ الزبيدى: تاج، ج١٠، ص٢۶۶.

٣. السمعانى: ص۴٨ب. ويبدو أنه قصد قبيلة غزية من طئ لأنه ذكر أحد رجالهم الذى وصفه ابن الأثير فى اللباب، ج٢، ص١٧١ بأنه من طئ. ولبنى غزية من جشم رجل مشهور يعرف دريد ابن الصمّة. أنظر: ابن دريد: ص٢٩٢.

۴. ابن خلدون: م۶، ص١٣ عن ابن سعيد.

۵. القلقشندى: قلائد، ص٨٨ عن الحمدانى.

۶. نفس المصدر والصفحة عن العمرى من مياههم الكمن، المعينة، اليحموم، الثعلبية، زرود، الأجود.

٧. ماسنيون: خطط، ص١١.

إن كل ما لدينا عن هذه القبيلة فى علاقتها مع المزيديين، هو أن دبيس بن صدقة عندما هرب فى الحرب مع الخليفة، ذهب الى قبيلة غزيّة وهى من عرب نجد[١]. لهذا من المُحتمل أن المقصود بها بنو غزيّة التى من طئ لأن هذه كانت لها مساكن فى الشام والعراق والحجاز، وكانت فى عين التمر والأنبار، وعلى الطريق بين نجد والعراق.

ويظهر من الرواية التى ورد فيها ذكر بنى غزيّة، أنها كانت تتحول بالقرب من البصرة إذ أن دبيساً بعد هروبه توجه إليها يريد محالفتها، ولكنها رفضت لبعده عنها فى النسب، ولأنها لا تريد معاداة الدولة، فعند ذلک ذهب الى بنى المنتفق وحالفهم على غزو البصرة[٢]. ويعنى هذا أنهم كانوا بجوار بنى المنتفق وعلى طريق الحج لأنهم قالوا لدبيس: "ما يمكننا معاداة الملوک ونحن بطريق مكة"[٣] وهذا النص يؤكد مرةً أخرى أنهم من طئ، لأن (طئ) أستوطنت بعض الأماكن فى طريق مكة.

ذكر ابن خلدون أن "فيهم الإمارة فى العراق الى الآن ولهم صولة عظيمة"[٤]. أى أنهم كانوا حتى القرن الثامن والتاسع الهجريين مستقرين وكانوا أقوياء.

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص١١١.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص١١١؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٩١.

٣. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٤٥.

٤. القلقشندى: صبح، ج١، ص٣٢٣ عن ابن خلدون. بينما قال ابن خلدون: "وهم أهل إغارة وصولة". م٦، ص١٤.

بنو أسد

وهم بنو أسد بن خزيمة[1]. ولهم بطون عديدة أشهرها بنو دودان[2]. التى أفترقت عنها أكثر بطون أسد الأخرى.

إن مساكن بنى أسد فى الجزيرة العربية من حيث العموم تقع بين تيماء وجبلى آجا وسلمى الى ضرية[3]. وكانت لهم السيطرة على الطرق التجارية وطرق الحجّاج[4]، مثل الغمر الذى يبعد عن فيد ليلتين[5]، والذروة التى تقع قرب الكوفة[6].

---

۱. الجوهرى: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج۱، ص۴۳۸؛ ابن حزم: ص۴۸۰؛ ابن منظور: ج۴، ص۳۸.

۲. عن بطونهم أنظر: اليعقوبى: تاريخ، ج۱، ص۲۶۴ـ۲۶۵؛ ابـن حـزم: ص۴۸۰، ۴۶۶؛ النـويرى: نهايـة، ج۲، ص۳۶۵؛ القلقشندى: نهاية، ص۴۰۱؛ السويدى: ص۶۰؛ ينظر أيضاً مقالة: (Banu Asad) فـى دائـرة المعـارف الإسـلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم: H. Kindermann.

۳. عن المواضع فى نجد أنظر: الأصفهانى: ج۵، ص۲۵؛ ياقوت: ج۱، ص۸۸۸، ج۲، ص۲۴، ۲۶۶، ۴۰۷، ج۳، ص۲۸۵، ۴۰۰، ۷۷۹.

۴. ينظر: مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق، كانون الثانى، ۱۹۴۲م، ۱۷: ۴۰۵.

۵. المسعودى: التنبيه والإشراف: ص۲۵۲.

۶. الدينورى: الأخبار الطوال، ص۳۱۰.

كان لبنى أسد فى الجزيرة العربية كثير من المياه والجبال والوديان[1]. وفى القرنين الثالث والرابع الهجريين ذكر اليعقوبى خلال وصفه الطريق من الكوفة الى مكة الذى كان يقسم الى ثمانى مراحل، فقال أنه من المرحلة الخامسة الى الثامنة كانت من ديار بنى أسد[2]. وهذا يعنى

---

۱. عن صفة بلاد بنى أسد أنظر: عبيد بن الأبرص: ديوان، ص۲۵؛ وعن المياه أنظر: ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص۳۲؛ الزمخشرى: الفائق فى غريب الحديث، ج۱، ص۳۲۳؛ ياقوت: ج۱، ص۴۲۹، ۶۰۱ـ۶۶۱ـ۶۷۶ـ۷۴۲ـ۸۴۴ـ۹۳۱، ج۲، ص۴۸ـ۲۶۵ـ۲۶۶ـ۴۰۷ـ۵۱۰ـ۷۲۴، ج۳، ص۹۲ـ۲۵۵ـ۲۷۴ـ۳۵۷ـ۴۰۳ـ۴۷۹، ج۴، ص۱۸۱ـ۳۳۲ـ۴۲۹ـ۶۰۱ـ۶۳۲ـ۷۴۰؛ الزبيدى: تاج، ج۱، ص۲۱۱، ج۳، ص۲۱۵، ج۴، ص۲۷، ج۶، ص۲۴۲ـ۲۸۷، ج۸، ص۲۲۷، ج۹، ص۱۴۵؛ الفيروز آبادى: ج۳، ص۱۹۴، ج۴، ص۲۰۳.

۱. وديانهم أنظر: الهمدانى: صفة، ص۱۱۸؛ البكرى: ج۱، ص۱۴۱؛ ياقوت: ج۱، ص۲۱۱ـ۹۳۲، ج۲، ص۶۸ـ۵۰۱ـ۶۳۶ـ۸۱۶، ج۳، ص۸۵۹، ج۴، ص۴۹ـ۶۶۶؛ الزبيدى: ج۵، ص۱۰۲، ج۸، ص۳۳۱؛ الفيروز آبادى: ج۱، ص۳۷۵؛ ابن منظور: ج۱۸، ص۲۷۱.

وعن جبالهم أنظر: الأغانى، ج۸، ص۳۱۶؛ ياقوت: البلدان، ج۱، ص۸۳۷ـ۸۸۸ـ۸۹۳، ج۲، ص۱۰۱ـ۱۹۷ـ۴۳۲، ج۳، ص۲۸۹ـ۳۶۱ـ۳۴۸ـ۴۰۰ـ۵۸۱ـ۶۰۱، ج۴، ص۱۳۸ـ۱۵۵ـ۱۵۸ـ۱۹۵؛ الزبيدى: ج۹، ص۱۴۵.

وتوجد لهم مواضع أخرى أنظر: الهمدانى: صفة، ص۱۷۴ـ۱۷۸؛ البكرى: ج۱، ص۱۰۶ـ۲۱۸؛ ياقوت: البلدان، ج۱، ص۱۰۶ـ۱۱۶ـ۱۴۱ـ۳۵۵ـ۳۶۲ـ۸۴۲ـ۹۰۴ـ۹۱۴، ج۲، ص۹۱ـ۱۶۲ـ۲۰۴ـ۳۰۱ـ۳۷۰ـ۵۰۰ـ۸۸۴، ج۳، ص۷۵ـ۱۱۸ـ۴۱۷ـ۴۶۶ـ۷۱۶ـ۷۴۰ـ۷۴۳، ج۴، ص۱۷ـ۲۹۲ـ۷۲۶ـ۸۰۴.

ووصفت بلاد بنى أسد بأنها فيا فى غامرة أنظر: التوحيدى: أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ج۱، ص۸۰؛ الجاحظ: الحيوان، ج۲، ص۱۷۱؛ وعن صفات بنى أسد، كان يطلق عليهم الأشراف، الطبرى: م۲، ص۸۰۲؛ ويتصفون بالقوة والكرم. ديوان الأبرص، ص۶۳؛ البلاذرى: أنساب الأشراف، ج۱، ص۳۶. وأشتهروا أيضاً بالقيافة والعيافة والزجر والكهانة. ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، ج۴، ص۱۲۲؛ المسعودى: مروج، ج۲، ص۱۶۹؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج۱، ص۱۷۴؛ ابن حزم: ص۳۷۶.

۲. اليعقوبى: البلدان، ص۳۱۱. المحطات هى القادسية، المغيثية، القرعاء، واقصة، زبالة، الشقوق، بطان.

أن بنى أسد، أو بعض فروعهم، أخذوا يهاجرون الى الطرق التجارية. فكانت محطة زبالة لبنى غاضرة من بنى أسد[1]. وبطان لبنى ناشرة من بنى أسد[2]. والذروة التى تقع قرب الكوفة[3] وحدد الإصطخرى فى القرن الرابع الهجرى المنطقة التى فيها بنو أسد فقال: "فأما بين القادسية الى الشقوق فى الطول والعرض من قرب السماوة الى حدّ بادية البصرة فسكانها قبائل من بنى أسد"[4] أى أن قبيلة بنى أسد أخذت تتجه نحو الكوفة، وتتجمع على الطريق الذى يربط الكوفة بمكة، ولا شک أنها أخذت تهجر مواطنها بالتدريج، غير أننا لا نعلم متى هاجرت؟. والظاهر أن قسماً من بنى أسد قد ظلّ فى الصحراء حتى فترة متأخرة، فهناک عدّة روايات تاريخية توضح ذلک. فقد روى الدينورى أن رجلاً هرب من الكوفة فى عهد المختار الثقفى ونزل فى ذروة وهى ماء لبنى أسد[5] وفى سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م خرج على بن زيد من الكوفة الى خفاف وهى من بلاد بنى أسد وأقام بها[6]. وفى سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م وثب جماعة من الأعراب من بنى أسد على على بن مسرور البلخى قبل وصوله الى المغيثية بطريق مكة[7] وفى سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م مضى زكرويه القرمطى نحو واقصة ومرّ فى طريقه

---

١. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٩١٢.

٢. نفس المصدر: ج١، ص٦٦١.

٣. الدينورى: الأخبار الطوال، ص٣١٠.

٤. الأصطخرى: مسالک الممالک، ص٢٢.

٥. الدينورى: الأخبار، ص٣١٠؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٥.

٦. ابن الأثير: ج٧، ص٨٥.

٧. الطبرى: م٣، ص١٩٣١؛ ابن الأثير: ج٧، ص١١٧ والمغيثية منزل فى طريق مكة، ياقوت: ج٤، ص٥٨٥.

بطوائف من بنى أسد فأخذها من بيوتها وقصد الحُجّاج المنصرفين من مكة[1]. جميع هذه الروايات تؤكد أن هناك دياراً لبنى أسد فى الجزيرة العربية، ويبدو أن القبائل التى هى بطون لبنى دودان بن أسد قد أستقرت الكوفة وأطرافها، وبنو مزيد يرجعون الى هذه البطن.

لعل من أهم الأسباب التى دفعت الى ترک بنى أسد لديارهم، مجئ قبيلة طئ من اليمن نحو الشمال فقد أصطدمت بقبيلة بنى أسد التى كانت أماكنها فى طريق هجرة هذه القبيلة، وأول ما أقتطعته طىء من بنى أسد جبلى آجا وسلمى[2]. ومما لا ريب فيه أن هذا جعل قبيلة بنى أسد تبحث عن مناطق أخرى.

وشارک بنو أسد فى الفتوحات الإسلامية، ونزلوا فى أطراف الكوفة[3] ولهم خطة ومساجد فيها[4] كما أنهم أشتركوا فى كثيرٍ من الأحداث الإسلامية فى القرون الأول والثانى والثالث للهجرة[5] مما يوضح أستمرار سكناهم فى أطراف الكوفة.

وسكن بنو أسد أماكن أخرى من العراق كأرض الغاضرية من كربلاء حيث أشتركوا مع

---

١. الطبرى: م٣، ص٢٢٧٠؛ مسكويه: ج٥، ص٥١ (ليدن ـ ١٩١٣م).

٢. ابن قتيبة: المعارف، ص٦٤١ـ٦٤٢؛ ابن خلدون: م٢، ص٦٦٢، ٩٣٩.

٣. اليعقوبى: البلدان، ص٧٠.

٤. الأغانى، ج١١، ص٢٥٢.

٥. أنظر: الطبرى: م٢، ص٨٠٣، م٣، ص١٥٢٠، ١٦١٧، ١٨٥٠، ٢٢١٧؛ مسكويه: ج١، ص٣٠؛ وعن سكناهم أطراف الكوفة أنظر: القرطبى: صلة تاريخ الطبرى، ص١٦٤؛ مسكويه: ج١، ص٣٠؛ الصولى: أخبار الراضى والمتقى لله، ص٢١٥؛ ابن خلدون: م٤، ص١٩.

الإمام الحسين (ع)[1]. كما ذُكر سكناهم فى عين التمر سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م[2]. ومن المُحتمل أنهم سكنوها منذ أوائل العصر الإسلامى.

وقد نزل قسم من بنى أسد على الطريق بين البصرة والكوفة[3]. وسكن آخرون فى واسط[4]. وفى بغداد كانت لهم حلّة فى باب حرب حيث أشتهروا بالقيافة والزجر[5].

وأورد محمّد بن عبد الملک روايةً سنة ٣٣٢هـ عن مسيرة ناصر الدولة الحمدانى صاحب الموصل ومعه بنى أسد[6]. الأمر الذى يدل على أنهم كانوا سكنوا الموصل أو بالقرب منها.

وفى القرن الرابع الهجرى، أصبح بنو أسد قوة يُعتمد عليها، فقد وقفوا الى جانب الحمدانيين سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م[7]. وأعتمد عليهم البويهيون أثناء منازعاتهم على السلطة[8]. وتعدّ فعاليات بنى أسد السياسية فى هذا القرن البدايات الأولى لإتجاه بنى مزيد، كما سنوضحه فيما بعد.

---

١. الطبرى: م٣، ص١٦٢٣ـ١٦٢٤؛ المسعودى: مروج، ج٦، ص١٤٧؛ ابن الأثير: ج٤، ص٣٥.

٢. الطبرى: م٣، ص٢٢٥٩ـ٢٢٦٠؛ E١. (z) (Asad).

٣. الطبرى: م٣، ص١٨٥٠، إلا أنه لم يكن لهم خطة بالبصرة. ابن دريد: ص٥٠١.

٤. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٨٣.

٥. التنوخى: نشوار المحاضرة، ج١، ص١١٨.

٦. محمد بن عبد الملک الهمدانى: تكملة، ج١، ص١٦٧.

وفى مناطق أخرى أنظر: اليعقوبى: البلدان، ص٣٥٣؛ فى مدينة أسطيف. وكذلک فى ← دمشق المقريزى: السلوک، ج٢، ق١، ص٨٣. ويوجد بعض الأشخاص فى الرقة. البغدادى: تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٦٦، ج٨، ص٤٨٩. وفى حلب، ابن العديم: ج١، ص٨٩، ج٢، ص٢١. وفى قنسرين (نقرة بنى أسد) ابن العديم: ج١، ص٢٠.

٧. محمد بن عبد الملک الهمدانى: تكملة، ج١، ص١٦٧.

٨. ابن خلدون: م٣، ص٩١٧.

ويرى الأستاذ بوزورث أن عائلة بنى مزيد لم يظهر لها دور فى التاريخ حتى السنوات الأولى من القرن الخامس الهجرى بعد أن منح البويهيون مزيداً حماية سورا فى حين تؤكد المعلومات السابقة أن لبنى أسد شأناً فى الحياة السياسية والإجتماعية فى المنطقة[1] قبل هذا التاريخ.

ص: ٨١

١. ينظر مقالة Mazayd فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة بالإنجليزية) بقلم الأستاذ: Bosworth.

الفصل الثالث

أمراء بنى مزيد

الحديث عن بداية ظهور بنى مزيد وتطور إمارتهم فى منطقة الفرات الأوسط ضد السلطة الحاكمة فى بغداد يتطلب منا إلقاء نظرة عامة على ظروف وطبيعة السلطة المركزية فى ذلك الوقت. فأول رواية جاء فيها ذكر بنى مزيد هى تلك التى أوردها ابن الجوزى التى يعود تاريخها الى فترة الوزير المهلبى، وزير معز الدولة البويهى. والظاهر أن المزيديين لم يلعبوا فى تلك الحقبة التاريخية أى دور سياسى مهم لسببٍ واضح وهو قوة السيادة البويهية فى زمن معز الدولة الذى دام حكمه من سنة ٣٣٤ـ٣٥٦هـ/٩٤٦ـ٩٦٧م. ومع أن أسمهم قد ورد خلال فترة حكم معز الدولة، إلا أنه يختفى تماماً من مسرح الأحداث السياسية التى سادت فترات حكم بختيار ابن معز الدولة وعضد الدولة وصمصام الدولة وشرف الدولة ليظهر من جديد فى فترة حكم بهاء الدولة (٣٧٩ـ٤٠٣هـ/٩٨٩ـ١٠١٢م). إنه من الصعب تحديد سبب هذا الغموض فى تاريخ المزيديين، ولا ندرى هل هو عائد الى صمت المؤرخين فى تسجيل حوادث المزيديين، أم أنه يعود الى أمر آخر هو أن المزيديين لم يلعبوا أى دور سياسى خلال تلك الفترة أو بصورةٍ أدق لأنهم لم يشكلوا قوة سياسية ذات أهمية فى المنطقة.

ص: ٨٢

من الواضح أن بهاء الدولة البويهى قد حكم فترة طويلة نسبياً إلا أنه خلال أغلب هذه الفترة كان منشغلاً بحروبٍ مع أفراد أسرته المنافسين لسلطته فى الرى، وفارس، والأهواز، وكرمان، والجزيرة[1]. إن أهم النتائج السلبية التى رافقت هذا الإضطراب السياسى لسلطة البويهيين هو ضعف سيطرتهم على العراق مما ساعد على تبلور ثورة بنى عقيل فى الموصل التى أمتد نفوذهم أيضاً الى بعض المناطق فى الفرات الأوسط، وكذلک الى ظهور بنى مزيد قوة على المسرح السياسى وتوسع نشاطاتهم، ثم الى أزدياد هجمات القبائل البدوية على الحُجّاج والمسافرين الى مكة، كما حدث فى سنوات ٣٩٢هـ/١٠٠١م، ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، ٣٩٩هـ/١٠٠٩م[2].

ينتمى بنو مزيد، كما أشرنا قبل ذلک، الى عشيرة من بنى أسد[3]. وهناک ثلاث روايات عن شجرة أنسابهم أوردها كل من أبى البقاء هبة الله، والزبيدى، وصاحب كتاب بحر الأنساب المسمى بالمشجّر الكشّاف. والذى يبدو أن مؤلف الكتاب الأخير قد نقل شجرة الأنساب عن الزبيدى غير أن الشجرة التى قدّمها المؤلف الأول تحتوى على بعض الأختلافات عما هو موجود فى شجرة الزبيدى. وبما أن مخطوطة المناقب المزيدية هى الأكثر أختصاصاً فى أنساب بنى أسد لذلک فمن المُحتمل أن تكون أصح الشجرات من حيث طابعها العام. لقد جاءت شجرة أنسابهم فى هذه المخطوطة على أنهم أولاد مزيد بن مرثد بن الديّان بن عذور

---

١. Kabir, The Buwyahid pp. ٧٧ ـ ٨٥ .

٢. أنظر عن هذه الحوادث: ابن الجوزى: ج٧، ص٢١٩، ٢٤٤؛ ابن الأثير: ج٨، ص٢٢٣، ج٩، ص٧٧؛ سبط ابن الجوزى: (مخطوطة المتحف البريطانى) ورقة ١٩٤ (ب).

٣. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤.

بن عدلى بن جلد بن جبى بن عبادة بن مالک بن عمرو بن أبى المظفار ومالک بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة بن نصر بن سواه بن سعد بن مالک بن ثعلبة بن دودان[1]. وكان بنو مزيد كما هو الحال فى أغلب القبائل العربية التى سكنت الفرات الأوسط، من الشيعة. ويشير الأستاذ بوزورث أن المزيديين كانوا شأنهم شأن الكثير من القبائل العربية فى أطراف الصحراء السورية شيعة.

فى دراستنا لتطور قوة الإمارة المزيدية سياسياً وتوسع نفوذها فى العراق سوف نركز على نشاطات وفعاليات كل أمير من أمرائها.

إن صاحب مقالة "المزيديون"[2] فى دائرة المعارف الإسلامية قد أعتمد على قول ابن الأثير فى حوادث سنة ۴۰۳هـ عندما خلع سلطان الدولة البويهى على على بن مزيد، وقد بنى على هذه الرواية أستنتاجاً هو قوله أنها الإشارة الأولى فى التاريخ نشأة كيان الإمارة المزيدية، غير أن هناک بعض الروايات التى ذكرها الروذراورى وابن الجوزى وحتى ابن الأثير نفسه التى يُستشف منها أن تأسيس الإمارة المزيدية يرجع الى سنوات أقدم من التاريخ المذكور آنفاً.

---

۱. البقاء: المناقب المزيدية (مخطوطة)، ورقة: ۱۱۲ (أ)، ينظر المحقق: ج۱، ص۳۶۲؛ أما الزبيدى (تاج العروس، مادة حلل، ج۷، ص۲۸۳) فقد ذكرهم على أنهم بنو مزيد بن مرثد بن الديان بن خالد بن حى بن زنجى بن عمرو بن خالد بن مالک بن عوف بن مالک بن ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالک بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وقد ذكرهم صاحب بحر الأنساب المسمى بالمشجر الكشاف، ص۲۵۶. على أنهم بنو مزيد بن مرشد بن السريان بن خالد بن حى بن زنجى بن عمرو بن خالد بن مالک بن عوف بن مالک بن ناشرة بن تعز بن سواه بن سعد بن مالک بن ثعلب بن دودان بن أسد بن خزيمة.

۲. (Mazydis) El (۱) by Zettersteen)؛ بقلم الأستاذ بوزورث Bosworth. ينظر: مقالة Mazyad فى دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة).

قال ابن الجوزى إن أول من ملک من هذا البيت هو مزيد وإليه يرجع المزيديون، وقد عهد إليه "أبو محمد المهلبى وزير معز الدولة أبى الحسين ابن بويه حماية سورا وسوادها، فوقع الأختلاف بين بنى بويه وكان يحمى تارة ويغير أخرى وبعث به فخر الملک أبو غالب الى بنى خفاجة سنة القرعاء فأخذ الثأر منهم ومات"[1] وتظهر هذه الرواية أن الإشارة الأولى لتحمل مزيد مسؤولية حماية منطقة سورا كان فى فترة وزارة المهلبى التى أمتدت بين ٣٤٥ـ٣٥٢هـ/٩٥٦ـ٩٦٣م. كما أن الرواية ذاتها تصرّح بأن مزيد أستمر فى حمايته للمنطقة حتى زمن فخر الملک أبى غالب... ومع أن فخر الملک هذا كان يشغل منصب الوزير لبهاء الدولة، إلا أنه تلقب بفخر الملک بعد تعيينه حاكماً على بغداد من قبل بهاء الدولة وبعد وفاة حاكمها السابق عميد الجيوش فى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م. ولقد أمتدت فترة حكم فخر الملک فى بغداد من سنة ٤٠١هـ حتى ٤٠٧هـ/١٠١٠ـ١٠١٦م. وعلى هذا فإن ابن الجوزى يناقض ما صرّحت به الروايات الأخرى التى لم يرد فيها أسم مزيد خلال فترة حكم فخر الملک. فقد ذكر الروذراورى (وتبعه فى ذلک ابن الأثير[2] فى سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م) روايتين تتعلقان ببعض الحوادث السياسية التى جرت بين على بن مزيد الأسدى، أمير بنى أسد، وبين بهاء الدولة، وكذلک بينه وبين المقلد العقيلى. ومن هاتين الروايتين يتبين لنا أن علياً كان الأمير المزيدى فى زمن فخر الملک وليس مزيداً. ومن المحتمل أن يكون مزيد قد مات فى أوائل حكم بهاء الدولة، وأعقبه على على الإمارة.

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٥.

٢. الروذراورى: ذيل، ص٢٩٥ وما بعدها، ٣٠٤؛ ابن الأثير: ج٩، ص٥٠ ـ ٥١ ولقد ناقش جورج مقدسى هذه النقطة بصورة جيدة فى مقالته: Makdisi, 'Notes on the Hilla and the Mazydids in Medieval Islams in JAOS (١٩٥٤) pp. ٢٥٩ـ٦٢.

ومن الجهة الأخرى فإن رواية ابن الجوزى تُظهر بوضوح فكرة وجود الإمارة المزيدية قبل سنة ٤٠٣هـ، وأن مزيداً كان متقلداً بصورةٍ رسمية حماية منطقة سورا فى الفرات الأوسط. والظاهر أن الدور الذى لعبه مزيد فى المنطقة كان مرتبطاً بالظروف السياسية للسلطة البويهية. فالبويهيون، لاسيما بعد وفاة معز الدولة، أخذوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة فى بغداد، مما أدى الى ضعفهم وتفتيت قوتهم بحيث لم يستطيعوا فى كثير من الفترات صدّ هجمات القبائل على المناطق القريبة من بغداد. ولذلک فقد كانت وظيفة مزيد بالدرجة الأولى المحافظة على تلک المنطقة من هجمات القبائل الأخرى. ومن الناحية الأخرى فإن أضطراب سلطة البويهيين قد ساعدت مزيداً وغيره من الأمراء على توسيع نفوذهم السياسى. وهذه المعلومة يمكن أن تكون ردّاً على ما ذكره الأستاذ يوزورث من أن أسرة بنى مزيد لم يظهروا فى التاريخ إلا فى السنوات المبكرة من القرن الخامس الهجرى.

وعلى الرغم من كون مزيد أول شخصية ذكرت فى تاريخ بنى مزيد، إلا أن على بن مزيد يعدّ الواضع الحقيقى لأسس الإمارة المزيدية، وهذا الأمر يتضح من كيفية معالجته للمشاكل التى واجهته. والذى يبدو أن منطقة سورا بقيت هى المنطقة الرئيسة التى كانت تحت سيطرة على، وهو فى الواقع قد ورثها من أبيه. وكان يدفع مقداراً من المال سنوياً الى البويهيين فى مقابل حمايته لتلک المنطقة. فالمشروع الأول الذى أراد تحقيقه هو توسيع حدود إمارته وتثبيت أركانها. وقد حاول أولاً أن يبدأ ذلک على حساب الممتلكات التابعة لبنى عقيل، حيث كان لبنى عقيل أصحاب الموصل سيطرة على عدد من المواضع فى منطقة الفرات الأوسط. وقد جاءت الفرصة ملائمة لعلى فى حوالى سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م عندما أختلف كل

من الأخوين المقلد بن المسيب العقيلى وعلى بن المسيب حول السيادة على الموصل، فى ذلک الحين سيطر على بن مزيد على الأنبار، إلا أن سيطرته لم تدم طويلاً إذ أستطاع المقلد بن المسيب بعد وصوله الى الصلح مع أخيه أن تجريد حملة ضد الأنبار ومحاربة على بن مزيد الذى هرب بعد المعركة الى مهذب الدولة. وقد قام الأخير بإصلاح أمره مع المقلد[1].

وفى السنة ذاتها أعلن على بن مزيد تمرده على بهاء الدولة عندما طالبه هذا بتقديم مقدار من المال المقرر عليه، ومن المحتمل أن علياً أستغل فرصة غياب بهاء الدولة عن بغداد وأختلافه مع صمصام الدولة. وأعقب عمله هذا بوقوفه الى جانب صمصام الدولة وإقامة الخطبة له فى المناطق الخاضعة للمزيديين. ولم يقف على عند ذلک فقط بل إنه أراد تحقيق جزءاً من مشروعه التوسعى فأرسل قبيلة بنى أسد للهجوم على واسط ونواحيها. غير أنه لم يوفق فى ذلک، إذ جهز ضده بهاء الدولة جيشاً بقيادة أبى جعفر الحجّاج وقد أجتمع هذا الجيش مع جيش أبى العباس بن ماسرجس فى واسط. فلم يستطع على مواجهة كل هذه الجيوش لذلک قرر الهرب، ومن هناک راسل قوّاد الجيش البويهى مستعطفاً طالباً منهم إصلاح أمره مع بهاء الدولة، وقد بذل الأموال لذلک، فوافق بهاء الدولة على ذلک وأقره على ممتلكاته[2].

من المحتمل أن علياً بعد فشله فى المشروعين السابقين ركن الى الهدوء ومراقبة تطورات الظروف السياسية للبويهيين فى الوقت نفسه. وفى سنة ۳۹۲هـ/۱۰۰۱م حدث أصطدام بين قرواش بن المقلد العقيلى الذى أستطاع السيطرة على المدائن وبين الجيش البويهى بقيادة أبى جعفر الحجّاج. وقد تمكن الجيش البويهى من إزاحة قرواش عن المدائن وسيطرته عليها. أما

---

۱. الروذراورى: ص۳۰۴؛ ابن الأثير: ج۹، ص۵۰ ـ ۵۱.

۲. الروذراورى: ص۲۹۵ وما بعدها؛ ابن الأثير: ج۹، ص۵۱.

على فإنه بادر الى الإجتماع مع العقيليين ضد الجيش البويهى، ولهذا فإن ميزان القوى تحول الى جانب القبائل العربية. إلا أن قائد البويهيين طلب النجدة من قبيلة خفاجة، التى كانت آنذاک فى الشام. وبمساعدة هذه القبيلة أصبح الجيش البويهى قادراً على دحر القبائل العربية فى معركة دارت رحاها بالقرب من الكوفة، وقد هرب على بن مزيد بعد فشله تاركاً حلله وأمواله عرضةً للنهب من قبل البويهيين وخفاجة[1]. لا شک أن من بين الدوافع التى جعلت على بن مزيد يُسارع الى مساندة بنى عقيل هو العاطفة القبلية، وكرهه الخضوع للسلطة المركزية فقد كان يدفع لها كما مرّ بنا، أربعين ألف دينار سنوياً مقابل حمايته المنطقة، ثم الأهم من ذلک طمعه فى الحصول على بعض الممتلكات.

أما بخصوص موقف المزيديين بعد فشلهم فى الحرب السابقة، فالذى يبدو أن على بن مزيد دخل أيضاً فى مفاوضات للصلح مع السلطة المركزية فى بغداد والتى كان يمثلها آنذاک أبو على بن أستاذ هرمز الملقب بعميد الجيوش. ووفقاً لرواية ابن الجوزى فإن عميد الجيوش أقره على حماية بلاده مقابل دفعه المبلغ المذكور (۴۰ ألف دينار سنوياً)[2]. غير أننا لا نعرف فيما إذا كان هذا المبلغ هو مقابل حمايته للمنطقة نفسها، أعنى سورا، أم أن هناک مناطق أخرى جديدة؟ إلا أنه بالإعتماد على رواية ابن الجوزى التى ذكرها فى حوادث سنة ۳۹۶هـ/۱۰۰۵م يمكن القول بأن علياً أصبح حامياً لمناطق أخرى. قال ابن الجوزى فى

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۶۴.

۲. ابن الجوزى: ج۷، ص۲۲۳؛ ابن كثير: ج۱۱، ص۳۳۲.

تلک السنة أن الخليفة القادر أخذ ما كان يملكه على بن مزيد من كوثى ونهر الملک وسلمها لقرواش العقيلى[1]. ولكن الخليفة أعاد فى السنة التالية (٣٩٧هـ) تلک الأملاک لأبن مزيد، وبالإضافة الى ذلک فإنه منحه لقب سند الدولة[2].

يبدو من ذلک أن العامل الرئيس لذلک القلق السياسى وتبدل ميول الخليفة والأمير البويهى كان عاملاً مادياً، فمن المحتمل أن يكون قرواش العقيلى قد قدّم مبلغاً أكثر مما كان مقرراً على ابن مزيد مما جعل الخليفة يغير رأيه فى ابن مزيد. والرواية من الجانب الآخر تلقى ضوءاً على نوعية أملاک على فقد كانت كل من كوثى ونهر الملک وسورا من المناطق التى تمتاز بالخصوبة وكثرة الضياع والقرى[3].

إن منح الخليفة على بن مزيد لقب سند الدولة قد يعتبر نقطة تحول فى المكانة السياسية لعلى، لاسيما وأن الألقاب فى ذلک الوقت مع كثرة أنتشارها كانت تعكس أهمية خاصة من الناحية السياسية[4]. فلقب سند الدولة مثلاً يعنى أن علياً أصبح معولاً عليه فى الحماية والدفاع عن الدولة ومقرباً من الخليفة، ولهذا يعتبر أول شخص حصل على هذا اللقب من بين قبيلة بنى مزيد.

---

١. ابن الجوزى: ج٨، ص١٤٧؛ ولا تذكر المصادر الأخرى هذه الرواية.

٢. ن.م. ج٧، ص٢٣٤؛ ابن كثير: ج١١، ص٣٣٧.

٣. سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، ص١٢٤؛ الإصطخرى: مسالک، ص٨٥.

٤. كان الخليفة هو الذى يختص بمنح الألقاب للوزراء والقواد والأمراء، ويرجع ذلک الى أنه كان المرجع الأول فى تعيين الولاة، وكان الوالى حريصاً على أن يحصل أذناً وموافقة رسمية ← → من الخليفة، حتى تصبح ولايته رسمية، لهذا لا يحق لأحد أن يمنح الألقاب. كما أن اللقب لا يعتبر سارى المفعول دون مصادقة الخليفة... عن الألقاب وأهميتها السياسية ينظر: ياقوت: الأدباء، ج٢، ص٦٣؛ القلقشندى: صبح، ج١، ص١١٢؛ ج٦ فصل الألقاب؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٤٣؛ نظام الملک: سياستنامة (إنكليزى)، ص١٥٢ ـ ١٦٣؛ حسن باشا: الألقاب الإسلامية، ص٦٠، ٩٠.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الألقاب والمنح كانت مقابل خدمات وواجبات يقوم بها الأمير المزيدى، إضافة الى ما يقدمه من أموال. لهذا نرى فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م عندما أعترض البدو الحجّاج القادمين من مكة أرسل على بن مزيد أخاه حماداً لمساعدة الحجّاج، فجاء بهم هذا الى المدائن ثم الى بغداد سالمين[١]. وفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م تعرضت قبيلة خفاجة لطريق الحجّاج وألقت الحنظل فى المياه، الأمر الذى أدى الى موت عدد كبير من الحجّاج ـ قدرهم ابن الجوزى مع شئ من المبالغة بخمسة عشر ألف إنسان ـ حينذاك أمر فخر الملك على بن مزيد بملاحقة خفاجة ومحاربتهم. وبالفعل فقد نفّذ ابن مزيد الأمر وحارب خفاجة وأوقع بهم وأرسل الأسرى والأمتعة التى أخذوها من الحجّاج الى فخر الملك، فاستحسن عمله، وخلع عليه[٢].

ومع أننا لا نعرف نوع الخلعة التى يحتمل أن تكون أعترافاً رسمياً بإمارة على أو منحه بعض الأملاك والهدايا. وهنا أيضاً فإن علياً يعتبر أول شخص خلع عليه من بين قبيلته. وعلى الرغم من الأهمية التى تعكسها هذه الرواية، إلا أنه لا يمكن أعتبارها الإشارة الأولى لإعتراف السلطة المركزية بالإمارة المزيدية. وذلك لأن مزيد وعلى بن مزيد كانا متقلدين حماية منطقة سورا رسمياً وبموافقة السلطة أيضاً إلا أن الأختلاف المهم الذى حدث فى هذه الفترة هو أن علياً أصبح ذا نفوذ وقوة كبيرتين بين القبائل العربية، كما أن خدماته الناجحة فى

---

١. سبط ابن الجوزى: مرآة (مخطوط فى أسطنبول) مجلد ١١، ورقة ٢٥٧ (ب).

٢. ابن الجوزى: ج٧، ص٢٦٠ ـ ٢٦١، ٢٦٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص٨٨، ٩٠ يضع الحادثة فى سنة ٤٠٢هجرية؛ سبط ابن الجوزى: (مخطوط المتحف البريطانى) ورقة ١٩٩ (أ ـ ب).

تعقّب القبائل ومساعدة الحجّاج أكسبته أهمية كبيرة وساعدت على إبراز شخصيته من الناحية السياسية. فمما أورده ابن الأثير فى سنة ۴۰۴هـ/۱۰۱۳م أن زعيم خفاجة أراد طلب الصلح من فخر الملک حاکم العراق وأستشفع بعلى بن مزيد لأن يتوسط فى أمره، وفعلاً فإن فخر الملک رضى عنه وفرض عليه بعض العهود. غير أن خفاجة نكثت بالعهود مرةً أخرى وهاجمت سواد الكوفة ونهبته، وأثارت الرعب فى نفوس الأهالى، مما أدى الحال الى مكاتبة فخر الملک لعلى بن مزيد بتعقب ومحاربة خفاجة. وقد سار إليهم على وأوقع بهم وأسر زعيمهم[۱]. ومن المحتمل أن هجوم خفاجة على الكوفة وسوادها، ثم كفاية ابن مزيد فى ردّها دفعت فخر الملک الى أن يجعله نائباً على بلاده الكوفة[۲]. ومن الحوادث الأخرى التى تُظهر أتساع نفوذ على بن مزيد السياسى فى منطقة الفرات الأوسط، إضافة الى أتساع رقعة أملاكه ما حدث سنة ۴۰۷هـ/۱۰۱۶م عندما حدثت فتنة بين السُنّة والشيعة فى واسط، نهبت على أثرها محلات الشيعة والزيدية، لذلک قصد وجوه الشيعة على بن مزيد يستغيثون به ويستنصرونه[۳]. على الرغم من أن بنى بويه كانوا يميلون أيضاً الى هذا المذهب، وهم أصحاب السلطة والنفوذ فى بغداد، ويدل توجه أهالى واسط الى ابن مزيد واستنجادهم به دلالةً واضحةً على سعة نفوذه وسلطته أولاً، وعلى أنه أصبح أيضاً مسؤولاً عن المناطق المجاورة لمدينة واسط. ومما ينبغى ذكره فى هذا المجال أن مدينة النيل التى تقع بالقرب من واسط

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۹۱.

۲. أبو الفداء: المختصر، م۱، ج۴، ص۳۹؛ ابن كثير: ج۱۱، ص۳۵۲.

۳. ابن الجوزى: ج۷، ص۲۸۳؛ ابن الأثير: ج۹، ص۱۱۱؛ الذهبى: العبر، ج۳، ص۹۶.

كانت المركز المهم الذى سيطر عليه المزيديون، وقد أشتهرت فى بداية تاريخهم إذ أتخذها على بن مزيد عاصمة ومركزاً لهم، قبل أنتقالهم الى الجامعين والحلّة[1]. لقد كان لعلى بن مزيد بالإضافة الى نفوذه السياسى، مكانةً فى عالم الأدب، فمدحه عدد من الشعراء منهم مهيار الديلمى الذى بعث قصيدة الى النيل سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م أنشد فيها:

قُل للأمير ولو قلت، السماء به أعطيت مالک، حتى دبّ حادثه

مفضوحه الجود، لم تظلم ولم تحبِ أردت فيها الذى تعطى فلم تُصبِ[2]

وهذه الأبيات تصور كرم على بن مزيد. وهناک دليل آخر على صفاته الحميدة هو ما قام به سنة ٤٠٢هـ عندما نهبت قبيلة خفاجة الأنبار فقبض على زعيمها وأسر الكثير من أفرادها رأينا على بن مزيد يشفع لهم ويبذل الأموال الكثيرة عنهم الى أن أطلقهم من أسرهم[3]. على الرغم من أن علاقته ببنى خفاجة لم تكن وثيقة وحسنة كما تقدم، فقد كان لأبيه ثأر معهم، كما أنهم أتفقوا سنة ٣٩٢هـ مع البويهيين ضده ونهبوا حلله وأمواله، جنباً الى ما قاموا به نهب بعض الأماكن التابعة لسيطرته وخاصة الكوفة، وما قاموا به من عرقلة طريق الحاج الذى

---

١. أنظر: مهيار الديلمى: ديوان، ج١، ص١٨؛ ابن الأثير: ج٩، ص٩٣، ١٤٠؛ ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ص١٩٢؛ ابن الوردى: تتمة، ج١، ص٣٢٦.

٢. مهيار الديلمى: ديوان، ج١، ص١٨ ـ ١٩، ٢٠.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص٨٨.

يعود أمر تأمينه والمحافظة عليه له. والعمل هذا يثبت كرمه ومروءته. وحدث مثل ذلک فی سنة ۴۰۴هـ/۱۰۱۳م عندما أستشفع سلطان بن ثمال الخفاجی، رئیس بنی خفاجة بابن مزید علی أن یتوسط له عند فخر الملک لیرضی عنه فأجابه علی ذلک[۱].

علاقة المزیدیین ببنی دبیس

من المشاکل الأخری التی جابهها علی بن مزید فی دور تأسیسه الإمارة المزیدیة بالإضافة الی مشاکله مع السلطة المرکزیة وبعض القبائل العربیة المجاورة التی أشرنا الی بعضها فیما تقدم هی علاقته مع أقاربه بنی دبیس. یرجع بنو دبیس فی نسبهم الی أسد[۲] وقد سکنوا فی نواحی خوزستان فی جزیرة تعرف بأسم الجزیرة الدبیسیة[۳]. وقال یاقوت الحموی عن موضع الحویزة أنه "موضع حازه دبیس بن عفیف الأسدی فی أیام الطایع لله ونزل فیه بحلته وبنی فیه أبنیته ولیس بدبیس بن مزید... ولکنه من بنی أسد أیضاً"[۴] وبذلک أزال یاقوت الشک عن نسب بنی دبیس وأوضح أنهم غیر بنی مزید. ومساکن بنی دبیس، الحویزة

---

۱. ن.م. ج۹، ص۹۱.

۲. أنتظر: الروذراوری: ص۷۹؛ یاقوت: البلدان، ج۲، ص۳۷۱؛ ابـن خلـدون: م۴، ص۵۹۰؛ القلقشـندی: نهایـة الإرب، ص۴۲.

۳. لعلها تسمی الآن الدبیسات التی تقع بین العمارة والأهواز.

۴. یاقوت: البلدان، ج۲، ص۳۷۱ وما بعدها.

التى تقع بين واسط والبصرة وخوزستان فى وسط البطائح[1]، ولهم أيضاً حلّة بأسم حلّة بنى دبيس بن عفيف الأسدى وتقع بين الحويزة والبصرة والأهواز[2]. ويهمنا مما يخصهم من الروايات تحديد أماكن سكناهم، ومعرفة الفترة التاريخية التى جاءوا فيها وأستقروا فى تلك المناطق، وقد صرّح ياقوت أنها كانت أيام الطائع الذى تقلّد الخلافة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م.

كانت العلاقة بين المزيديين وبنى دبيس فى بداية الأمر حسنة، فبالإضافة الى النسب المشترک، هناک صلة المصاهرة بينهم، وكما أورد ابن الأثير أن محمد بن مزيد الملقب بأبى الغنائم كان متزوجاً من بنى دبيس، وكان مقيماً فى جزيرتهم[3]. والظاهر أن هذا الأمير لم يلعب دوراً مهماً فى تاريخ بنى مزيد، ومن المحتمل أيضاً أن سيطرة على بن مزيد القوية على الإمارة جعلته يقيم عند بنى دبيس. وقد أجمعت الروايات بالقول أن محمداً هذا أصبح سبباً فى توتر العلاقة بين المزيديين وبين بنى دبيس[4]، حيث أنه فى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م قتل أحد وجوه بنى دبيس وهرب الى أخيه على بن مزيد، فتبعه بنو دبيس، وتهيأ الطرفان للحرب. أما بالنسبة الى رواية ابن الأثير الذى لم يذكر مصدرها أن علياً أستنجد بعميد الجيوش البويهى فإنحدر هذا بزبزبه ومعه ثلاثين ديلمياً، إلا أنه وصله خبر هزيمة على بن مزيد وقتل أخيه محمد فرجع الى بغداد. فى حين سكت بعض المؤرخين أمثال أبو الفداء

---

١. ن.م. أنظر أيضاً عن الحويزة: Sehwarz, P.: Iran im mittelalter nach den Arabischen geographen, pp. ٣٩٢ـ٩٣.

٢. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣؛ المشترک، ص١٤٣؛ ولهم أيضاً الهمامية وهى من نواحى واسط. أنظر: ياقوت: البلدان، ج٤، ص٩٨٠.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص٨٣.

٤. ن.م.

وابن الوردى عن مثل هذه التفصيلات وأكتفيا بذكر المعركة التى كانت نتيجتها قتل محمد بن مزيد وهروب على[1]. وقد أعقبتها حرب ثأرية أخرى فى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م فقد أراد على بن مزيد أن يثأر لأخيه من مضر ونبهان وحسّان وطرّاد من بنى دبيس وقد سبق أن أوضحنا أن علياً هرب فى المعركة الأولى وأنه بقى طيلة الفترة من ٤٠١ـ٤٠٥هـ يستعد ويتهيأ ويجمع المحاربين حتى أنه جمع عدداً كبيراً من العرب والأكراد. وقد حاولت زوجة على بن مزيد التى هى أخت مضر بن دبيس أن تتدخل فى الأمر ولكن دون جدوى. وأخيراً وقعت الحرب بينهما وأنتصر على بن مزيد وقتل من بنى دبيس حسان ونبهان، ولحقهم على الى الحويزة، ثم نهب بيوتهم. وإعتماداً على رواية ابن الأثير أن من جملة ما وجد عندهم مكاتبات من فخر الملك البويهى بحث بنى دبيس على قتال على بن مزيد ويشجعهم على ذلك[2]. ولهذا توترت العلاقة بين الطرفين، وقد لعبت فيها التقاليد البدوية كالأخذ بالثأر دوراً رئيساً. ومع ذلك فهناك بعض النقاط الأخرى التى يمكن أستنتاجها من رواية ابن الأثير فيما إذا كانت الرواية صحيحة. إذ يمكن الإستنتاج أن السبب الرئيسى فى توسيع شقّة الخلاف بين الطرفين هو الحاكم البويهى عميد الجيوش الذى كان يُراسل بنى دبيس سراً ويحرضهم على قتال ابن مزيد، وإذا ما رجعنا الى المعركة الأولى التى حدثت سنة ٤٠١هـ عندما طلب على بن مزيد النجدة من عميد الجيوش بإعتباره المرجع الأعلى للمزيديين والموجه العام للواجبات المفروضة عليهم، وبالفعل فقد لبّى عميد الجيوش طلب على فتوجه بزبزبه

---

١. أبو الفداء: م١، ج٤، ص٣٤؛ ابن الوردى: تتمة، ج١، ص٣٤١؛ وقد وضع أبو الفداء هذه الحادثة سنة ٣٩٩هجرية.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٩٢ ـ ٩٣؛ ولم يورد أبو الفداء (م١، ج٤، ص٣٩) وابن الوردى (ج١، ص٣٢٦) هذه التفصيلات. كما أن أبا الفداء وضع الحادثة فى سنة ٤٠٤ هجرية.

لمساعدته، غير أنه لم يصل فى الوقت الملائم[1] إذ من المحتمل أن يكون تأخره متعمداً حتى يبقى ابن مزيد وحيداً فى المعركة، وفعلاً فقد خسرها وهرب من بلاده وقتل أخوه. أما سبب تدخل البويهيين فهو واضح وجلىّ، فقد كان على بن مزيد واسع النفوذ إذ ضمّ إليه منطقة واسعة فى الوقت الذى كان فيه الأمراء البويهيون منشغلين بمنازعاتهم الداخلية حول السلطة. ولهذا فإنه ليس من الممكن الحدّ من قوة المزيديين إلا بإثارة قبيلة أخرى ضدهم، وقد وجدوا فى بنى دبيس عاملاً قوياً للقيام بهذا العمل، فهم من بنى أسد، ثم أنهم سبق وأن أشتركوا الى جانب البويهيين فى معارك كثيرة[2] وأخلصوا لهم. إضافة الى كونهم من قبيلة قوية لها السيطرة على منطقة خوزستان، وبنجاح هذه الخطة يتحقق لهم أحد هدفين، إما هزيمة على بن مزيد والاستيلاء على بلاده، أو هزيمة بنى دبيس فتضعف قوتهم. وما حدث بعدئذٍ يدعم هذا الإستنتاج فإنه عندما نجح على بن مزيد فى حربه عاتب فخر الملک بما عثر عليه من مكاتبات بينه وبين أعدائه، فإعتذر له فخر الملک وقلّده أعمال بنى دبيس فى الجزيرة الأسدية إعترافاً بقوته[3].

والشئ الآخر المهم فى حرب على الأخيرة مع بنى دبيس أنه لم يعتمد على عشيرته فقط بل أستمر طيلة حوالى أربع سنوات يتجهز ويتهيأ فجمع الأعراب والأكراد الى صفوف جيشه. وهذا الأمر يدعو الى التساؤل أأن بنى مزيد كانت تنقصهم القوة العسكرية أم ليست لهم إمكانية الدخول فى الحرب لمفردهم، أم أن هناک سبباً آخر؟ من المحتمل جداً أن يكون

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۸۳.

۲. أنظر: مسكويه: ج۲، ص۳۶۹؛ الروذراورى: ص۸۰؛ محمد بن عبد الملک الهمدانى: تكملة، ص۲۶۱ ـ ۲۶۲.

۳. ابن الجوزى: ج۷، ص۲۷۰؛ الغسانى: مخطوط المسجد المسبوک، ج۱، ورقة ۱۷ (ب)، وقد حقق الجزء الثانى منه الذى يبدأ بحوادث سنة ۵۷۵ هجرية حتى ۶۵۶ هجرية وطبع فى بغداد ۱۹۷۵م حققه د. شاكر عبد المنعم.

أفراد القبيلة قد أنقسموا قسمين، فمنهم من يؤيد بنى دبيس لاسيما وأنهما من صلبٍ واحد وربما كان هذا الفريق المؤيد لبنى دبيس يمثل الأكثرية. مما لا شك فيه أن إعتماد على على المرتزقة من الأعراب والأكراد كوّن نقطة ضعف فى جيشه حتى بعد أنتصاره على بنى دبيس وهروب مضر من المعركة. وكما قال ابن الأثير أن مضر أستطاع أن يجمع عدداً من المقاتلين وأن يهاجم أبا الحسن على بن مزيد ليلاً مما أدى الى هروبه.

توفى على بن مزيد سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م بعد أن كافح طيلة عشرين سنة فى سبيل تحقيق مشروعه المتضمن تثبيت أُسس الإمارة المزيدية وتوسيع حدودها، وقد كان موفقاُ الى حدٍّ كبير فى كليهما.

كان له من الأخوان أبو الغنائم محمد الذى كان مقيماً، كما سبق ذكره، فى الجزيرة الدبيسية، وقد قتل خلال الحرب مع بنى دبيس فى سنة ٤٠١هـ غير أننا لا نعرف شيئاً آخراً عن حياته وأهميته ودوره فى الإمارة المزيدية. ومن المحتمل أن أبا الغنائم هذا كان غير راضٍ عن إمارة أخيه، ومنشقاً عليه. أما أخوه الآخر حمّاد، فلم يرد ذكر له فى الحوادث التاريخية، ولكن جاء ذكر لأبنائه الثلاث شبيب الملقب بأبى الحملات وكان أديباً وشاعراً وله مكاتبات شعرية مع الشاعر مهيار الديلمى، وسرايا ووهب. بينما كان لعلى بن مزيد أولاد منهم أبو قوّام ثابت بن على. والمقلد بن على ونور الدولة دبيس بن على[١].

---

١. أنظر: مهيار الديلمى: ج١، ص١١٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص١١٤، ١٤٠، ١٦٣؛ Zambaur: Manuel de poole, S.: genealogie et de chronologie pour L'histoire de L'Islam, p. ١٣٧ Lane The Mohammadan dynasties (١٨٩٣) p. ١٢٠.

وقد أتفق المؤرخون على أن علياً قبل موته كان قد جعل أبنه دبيس ولى عهده على الأعمال التابعة للإمارة المزيدية، ولكى يكسب ذلک الصفة الرسمية فإنه أيضاً طلب من السلطة المركزية الإعتراف بأبنه. وفعلاً فقد أقرّت السلطة البويهية ذلک وخلع على دبيس خلعة ثم قرأ المنشور بولايته[1]. ولقد أمتدت إمارة دبيس من سنة ٤٠٨ـ٤٧٤هـ/١٠١٧ـ١٠٨١م وهى فترة طويلة واجه فيها كل من دبيس والإمارة المزيدية تحدياتٍ داخلية وخارجية وتطورات مع السلطة الأجنبية، ففى هذه الفترة ظهرت المنافسات الشخصية بين أفراد القبيلة ضد سيطرة دبيس، وفيها أشتدت ضربات القبائل المجاورة، والأهم من كل ذلک فإنه فى هذه الفترة أنتهت سيطرة البويهيين على العراق لتحلّ محلها سيطرةٍ أجنبيةٍ أخرى وهم السلاجقة. ولذلک نرى دبيس فى جميعها منشغلاً فى التغلب على مشاكله مع منافسيه ومحاولاً أعطاء إمارته مظهراً آخراً وذلک بإستغلاله التبدلات السياسية للسلطة المركزية.

١ـ كان أختلاف قبيلة بنى مزيد وتفككها بعد موت على يعدُّ من أول وأخطر هذه المشاكل التى واجهها دبيس. إذ أنه بعد توليته الإمارة ظهرت المنافسة بين أفراد الأسرة، والتى أدت بطبيعة الحال الى أنقسام العشيرة بصورةٍ عامة حول من يخلف على بن مزيد[2]. ويبدو أن هذا الصراع فى سبيل الحصول على الإمارةٍ يرجع الى تعيين وتقريب الأب أحد

---

١. ابن الجوزى: ج٧، ص٢٨٩؛ ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ سبط ابن الجوزى: مرآة (مخطوط فى أسطنبول) مجلد ١٢، ورقة ١٦ (ب) حقق القسم الخاص بتاريخ السلاجقة من سنة ١٠٥٦ ــ ١٠٨٦ على سويم (أنقرة: مطبعة الجمعية التاريخية التركية، ١٩٦٨) صفحات ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ الغسانى: مخطوط المسجد المسبوک، ج١، ورقة ١٨ (ب).

أبنائه دون غيره، فمن المحتمل أن يكون دبيس ـ الذى أصبح أميراً شرعياً ـ صغير السن وليس له دراية واسعة فى الأمور السياسية ولكنه بأعتباره مقرباً الى والده فإنه عهد إليه بالإمارة، مما أثار الحسد والغيرة فى نفوس أخوانه وأبنائه الآخرين الذين يرون فى أنفسهم الكفاية. كما أنه قد يكون لهذا الأمر علاقة بالسياسة البويهية العامة وما كان يحدث بين الأمراء البويهيين من خلاف حول السلطة، فعندما يؤيد أحد الأمراء البويهيين أحد أفراد عائلة المزيديين، بينما يؤيد أمير بويهى آخر إمارة جهة أخرى تتسع تبعاً لذلک شقة الخلاف. هذا الى جنب ما كان يهدف إليه البويهيون من وراء أختلاف الأمراء المزيديين حول السلطة مما يؤدى الى ضعفهم وسيطرة البويهيين عليهم. وقد كان المقلد أول من أعلن تمرده على تولية أخيه، فحاک مؤامرته فى بغداد بعد أن كسب تأييد الأتراک ببذله الأموال الطائلة. وكان هدفه القضاء على أخيه وتسلم الإمارة، وفعلاً فقد سار بصحبة جمعٍ كبير من الأتراک وتم له الأنتصار على أخيه الذى هرب الى واسط حيث قام "الأثير الخادم" برعاية شؤونه حتى ثبت قدمه، كما قال ابن الأثير[1]. وهذا يؤكد ما سبق ذكره أن دبيساً لا زال صغيراً لم يستطع تحمل عبء الإمارة، بينما كان المقلد مسنوداً من قبل الأتراک فى بغداد. ثم تنقطع أخبار المقلد ومدة بقائه فى الإمارة فيما عدا ذكر مهيار الديلمى له حيث قدم له قصيدة فى مدحه[2]. ومن المحتمل أن مدة بقاء المقلد فى الإمارة كانت قصيرة لاسيما وأن دبيساً كان الأمير الشرعى وأن العشيرة أتفقت عليه[3]. ويبدو من كلام ابن الأثير أن موقف المقلد بعد الأنتصار أصبح قلقاً بعد عودة الأتراک الى بغداد وتركه لمفرده. كما أن دبيساً بعد هروبه الى واسط أستطاع أن

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ عبد العزيز آل صاحب جواهر: آثار الشيعة الإمامية، ص١٢١ ـ ١٢٦.

٢. مهيار الديلمى: ج٤، ص٩٧.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ مخطوط المسجد المسبوک، ج١، ورقة ١٨ (ب).

يجمع مؤيديه من القبيلة وأن ينتصر على أخيه. غير أن المقلد لم يقطع آماله فى الأخذ بثأره وأستلام الإمارة مرةً أخرى، فذهب أولاً الى بنى عقيل غير أنه من المحتمل أن لا يكون قد وجد منهم تشجيعاً ومساعدة عسكرية. ويختفى دوره ليظهر على مسرح أحداث سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م عندما تعرض دبيس الى هجوم من قبل أولاد عمه. وقد أستطاع المقلد أن يحصل على مساعدة من جلال الدولة، وأن يسير مع الجيش البويهى ضد أخيه. وللمرة الثانية فقد أحرز المقلد الفوز فى المعركة وهرب دبيس من ممتلكاته الى السندية. ومن هناك دخل فى مفاوضات مع جلال الدولة لإصلاح أمره وتعهد بدفع (١٠) عشرة آلاف دينار إذا أُعيد الى إمارته. وبذلک أستطاع نيل تأييد جلال الدولة الذى خلع عليه وقلّده الإمارة. ولما رأى المقلد فشل خطته فى البقاء، لجأ وبمساعدة قبيلة خفاجة الى نهب وتخريب الأماكن التابعة لدبيس مثل مطير أباذ والنيل وسورا. ثم بعد ذلک هرب الى أبى الشوک[١].

كان على دبيس أيضاً مواجهة تمردٍ آخر قاده أخوه الآخر أبو قوام ثابت بن على سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م. وفى هذا المجال ينبغى علينا القول بأن ابن الجوزى لم يذكر شيئاً عن هذه الحادثة أو التى سبقتها، وأن ابن الأثير هو مصدرنا الرئيس فى ذلک. وعلى الرغم من أن ابن الأثير قد ذكر سبب هذا التمرد هو "أن ثابتاً كان يعتضد بالبساسيرى ويتقرب إليه"، إلا أن هذا لم يكن فى الواقع السبب الحقيقى لذلک وأنه من الأرجح أن يكون التمرد بسبب المنافسة على السلطة. ومن المحتمل أن أبا قوام لم يستطع المجاهرة به دون العثور على تأييد عسكرى. وكما حصل المقلد مثل هذا التأييد من الأتراک فى بغداد، فإن مساعدة أبى

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٤٠ ـ ١٤١؛ سبط ابن الجوزى: (القسم المحقق)، ص١٠٤، ١٠٥.

القوام جاءت من جانب البساسيرى الذى كان نجمه العسكرى ونفوذه السياسى آنذاك فى صعود. ففى تلك السنة أجتمع الطرفان على قتال دبيس الذى لم يكن بإمكانه الصمود فأضطر أيضاً الى الهروب وترک بلاده تحت سيطرة ثابت. والظاهر أن ثابتاً بقى مسيطراً على الإمارة حوالى سنة واحدة. فى خلالها كان دبيس مستمراً على جمع المحاربين من قبيلة بنى أسد وخفاجة وقبائل عربية أخرى، ولذلک أستطاع فى سنة ۴۲۵هـ/۱۰۳۳م التوجه الى بلاده ومحاربة ثابت. ومن المحتمل أن يكون البساسيرى قد ترک جيشاً الى جانب ثابت، فضلاً عن ذلک فقد جهّز جيشاً وسار من بغداد لمعاضدته ولكن المعركة بين الطرفين قد أنتهت بمصالحتهم على أن يعود دبيس الى إمارته وأن يقطع أخاه إقطاعاً معيناً[1] ومن خلال الحوادث التالية نرى أن ثابتاً لم يحرک ساكناً ولم ترد معلومات أخرى عن أعماله عدا علاقته بالشاعر مهيار الديلمى فقد كان على أتصالٍ به، وقد قدم له الهدايا، والمهم من هذه العلاقة أن مهياراً كان يبعث بقصائده الى ثابت فى مدينة النيل[2] مما يؤكد على أن ثابتاً كان يقطن مع أخيه وقد نزع ثوب المعارضة.

بالإضافة الى تمرد أخوانه، فإن دبيساً واجه عصياناً آخر قام به أبناء عمّه حمّاد وهم شبيب وسرايا ووهب. ففى سنة ۴۲۰هـ/۱۰۲۹م قاد هؤلاء الأخوة حملة على الجامعين وأحتلوها، فى الوقت الذى كان فيه دبيس منشغلاً مع أبى كاليجار فى حربه ضد جلال

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۱۶۳؛ ابن العبرى: ص۳۱۹؛ (Mazyadids) (۱) EI؛ وأنظر فصل الإدارة عن هذا النوع من الإقطاعات.

۲. مهيار الديلمى: ج۴، ص۹۷.

الدولة. غير أن سيطرتهم على الجامعين لم تستمر طويلاً، إذ كان بأستطاعة دبيس أن ينتصر عليهم ويقضى على تحالفهم[1]. ومع أن ابن الأثير قد أهمل ذكر سبب هذا التمرد، إلا أنه من المحتمل أن يكون نفس السبب فى الحوادث السابقة، أى تنافس أفراد القبيلة الواحدة على السلطة.

٢ـ إن أنشغال دبيس فى كفاحه ضد أفراد عائلته المنافسين لسلطته قد أعطى فرصة ثمينة لبعض القبائل المجاورة وبالأخص قبيلة خفاجة على مهاجمة أملاكه فى المنطقة. وقد برهن دبيس على قدرته فى أستغلال تلك الحروب لغرض توسيع أملاكه. وإعتماداً على رواية ابن الأثير فإن أول أصطدام حدث بين دبيس وقرواش العقيلى (زعيم قبيلة بنى عقيل) فى سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، وفى هذه الرواية أيضاً قد أهمل ابن الأثير شرح سبب هذا الأصطدام. وأن كل ما قاله فى هذا الصدد هو أجتماع كل من دبيس بن على وغريب بن معن مع جيش بغداد لمحاربة قرواش بالقرب من كرخ سر من رأى. وقد أنهزم قرواش من المعركة، ثم أستطاع أن يستنجد بأمير خفاجة ضد هذا التحالف الثلاثى. إلا أن قرواش قد فشل أيضاً وهرب مرة أخرى. إن النتيجة الوحيدة التى أعقبت هذه المعركة هى سيطرة نواب السلطان على أعمال قرواش[2]. وهذه النتيجة تثير بضعة أسئلة منها هل أن (قرواش) كان السبب فى هذه المعركة وذلك بمهاجمته المنطقة؟ أم أن إحدى القوى الثلاثة ـ دبيس ومعن وجيش بغداد ـ أراد الإستيلاء على منطقة كرخ سامراء التى يبدو أنها كانت تحت نفوذ

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٤٠.

٢. ن.م. ج٩، ص١٢٠؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص٤٩؛ ابن الوردى: ج١، ص٣٣٣.

قرواش. ومع هذا فالرواية لم تصرح بنصيب دبيس فى المعركة، ومن المرجح أنه أراد إرضاء السلطة المركزية. وفى سنة ۴۱۷هـ/۱۰۲۶م نجد دبيساً قد أنضم الى كتلة جديدة مكونة من أمير خفاجة وجيش بغداد وكان الهدف أيضاً قرواش، وقد ذكر ابن الأثير سبب هذا الأصطدام بقوله أن بنى خفاجة قد تعرضوا الى بعض ممتلكات قرواش فى سواد الكوفة، مما دفع قرواش أن يسير من الموصل لمحاربة خفاجة. الأمر الذى جعل أمير خفاجة يستنجد بدبيس. وقد سارع دبيس الى نجدته. وألتقى الطرفان قرب الكوفة، وأنهزم فيها قرواش الى الأنبار ـ ويبدو أنها كانت له أيضاً ـ ولكنه أضطر الى مفارقة الأنبار وتركها تقع فى يد دبيس وخفاجة[1]. من خلال دراسة هذه الحادثة والتى سبقتها نجد أن دبيساً كان متمرساً فى الحرب، وقد لعب دوراً مهماً فى كليهما. ترى هل أن دبيساً حاول من جراء مشاركته هذه أن يحقق مشروعه التوسعى وذلک بإبعاد ومن ثم التخلص من إحدى القوى المهمة فى المنطقة، وهم بنو عقيل الذين لا زال نفوذهم كما يبدو حينئذٍ واسعاً فى منطقة الفرات الأوسط.

ومع أن دبيساً تمكن من الأستيلاء على بعض الأماكن القريبة من الكوفة التى كانت تابعة لقرواش، إلا أنه لم يستطع الحدّ من هجمات قبيلة خفاجة. ومن الملاحظ أن فعاليات هذه القبيلة وهجماتها ولاسيما ضد قبيلة بنى عقيل، أصبحت متكررة ومركزة، ومن المحتمل أن هذا يرجع الى وقوع المناطق التابعة لبنى عقيل على طريق هجرة خفاجة أولاً والى أضطراب الظروف السياسية للسلطة المركزية وخاصةً بعد موت مشرف الدولة الذى لم يترک أحداً

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۱۳۱.

يعقبه ثانياً ثم أيضاً الى النزاع الذى أعقب ذلک بين كل من جلال الدولة وأبى كاليجار. ففى سنة ۴۱۷هـ/۱۰۲۶م هاجم منيع بن حسان أمير بنى خفاجة الجامعين ونهبها، علماً بأن تلک المنطقة هى لدبيس. لذلک سار دبيس فى طلب خفاجة فقصدت الأنبار ـ التى سبق وأن أسترجعها قرواش من سيطرة خفاجة ـ ونهبتها أيضاً. فكان من نتيجة هذا العمل أن توحد هدف كل من قرواش ودبيس وأجتمعا على قتال خفاجة بالقرب من الأنبار، وبالرغم من كثرة أعداد جيش دبيس وقرواش فإن بنى خفاجة حصلوا على الأنتصار، ورجعوا الى الكوفة. وقد أبطلوا فيها الخطبة لجلال الدولة ونادوا بشعار أبى كاليجار[1]. من هنا نجد أن موقف بنى مزيد فى هذه المنطقة أصبح قلقاً من أنهم تركوا وجهاً لوجه أمام بنى خفاجة. فبينما كان المزيديون مسيطرين على الجانب الشرقى من الفرات فإن لبنى خفاجة الأقسام الواقعة الى غربه. إلا أن المصادر لم تذكر شيئاً عن العلاقة بين الطرفين حتى سنة ۴۴۶هـ/۱۰۵۴م. ففى هذه السنة هجم الخفاجيون على الجامعين والأعمال الأخرى التابعة لدبيس ونهبوها[2]. وهنا أيضاً يمكن القول أن السبب الرئيسى لهذا الهجوم هو قلق الوضع السياسى للبويهيين فقد كانوا على أعتاب الأنهيار التام فى العراق على أيدى السلاجقة. والظاهر أن دبيساً لم يستطع ردّ هجوم بنى خفاجة بمفرده إلا بعد أستنجاده بالبساسيرى من أجل مساعدة عسكرية، وبوصول البساسيرى وعسكره أصبح من الممكن دحر خفاجة وإبعادها عن الجامعين. ولم يقف البساسيرى عند هذا بل لاحق تلک القبيلة بعد تراجعها فى

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۱۳۲.
۲. ن.م. ج۹، ص۲۲۴.

البرية وأسر عدداً من زعمائها[1]. وجاءت نتيجة هذه المعركة موافقة جداً لما كان يهدف إليه دبيس فى إبعاد خفاجة عن المنطقة كى يصبح نفوذه فى المنطقة بدون منافس، وكذلک لكى يضم المواقع التابعة لهم لأملاک إمارته. ومن الجدير ذكره أن إمارته بعد هذه الأحداث أصبحت تضم الكوفة وأطرافها، الجامعين، سورا، والنيل وأطرافها.

٣ـ مما لا شک فيه بأن للوضع السياسى للسلطة المركزية ومدى تأثيره على موقف دبيس جانبين، أحدهما إيجابى والآخر سلبى، غير أنه قبل ذلک من المستحسن أن نقدم وصفاً عاماً لمركز البويهيين وسلطتهم فى العراق خلال فترة إمارة دبيس وحتى سنة ٤٤٧هـ التى تلاشت فيها سيطرة البويهيين. كان سلطان الدولة هو الأمير البويهى الذى حكم من سنة ٤٠٣هـ وحتى سنة ٤١٢هـ/١٠١٢ـ١٠٢١م. وقد أمتاز حكمه فى أنه وقع منذ الفترات الأولى لحكمه تحت سيطرة ثلاث شخصيات من موظفى البلاط الذين كانوا يديرون أمور الدولة وهم أبو الخطاب حمزة بن على، وأبو منصور، وأبو المسک الملقب بالأثير. وكان هؤلاء فى تنافس مستمر مع حاكم بغداد آنذاک وهو فخر الملک الذى ذهب ضحية لدسائسهم. كما كان فى صراع سياسى وحربى على السلطة مع أخيه الأصغر مشرف الدولة والذى أستمر الى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م حين أستطاع مشرف الدولة أن يستولى على مقاليد الأمور بدلاً من أخيه سلطان. غير أن حكم مشرف الدولة لم يستمر طويلاً، وبعد وفاته فى ٤١٦هـ/١٠٢٥م مرّت على بغداد والعراق فترة سيطرة الجنود الأتراک دون أن يكون هناک

---

١. ن.م.

أى حاكم فعلى. وبطبيعة الحال فقد رافق هذه الفترة أضطراب كبير فى العاصمة وفقدان الأمن، وكثرة هجمات اللصوص والأعراب. ثم بعد ذلک أختار الجنود جلال الدولة البويهى أميراً عليهم، وفى الواقع فإن هذا الأمير لم يكن راغباً بصورةٍ جدية فى أن يتسلم السلطة فى مثل تلک الظروف الغامضة، كما أنه لم يكن يأمن جانب الجنود الأتراک الذين أختاروه. وبالفعل فإن المتتبع لأحوال إمارته منذ أستلامه الحكم فى سنة ٤١٨هـ حتى ٤٣٥هـ/١٠٢٧ـ١٠٤٣م لا يجد إلا[1] سلسلة من أضطرابات الجند ضده من أجل تأخر أرزاقهم، يضاف الى ذلک سلسلة من الوقائع الحربية بين جلال الدولة وأبى كاليجار حول السيطرة على العراق، وقد دام هذا الصراع من حوالى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م الى أن تمكن أبو كاليجار من أستلام مقاليد الحكم فى حوالى سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م. وعلى الرغم من سيطرته، فإن أبا كاليجار لم يكن موفقاً فى علاقته مع الجند خلال فترة حكمه القصيرة البالغة أربع سنين التى أنتهت بموته وأستلام أبنه الملک الرحيم السلطة. وقد أمتدت فترة الملک الرحيم من ٤٤٠ـ٤٤٧هـ/١٠٤٨ـ١٠٥٥م ولكنه قضاها فى حروب ضد منافسيه من الأسرة البويهية نفسها حتى مجئ الغزو السلجوقى.

كان من أهم المكاسب التى حصل عليها دبيس من جراء أضطراب الأوضاع العامة للسلطة المركزية هى توسيع حدود إمارته على حساب القبائل المجاورة وعلى حساب

١. يعدّ ابن الأثير وسبط ابن الجوزى (القسم المخطوط) من أهم المصادر التى عالجت هذه الأمور. ولحدٍّ ما أنظـر أيضـاً الحوادث التى قدمها ابن الجوزى ـ وكذلک أنظر: ←

→ Bowen: 'The last Buwayhids' in JRAS (١٩٢٩) pp. ٢٢٥ ـ ٤٥. Kabir: The Buwayhid dynasty pp. ٩٢ ـ ١١٥. Also see (Buwayhids) El (٢) by Cahen. .

السلطة نفسها ثم تقوية نفوذه السياسى. فبالإضافة الى منطقة النيل والجامعين وسورا، فإن دبيساً أقطع نهر الصلة ونهر الفضل من قبل الملك الرحيم[1]. وكذلک كانت له السيطرة على نهر الملک وقد بنى عليه قنطرة فى سنة ۴۳۴هـ/۱۰۴۲م[2]. كما وتوجد بعض الروايات التى تعكس أهميته ونفوذه، ففى سنة ۴۲۱هـ/۱۰۳۰م عندما هاجم الغز الموصل الأمر الذى أدى الى هزيمة قرواش من المدينة وتركها بأيديهم. وفى الوقت نفسه فقد راسل قرواش جلال الدولة ودبيساً وغيره من أمراء العرب حول طلب نجدة عسكرية لدفع الغز عن الموصل. ولم يستطع جلال الدولة نجدته، إلا أن دبيساً سار بجيشه لنجدة قرواش الذى أستطاع الأنتصار على الغز وطردهم من الموصل[3]. وعندما أثار الجند الأتراک الشغب على جلال الدولة فى سنة ۴۳۱هـ/۱۰۳۹م فقد ذكر كل من ابن الجوزى وابن الأثير على أن جلال الدولة أستنجد بدبيس بن على وأمراء آخرين للسيطرة على الوضع فى بغداد[4]. وعندما فشل الملک العزيز بن جلال الدولة فى مقاومة أبى كاليجار فى الصراع من أجل السيطرة على بغداد فى سنة ۴۳۵هـ ترک الملک العزيز بلده ولجأ الى دبيس[5] للإستنجاد به. ومن الأمور الأخرى التى تدل على أتساع نفوذه أنه ـ كما أورد ابن الأثير ـ عندما وصله خبر الفتنة فى بغداد بين السُنّة والشيعة فى سنة ۴۴۳هـ/۱۰۵۱م حيث أحرقت فيها بعض الأضرحة المقدسة عند الشيعة، غضب دبيس كثيراً وقاد غضبه الى قطع الخطبة للخليفة القائم فى أعماله وعاتبه على

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۲۰۷ ـ ۲۰۸.

۲. ابن الجوزى: ج۸، ص۱۱۴.

۳. ابن الأثير: ج۹، ص۱۴۵ ـ ۱۴۶، ۱۴۷.

۴. ابن الجوزى: ج۸، ص۱۰۴؛ ابن الأثير: ج۹، ص۱۷۵.

۵. ابن الأثير: ج۹، ص۱۹۲ ـ ۱۹۳.

عدم قدرته فى المحافظة على الأمن والضرب على أيدى المسببين لذلك..[1] ومع أنه أعاد الخطبة للخليفة بعد ذلك إلا أن تلك الرواية تكشف بصراحة نفوذه ودفاعه عن ميوله. كما أن تلك المنازعات السياسية بين أفراد الأسرة البويهية على السلطة لها نتائج سلبية بالنسبة الى دبيس وإمارته بالإضافة الى نتائجها الإيجابية. وتتضح هذه النقطة هى ملاحظة موقف دبيس المتذبذب وما رافق ذلك من تعقيداتٍ سياسية. ففى النزاع الذى نشب بين مشرف الدولة وسلطان الدولة، نجد دبيساً يقف الى جانب مشرف الدولة ضد سلطان الدولة[2] بأعتبار أن الأول هو الذى كان يحمل الصفة الشرعية كما أنه أوسع نفوذاً وقوة من الثانى.. بينما كان موقفه فى النزاع الذى دار بين جلال الدولة وأبى كاليجار غير ثابت، فإنه كان مؤيداً الى جلال الدولة، الأمير الشرعى. ولكنه فى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م نراه يتجه الى جانب أبى كاليجار، وسبب ذلك يرجع الى أن جلال الدولة ساعد المقلد بن على بن مزيد عسكرياً فى تمرده ضد سلطة أخيه.

وقد لعب دوراً كبيراً فى عرقلة تراجع الملك العزيز بن جلال الدولة إذ فجّر البثوق من بلده الأمر الذى أدى الى موت عدد كثير من جنده. غير أننا نراه يرجع مرةً أخرى الى مساندة جلال الدولة، وذلك عندما أستولى المقلد على بلاده وأضطر ذلك الى الهرب الى السندية حيث دخل فى مفاوضة مع جلال الدولة طالباً الصُلح[3].

٤ـ أمتازت فترة إمارة دبيس بميزة تاريخية مهمة ألا وهى فترة أنتهاء السيطرة البويهية

---

١. ن.م. ج٩، ص٢٢٤.

٢. ن.م. ج٩، ص١٤٠.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

فى العراق، وبداية فترة السيطرة السلجوقية. وسوف نلاحظ خلال الصفحات التالية أنه فى هذا الدور بالذات أتخذت الإمارة المزيدية طابعاً آخراً متسماً بالقوة والأنفعالية. وقبل التوغل فى سرد التفصيلات عن هذا الدور نرى من الأفضل تقديم بعض الأمور العامة التى تساعدنا على تفهم العلاقة بين المزيديين والسلاطين السلاجقة وهذه الأمور هى:

أـ إن المزيديين أصبحوا القوة العربية الوحيدة والمهمة فى المنطقة، لاسيما بعد ضعف وأنتهاء نفوذ العقيليين فى منطقة الفرات الأوسط والجزيرة الفراتية وأنحراف أطماعهم نحو الجهات الغربية أى نحو بلاد الشام.

بـ لم يحاول أو بالأحرى لم يستطع السلاجقة وخاصةً فى الفترات الأولى، القضاء على كيانات القبائل العربية، وكما قالت البروفيسور لامبتون أن السلاجقة لم يرغبوا الى حدٍّ كبير فى السيطرة المباشرة[1] على تلك القبائل لهذا فقد أتخذوا سياسة المهادنة والإرضاء. كما أن بقاء بنى مزيد فى هذه المنطقة يسهّل كثيراً مهمة السلاجقة فى حفظ أمن تلك المنطقة ضد هجمات القبائل الأخرى.

جـ كان الخليفة والسلاجقة من السُنّة بينما كان المزيديون من الشيعة الإمامية. وقد لعب هذا العامل دوراً كبيراً فى مجرى الأحداث السياسية فى زمن دبيس وخير مثال على ذلك موقفه من ثورة البساسيرى الشيعية. غير أن هذا العامل كان له أبلغ أثراً زمن كل من صدقة بن منصور وأبنه دبيس بن صدقة، حيث تشكلت ثلاث كتل سياسية متنافسة فى فرض

---

١. لقد جاءت البروفيسور لامبتون بآراء جديدة وجديرة بالإهتمام فى دراستها. Lambton: Contributions to the study of Seljuq institutions. Uupublished thesis for the Ph.D. (١٩٣٩) pp. ٣٩ـ ٤٠. See also Bosworth: 'The political dynastic history of the Iranian world' in the Chambridge History of Iran, Vol. ٥ p. ٢٤.

وتوسيع سيطرتها وهى كتلة الخليفة وكتلة السلطان السلجوقى ثم كتلة بنى مزيد.

إن أول حركة سياسية خطيرة واجهها طغرلبک السلجوقى قبل أستقراره ببغداد ثورة البساسيرى، إن هذا الموضوع بحد ذاته خارج عن نطاق هذه الدراسة[1]، لذا سوف نركز على علاقة دبيس بهذه الثورة. بدأت علاقة البساسيرى ببنى مزيد منذ سنة ۴۲۵هـ/۱۰۳۳م عندما توجه عسكرياً لمساعدة ثابت بن مزيد ضد أخيه دبيس، وقد سبق ذكر هذه الحادثة. ومن المحتمل أن علاقته تحسنت بدبيس، إذ يذكر ابن الأثير أن البساسيرى سار لنجدة دبيس عندما هاجم بنو خفاجة الجامعين. وقد أستطاع البساسيرى أن ينتصر عليهم ويطردهم من منطقة الكوفة التى أصبحت تحت سيطرة دبيس[2]. ثم أن هناک علاقة المصاهرة بين دبيس والبساسيرى[3]. وقد فضل دبيس أن يتحاشى التسرع فى الإصطدام مع السلاجقة. وعندما دخل طغرلبک بغداد هرب البساسيرى منها وألتجأ الى دبيس فأقام عنده، ولكن عندما أمره طغرلبک بإبعاد البساسيرى من بلده أمتثل للأمر وأبعده[4].

ومن الجدير بالإشارة هنا وقبل التطرق ـ الى علاقة دبيس بالخليفة الفاطمى فعلى أعتبار أن المزيديين شيعة لكن هذا لم يكن السبب الوحيد فى تأييدهم للفاطميين الشيعة فى مصر،

---

۱. للباحث دراسة عن ثورة البساسيرى فى بغداد أثناء الغزو السلجوقى للعراق (مجلة كلية الآداب ـ جامعة البصرة/۱۹۷۱م).

۲. ابن الأثير: ج۹، ص۲۲۴.

۳. ابن الأثير: ج۹، ص۲۲۸؛ ابن الوردى: ج۱، ص۳۵۴؛ مخطوط المسجد المسبوک، ج۱، ورقة ۲۷ (ب).

۴. ابن الأثير: ج۹، ص۲۲۹؛ ابن العديم: زبدة، ج۱، ص۲۷۰؛ أبو الفداء: م۱، ج۴، ص۷۶.

بل إنه بالإضافة الى ذلک فإن من طبيعة القبائل أن تُظهر تأييداً كبيراً للحكّام الذين يبعدون عن مناطق نفوذهم جغرافياً أكثر من أولئک القريبين منهم. كما أن دبيساً قد أيد البساسيرى فى علاقة الأخير بالخليفة المصرى. وللمؤيد فى الدين (داعى الدعاة الفاطمى والذى كان له دور بالغ الأهمية فى ثورة البساسيرى) معلومات وافية بهذا الصدد. فقد جاء فى العهد الذى كتبه الخليفة المصرى لدبيس تأكيد ذلک الولاء إذ قال فيه: "رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن يفيض عليک من خاص ملابسه ما تفيض به السعادة عليک ملابسها".[1] وقد منحه لقب سلطان ملوک العرب، سيف الخلافة صفى أمير المؤمنين[2]. كما وأن الخليفة الفاطمى قد قلّده الزعامة على عرب العراق[3]. ويبدو أن الخليفة الفاطمى هدف من وراء إعطاء هذه الألقاب والإمتيازات لدبيس ربطه بالدعوة الفاطمية بصورة أكثر، لاسيما وأن لهذا اللقب أهمية كبيرة فى نفوس القبائل. وقد وضح المؤيد فى الدين فى ديوانه ذلک فقال أن دبيساً لما علم بالخلع والألقاب التى منحها الخليفة المصرى للبساسيرى حسده وأراد الحصول على مثلها فأخذ يفرض على المؤيد شروط الأتفاق وقد قبلها المؤيد كلها[4]. وبالإضافة الى ذلک فإن منح الخليفة الفاطمى لتلک الألقاب والإمتيازات إنما تعكس بوضوح نفوذ دبيس وأهمية تأييده للدعوة الفاطمية، فلقب الزعيم على عرب العراق يدل على أن دبيساً كان واسع النفوذ وهو الممثل الأعلى للقبائل العربية الأخرى التى سكنت العراق.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو هل أن دبيساً كان جاداً ومخلصاً فى تأييده للخليفة

---

١. سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، ص١٢٧.

٢. ن.م.

٣. ن.م.

٤. ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة، ص٤٣.

الفاطمى؟ أم أنه كان يهدف الى أستغلال الدعوة فى سبيل الحصول على مكاسب مادية وسياسية أولاً، وثانياً الى معرفة رد الفعل السلجوقى من الناحية العسكرية، فإن كان قوياً فإن ذلک يفرض عليه التريث وأما إن كان ضعيفاً فإن بإمكانه أن يسود ويوسع نفوذه. وينفرد المؤيد فى الدين فى إعطاء بعض المعلومات المهمة عن موقف دبيس ومكانته بالنسبة للدعوة. ومما قاله: أن دبيساً أخذ يفرض على المؤيد الشروط والتعهدات مقابل تأييده للفاطميين. وقد قبل المؤيد جميع تلک الشروط، ومع هذا فإن جماعة دبيس رفضوا البيعة للخليفة المصرى إلا بعد قراءة نص اليمين[1] وقد أورد نفس المؤلف كلاماً آخراً عن دبيس يستشف منه أن دبيساً كان متشككاً فى الدعوة وخائفاً من الإصطدام بالسلطة المركزية، فقد قال للمؤيد فى إحدى المناسبات: "إن هذا الأمر الذى نحن بصدده أمر عظيم، تقصر قوانا وقوى أضعافنا عن النهوض له"[2] غير أننا لا نعرف الى أى مدى يمكن تصديق المعلومات التى أوردها المؤيد، مع أنه معاصر للحوادث ومندوب من قبل الفاطميين.

والشئ المهم الآخر أن المصادر الأخرى لا تعطى مثل هذه الملاحظات، فأما ابن الجوزى فإنه لا يذكر شيئاً عن علاقة دبيس بالبساسيرى، فى حين يذكر صاحب مخطوطة تاريخ دولة عباسية "أن البساسيرى أنضم الى نور الدولة أبى الأعز دبيس بن على ابن مزيد الأسدى وقريش بن بدران صاحب الموصل وديار ربيعة وكاتب المستنصر يحسّن له ما فى نفسه من خلع دولة بنى العباس وإزالة ملكهم"[3] ومع ما فى هذه الرواية من تناقضات بالنسبة لقريش

---

١. ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة، ص٤٣.

٢. السيرة المؤيدية، ص١٢٦.

٣. مخطوطة تاريخ دولة عباسية لمؤلف مجهول (أسطنبول) ورقة ٩٦ (ب) ـ ٩٧ (أ).

بن بدران حيث تقول المصادر الأخرى بأنه لم ينضم الى الآخرين إلا بعد محاربته من قبل البساسيرى وإجباره على الخضوع[1]، فإن المؤلف يذكر أيضاً الخلع والأموال التى وردت من الخليفة الفاطمى الى البساسيرى ودبيس. وابن الأثير لا يذكر موضوع الخلع والهدايا إلا بعد أستيلاء البساسيرى وكتلته على الموصل[2]. والذى يبدو أنه ليس هنالک من شک فى تأييد دبيس للدعوة الفاطمية، إلا أنه فى نفس الوقت لم يحاول أن يرمى بنفسه تماماً فى سبيل ذلک فيفقد بهذا أستقلاله. كما وأنه أراد الحصول على أكبر قسط ممكن من الإمتيازات من وراء تأييده.

أما عن الدور السياسى الذى لعبه دبيس بالإشتراک مع البساسيرى فى حملاته العسكرية فإن ابن الأثير يشير الى مشاركته البساسيرى فى حربهم ضد قريش بن بدران صاحب الموصل. والمصادر المتوفرة لدينا تتفق أيضاً على مشاركته البساسيرى فى الإستيلاء على الموصل[3]. أما فى حادثة الهجوم على بغداد فى سنة ۴۵۰هـ نجد بعض التناقضات، فبالنسبة لأبن الجوزى وابن الأثير فإنهما يريان أنه فى الوقت الذى كان فيه السلطان طغرلبک خارجاً لمحاربة أخيه إبراهيم بن ينال أُشيع فى بغداد على أن البساسيرى متوجه عسكرياً نحو المدينة لمهاجمتها. لذلک أستنجد الخليفة بدبيس من أجل المساعدة، فابن الجوزى يقول بأن دبيساً نصح الخليفة بترک بغداد والخروج عنها[4]. أما ابن الأثير فيذكر أن دبيساً سار ـ على أثر أستنجاد الخليفة به ـ فى مائة فارس ثم عسكر فى موضع يسمى النجمى، ومن هناک

---

۱. ابن الأثير: ج۹، ص۲۳۴؛ الغسانى: مخطوط المسجد المسبوک، ج۱، ورقة ۲۶ (ب).

۲. ابن الأثير: ج۹، ص۲۳۴.

۳. السيرة المؤيدية، ص۱۳۴ ـ ۱۳۵؛ مخطوط تاريخ دولة عباسية، ورقة ۹۶ (ب) ـ ۹۷ (أ)؛ ابن الأثير: ج۹، ص۲۳۴.

۴. ابن الجوزى: ج۸، ص۱۹۱؛ سبط ابن الجوزى: مرآة (المحقق)، ص۲۲، ۲۴، ۳۳، ۳۴، ۳۵، ۴۳، ۴۵.

دخل فی مفاوضات مع الخلیفة ناصحاً إیاه بالخروج من بغداد والإجتماع معه علی محاربة البساسیری[1]. إن هذه الإشارات تتصادم وما قدّم سلفاً من أن دبیساً کان متفاهماً مع البساسیری وقد شارکه فی کثیر من حملاته، فهل أن دبیساً تراجع عن موقفه السابق المؤید للبساسیری ووقف الی جانب السلطان والخلیفة؟ لاسیما وأن کلاً من ابن الجوزی وابن الأثیر یوردان نصاً یفید أن دبیساً قد أصلح حاله فی سنة ۴۴۹هـ/۱۰۵۷م مع السلطان وعاد الی بلاده[2]. أم أن دبیساً قد هدف من وراء أقتراحه (خروج الخلیفة من بغداد) أن یسهل السبیل أمام البساسیری عند أحتلاله المدینة. کما أن هناک أدلة أخری تؤید أن دبیساً بقی مؤیداً للبساسیری بعد سیطرته علی بغداد مع أن ذلک کان لفترة قصیرة، فقد قام بالإشتراک معه بعدة حملات عسکریة قصد من ورائها توسیع نفوذه والحصول علی أعترافات أصحاب المناطق المختلفة بسلطته. مثلاً أشتراکه فی حملته ضد البطیحة والأهواز. إن ضعف علاقة دبیس بالبساسیری لم تکن ولیدة عامل مباشر واحد بل ولیدة عوامل عدة أهمها:

أولاً: تضارب مصالح کل منهما، فالبساسیری رجل عسکری أراد الاستحواذ علی الأمور کلها بیده ومحاولة تجرید دبیس من بعض أمتیازاته. ومن الجدیر ذکره بهذا الصدد أنه عندما سار البساسیری ودبیس فی حملة ضد الأهواز، أستنجد صاحب الأهواز بدبیس من أجل التوسط عند البساسیری علی أن لا یهاجم الأهواز مقابل مبلغ من المال ولکن البساسیری رفض طلب دبیس[3].

---

۱. ابن الأثیر: ج۹، ص۲۳۹ وما بعدها.

۲. ابن الجوزی: ج۸، ص۱۸۱؛ ابن الأثیر: ج۹، ص۲۴۰؛ سبط ابن الجوزی: (القسم المحقق)، تحقیق: أحمد سویم، ص۱۸، ۱۹، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۴، ۶۵، ۶۶.

۳. ابن الأثیر: ج۹، ص۲۴۱.

ثانياً: لقد أثبت طغرلبک کفاية کبيرة فی القضاء علی تمرد أخيه إبراهيم، فمن المحتمل أن دبيساً شعر بأن النتيجة قد تکون غير مرضية بالنسبة له حالما يحرز طغرلبک علی النصر. وقد ذکر ابن الجوزی فی هذا المجال رواية مفادها أن آنو شروان أحد قوّاد السلطان السلجوقی راسل دبيساً وطلب منه تسليم البساسيری أو الأبتعاد عنه، وقد أوضح لدبيس مکانته عند السلطان. فکان جواب دبيس بأنه خادم السلطان وأنه يکره البساسيری ولکن من الأفضل أن يجهد نفسه فی إصلاح أمره والإستفادة منه[1]. إلا أن هناک رواية أخری أوردها أيضاً ابن الجوزی وتدل علی برود العلاقة بينهما وأن دبيساً لم يکن متحمساً فی أشتراکه مع البساسيری، قال ابن الجوزی: "وکان البساسيری شاکّاً فی ابن مزيد مستشعراً منه إلا أن الضرورة قادته إليه"[2].

وفعلاً فبعد أن رجع طغرلبک من حربه مع أخيه وقتله البساسيری، طلب دبيس إصلاح حاله مع السلطان وطلب العفو منه فرضی السلطان عنه[3]. فی الوقت الذی کان بإمکان السلطان وهو فی نشوة النصر أن يقضی علی دبيس أيضاً، ولکن کما قلنا بأن هذا کان جزءاً من السياسة السلجوقية وتعاملها مع القبائل فی العراق. ثم تحسّن موقف دبيس مع السلطة المرکزية، فبعد موت طغرلبک کان دبيس من جملة الأمراء الذی کتب إليهم ديوان الخلافة

---

۱. ابن الجوزی: ج۸، ص۲۰۹ وما بعدها.

۲. ن.م.

۳. ابن الأثير: ج۱، ص۳؛ ابن العبری: ص۳۲۱.

حول الأمر وقد أستقبله الوزير ابن جهير، وعمل له مسلم بن قريش سماطاً ثم خلع عليه وعلى أبنه منصور[1] وعندما تقلد المقتدى الخلافة كان دبيس من بين الجماعة الذين حضروا لمبايعته[2].

كان دبيس رجلاً كريماً مضيافاً، ولا أدل على ذلک من ذهاب بعض الشخصيات إما إلتجاءاً إليه أو هرباً من السلطان أو ضيافة عنده.. منهم الشرابى صاحب البطيحة[3] والبساسيرى وسعدى بن أبى الشوک[4]. والمقلد أخو قريش بن بدران[5] والوزير ابن جهير[6]. وكانت الظروف السياسية هى التى قادت هؤلاء على اللجوء إليه فمنهم المغضوب عليه من قبل السلطان أو الخليفة ومنهم مغضوب عليه من قبل أفراد عشيرته كالمقلد. والظاهر أن الرجل كان يتمسک بتقاليد البداوة التى تؤكد على المروءة والنجدة ولهذا كان أولئک مطمئنون الى أنه لم يغدر بهم وإن أدى ذلک به الى الحرب. كما جاءه أشخاص آخرون قصد الضيافة ومنهم عميد الملک[7]. وأم صاحب قلعة تكريت[8].

---

۱. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۰؛ سبط ابن الجوزى: (القسم المحقق)، ص۱۱۲، ۱۱۳.

۲. البندارى: ص۴۸ ـ ۴۹.

۳. ابن الأثير: ج۹، ص۱۳۴.

۴. ن.م. ص۲۰۰؛ سبط ابن الجوزى: مرآة (القسم المحقق)، ص۱۳۰.

۵. ن.م. ص۲۱۸ ـ ۲۱۹.

۶. ن.م. ج۱۰، ص۲۱.

۷. ن.م. ج۹، ص۲۳۹؛ البندارى: ص۳۳ ـ ۳۴.

۸. ابن الأثير: ج۹، ص۲۳۵.

توفى دبيس سنة ۴۷۴هـ/۱۰۸۱م وقيل ۴۷۳هـ/۱۰۸۰م[۱] وكانت إمارته نيفاً وستين سنة، وقيل أنها سبع وخمسون سنة، وقيل سبع وستون سنة[۲].

من أشهر أولاد دبيس بهاء الدولة منصور[۳]. فقد ولى الإمارة سنة ۴۷۴هـ على إثر وفاة والده، ثم ذهب الى السلطان، كما هى العادة، فى بغداد كى يحصل على الأعتراف الرسمى بولايته، وقد خلع عليه السلطان والخليفة خلعة لإسباغ الشرعية على إمارته[۴]. ولقد أستمر منصور يدفع ألف دينار سنوياً الى السلطة[۵] كما كان مقرراً على أبيه.

خلت فترة إمارة منصور بن دبيس من أى حدث سياسى مهم تعرضت له الإمارة المزيدية، والحقيقة أن فترته كانت قصيرة قد بلغت حوالى خمس سنين، كما من المحتمل أن هذا الأمير، بعكس الأمراء السابقين، قد تجنب التدخل فى الأمور السياسية.

لقد كان منصور كثير الصلات والصدقات[۶]. وكان فاضلاً قرأ على جماعة من أهل العلم

---

۱. ذكر ابن الجوزى أنه توفى سنة ۴۷۴ ج۸، ص۳۳۳؛ وكذلك ابن الأثير: ج۱۰، ص۴۴؛ الـذهبى: دول الإسـلام، ج۲، ص۴ ـ ۵؛ ابن كثير: ج۱۲، ص۱۲۳؛ أما البندارى فقد ذكر أنه توفى فى سنة ۴۷۳ ص۶۶ ـ ۶۷.

۲. ابن الجوزى: ج۸، ص۳۳۳؛ فى حين ذكر ابن الأثير (ج۱۰، ص۴۴) أنها ۵۷ سنة وهذا لا يتفق مع سنة ولايتـه فـى سنة ۴۰۸ بينما جعل وفاته سنة ۴۷۴؛ وأعتقد أنه خطأ الناسخ؛ أما البندارى (ص۶۶ ـ ۶۷) فذكرها ۶۷ سنة؛ وفـى مخطوط المسجد المسبوک جعلها المؤلف ۶۰ سنة (أنظر: ج۱، ورقة ۳۵ ب) والأصح ۶۷ سنة.

۳. توهم زامباور فى ذكر أولاد دبيس، وأنه خلط بيـنهم وبـين أولاد بنـى دبـيس أصـحاب الجزيـرة الدبيسـية. أنظـر: Zambaur, p. ۱۳۷.

۴. ابن الأثير: ج۱۰، ص۴۴.

۵. البندارى: ص۶۶ ـ ۶۷.

۶. ابن كثير: ج۱۲، ص۱۳۰.

فبرع بذكائه[1]. قال ابن الأثير أن نظام الملک حينما سمع بموته قال: "مات أجلّ صاحب عمامة"[2]. وقد رويت له بعض الأبيات الشعرية[3]. وفى عهده أفتدى أبنه صدقة أسرى بنى عقيل..[4] لقد أُختلف فى سنة وفاته فوضعها ابن الجوزى فى سنة ۴۷۸هـ/۱۰۸۵م[5] بينما ذكرها ابن الأثير فى سنة ۴۷۹هـ/۱۰۸۶م[6].

صدقة بن منصور

خلّف منصور على الإمارة المزيدية أبنه القدير صدقة، وقد حكم صدقة من ۴۷۸ حتى ۵۰۱هـ/۱۰۸۵ـ۱۱۰۸م. وتعتبر فترة حكم صدقة من أهم الفترات فى تاريخ الإمارة المزيدية، ففيها أخذت هذه الإمارة تتوسع بصورةٍ كبيرة وتبنى كياناً خارجياً قوياً. وهذا يعود بالدرجة الأولى الى شخصية صدقة وكفايته السياسية والعسكرية. إن أول إشارة الى الأمير صدقة ترجع الى سنة ۴۷۷هـ/۱۰۸۴م عندما كان برفقة أبيه منصور مشتركاً مع حملة فخر الدولة بن جهير صاحب ديار بكر الذى كان ذاهباً الى ميارفارقين[7].

---

۱. ابن الأثير: ج۱۰، ص۵۵.

۲. ابن الأثير: ج۱۰، ص۵۵.

۳. العماد الأصبهانى: خريدة القصر (قسم الشام)، ج۲، ص۲۶۲ ـ ۲۶۴؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۵۵.

۴. ابن الأثير: ج۱۰، ص۴۹.

۵. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۵.

۶. ابن الأثير: ج۱۰، ص۵۵؛ ابن كثير: ج۱۲، ص۱۳۰.

۷. البندارى: ص۷۰.

ويتردد ذكره أيضاً زمن والده على أنه أفتدى أسرى بنى عقيل عندما أسرهم عسكر السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان. حتى أنه أشترى فديتهم بكل ما فى خزائنه[1] وهذه الروايات تشير الى أن صدقة كان الأبن المقرب والمرشح لمنصب الإمارة بعد أبيه. والنقطة التى يجدر ملاحظتها هنا هى أن تولية صدقة كانت ـ حسبما يظهر ـ مدعومة من قبل أفراد الأسرة المزيدية على عكس ما واجهه دبيس قبله، ولهذا فإنه لم يضيع وقته وطاقته فى مثل تلك الحروب.

من الممكن تقسيم دراسة علاقة صدقة بالسلطة المركزية، وكذلك فعالياته وأنجازاته السياسية الى فترتين:

الأولى: وتمتد من سنة توليه الإمارة حتى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وهى الفترة التى بلغت فيه السلطة السلجوقية أوج عظمتها من الناحيتين العسكرية والسياسية تحت قيادة السلطان ملكشاه بن أرسلان إذ أمتدت حدود إمبراطوريته شمالاً وغرباً. وحسبما تقول الروايات بأن ملكشاه بعد سيطرته على ممتلكات العقيليين فى سوريا وكذلك أنطاكية، قاد فرسه بنفسه ليشرب من مياه البحر الأبيض المتوسط شاكراً الله على ما آلت إليه إمبراطوريته من توسعٍ وقوة[2]. والذى ينبغى ذكره فى هذا المجال أن ملكشاه جاء ليكمل ما قام به والده السلطان

---

١. مخطوط المناقب المزيدية، ورقة ١٤١؛ المحقق، ج٢، ص٤٥١؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٤٩، ابن كثير: ج١٢، ص١٢٦؛
Herbert Loewe: 'The Seljuqs' in Cambridge Med. Hist. ١st ed. (١٩٢٣) pp. ٣٠٥ ـ ٣١١.
Bosworth, op.cit., pp. ٥٤ ـ ٦٦, ٨٧ ـ ١٠٢.
C. Cahen: Pre_Ottoman Turkey (١٩٦٨) pp. ٢٦ ـ ٣٢.

٢. أنظر عن فترة حكم أرسلان وملكشاه مقالة: (Alp. Arslan) فى E.I. (دائرة المعارف الإسلامية، طبعة ثانية، مجلد ١، ص٤٢٠ ـ ٤٢٢) (بالإنجليزية) بقلم الأستاذ .Cahen , CL

أرسلان الذى بلغت شهرته العالم الغربى حينما أنتصر على الجيش البيزنطى فى معركة ملازكرد Manzikert فى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ولم يقم صدقة خلال فترة ملكشاه بفعاليات سياسية كبيرة كالتى قام بها فى الفترة الثانية، والراجح أن سبب ذلک يعود بالدرجة الأولى الى قوة السلطة المركزية ونفوذها الواسع وقد شهد ابن الأثير بذلک فى إحدى المناسبات[١]، وكذلک الى السياسة العامة التى أتبعها السلطان ملكشاه فى تعامله مع الإمارات المحلية الموجودة فى العراق والمناطق الأخرى. رأى ملكشاه أنه من الأصلح الإعتراف بالأمر الواقع فى إبقاء هذه الإمارات لكى تتمتع بحكم ذاتى فى المناطق التى كانت واقعة تحت سيطرتها، وهى سياسة واقعية فبدلاً من صرف الأموال الطائلة من أجل محاربة وأجتثاث إمارات كانت موجودة ولها نفوذ واسع فى فترة حكمه، فإن بأستطاعته تركيز أهتمامه فى القضاء على الحركات الإنفصالية والتمردات التى قادها أفراد أسرته. ثم بالإضافة الى ذلک فإنه يستطيع الإعتماد على مثل هذه القبائل فى رد هجمات القبائل البدوية الأخرى التى بقيت تواصل هجماتها على المناطق الخصبة. وبالنسبة الى صدقة فإنه عندما توفى والده توجه الى ملكشاه بغية أن يحصل على الأعتراف الرسمى، وقد خلع عليه السلطان وولاّه ما كان لأبيه حسبما ذكره ابن الأثير[٢].

وبالرغم من عدم ورود أى ذكر على أن السلطان قرّر على صدقة مبلغاً من المال يدفعه سنوياً كما كانت العادة، فالذى يبدو أن السلطان فعل ذلک. فقد صادف أن ملكشاه كان فى

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٦٨؛ سبط ابن الجوزى: (القسم المحقق) ص١٠٣.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٦، ومنح لقب ملک العرب The Lord of the Arab وفى المصادر الصليبية اللاتينية Rex Arabium.

العراق فى سنة ۴۷۹هـ/۱۰۸۶م، حيث أقام له صدقة وليمة كبيرة جداً وصفها ابن الجوزى وصفاً مفصلاً وحمل له عشرين ألف دينار وأنواع مختلفة من المصوغات[۱]. ومن المحتمل أن هذه العشرين ألف دينار كانت من ضمن المبلغ المقرر على صدقة. وقد أورد ابن الجوزى رواية أخرى يُستشف منها أن صدقة كان مستمراً على دفع مبالغ مقررة الى السلطان فقال: "وكان ـ يعنى صدقة ـ يؤدى إليه ـ السلطان ـ المال ويقصد بابه كل قليل"[۲].

والى جانب دفعه الأموال فإن صدقة ظل على طاعته وولائه للسلطان ملكشاه، ففى سنة ۴۸۳هـ/۱۰۹۰م هجم أعراب بنى عامر الساكنين منطقة الإحساء على البصرة ونهبوها وأحرقوا عدّة مواضع فيها، لذلک أنتدب السلطان صدقة لملاحقة هؤلاء الأعراب ومحاربتهم، وقد سار صدقة الى البصرة ولكنه وجد الأعراب قد فارقوها[۳].

إن الحديث عن علاقة السلطان السلجوقى بصدقة يجرنا الى التحدث بصورة عامة عن وضعية الخليفة وعلاقته بالسلطان ملكشاه، وهل أستطاع أن يكوّن كتلة سياسية مستقلة خلال هذه الفترة؟ إنه من الممكن القول بأن وضعية الخليفة لم تتحسن كثيراً تحت ظل السيطرة السلجوقية عمّا كانت عليه فى الفترة البويهية، وأنه فى هذه الفترة قد جُرّد الى درجة كبيرة من سلطته الزمنية التى أخذ يمارسها السلطان ونوابه. غير أننا لا نتفق والرأى السائد بأن الخليفة أستسلم للأمر الواقع ولم يحرک ساكناً، إذ كانت علاقته بالسلطان بين مدٍّ وجزر تبعاً لظروف السلطان السياسية وتبعاً لقوته العسكرية. ومن المهم ذكره بأن السلاطين السلاجقة لم

---

۱. ابن الجوزى: ج۹، ص۳۰؛ ابن كثير: ج۱۳، ص۱۳۱.

۲. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۳۶.

۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۶۸.

يتخذوا بغداد عاصمة لهم أو مركزاً لسكناهم، فالسلطان ألب أرسلان مثلاً لم يزر بغداد أبداً طيلة فترة حكمه البالغة عشر سنين. وكانت العاصمة تسلم إدارتها الى شحنة (وهو يقوم مقام الحاكم العسكرى) ونائب يعينه السلطان. إن أبتعاد السلاطين عن العاصمة قدّم فرصاً ثمينة أمام الخليفة، فقد حاول عن طريقها أن يكوّن جبهة موحدة مع مؤيديه وأن يمارس بعض أمتيازاته وأن يفرض كلمته، كالذى حدث فى سنة ۴۶۴هـ/۱۰۷۱م عندما عارض فى تعيين أبتكين السليمانى شحنة على بغداد إذ أضطر الوزير نظام الملک على تبديله[۱]. كما أنه أظهر إمتعاضه من السلطان حينما عزل وزيره ابن جهير وقتياً فى سنة ۴۶۰هـ/۱۰۶۸م، فمن بين أسباب عزل وزيره كما قال ابن الجوزى أن الخليفة قال له: "أنک لبست خلع عضد الدولة ـ يعنى السلطان أرسلان ـ فى الدار العزيزة"[۲]. ولقد خدم هذا الوزير الخليفة خدمةً كبيرة وذلک فى التأثير على الأمراء العرب الشيعة وكسب تأييدهم لصالح الخليفة.

غير أن وضع الخليفة أصبح ضعيفاً جداً زمن سلطنة ملكشاه، وهذا ما نراه بصورة جليّة فى السلطة الواسعة التى مارسها شحنة بغداد آنذاک المسمى كوهرائين الذى لم يكتفِ بسيطرته على الأمور الزمنية فحسب بل تدخل فى الأمور الدينية التى هى من أمتيازات الخليفة[۳]. وقد خطى السلطان ملكشاه خطوة كانت من أبتكار وزيره المشهور نظام الملک ألا وهى تزويج أبنة السلطان خاتون من الخليفة المقتدى[۴]، ولهذه الخطوة هدفان فإنه أراد فى

---

۱. ابن الأثير: ج۱۰، ص۴۷ ـ ۴۸.

۲. ابن الجوزى: ج۸، ص۲۴۹.

۳. أنظر: Bosworth: The political and dynastic history p. ۹۹.

۴. ابن الجوزى: ج۹، ص۳۶.

المدى القريب أن يُحسن علاقته بالخليفة بينما كان هدفه البعيد أن يحصل على مولود من أبنته حتى يقلّده الخلافة. وقد حقق السلطان هدفه الأول لفترةٍ قصيرة دامت حوالى سنتين، وبعدها أخذت الأميرة تشتكى من معاملة الخليفة لها ولذلک طلب السلطان من الخليفة إرجاعها مع أبنها الذى سُمّى الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدى[١]. ومنذ ذلک الحين أخذت العلاقة بين الطرفين تزداد سوءاً فقد تجاهل السلطان الخليفة عند زيارته بغداد ولم يقم بزيارته[٢]. كما أنه أتخذ من بغداد عاصمة شتوية له، وبذلک أراد أن يقضى على محاولات الخليفة فى كسب مؤيدين لصالحه. وفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م تأزم الموقف كثيراً، حينما أرسل السلطان تهديداً للخليفة جاء فيه أنه "لا بد أن تترک لى بغداد وتنصرف الى أى بلدٍ شئت"[٣] وقد طلب منه الخليفة تأخير ذلک لمدة شهر، إلا أن السلطان لم يرض بتأخير ذلک حتى لساعة واحدة. ولم ينقذ الخليفة من هذه الورطة إلا موت السلطان نفسه بعد فترةٍ قصيرة[٤].

يظهر مما تقدم أن الخليفة مع كونه مجرداً من السلطات الرئيسة وواقعاً تحت سيطرة السلاطين فإنه كذلک كان يعمل بالخفاء على كسب التأييد من رؤساء الإمارات والشخصيات البارزة فى بغداد. وهناک روايات قليلة جداً عن علاقة الخليفة بالأمير صدقة، وهى مع قلتها

---

١. ن.م. ص٤٦ ـ ٤٧.

٢. ن.م. ص٥٧؛ Bosworth, op. cit. p. ١٠١.

٣. ابن الجوزى: ج٩، ص٣٢. ولم يذكر ابن الأثير هذه الحادثة، بل قال أنه لما جاء السلطان الى بغداد أستقبله وزير الخليفة ابن جهير (ج١٠، ص١٣٣ ـ ١٣٥).

٤. ابن الجوزى: ج٩، ص٦٢.

تعكس الفكرة السابقة. لقد أورد ابن الأثير روايةً مهمة قال فيها أنه لما توفى منصور والد صدقة فى سنة ٤٧٨هـ أرسل الخليفة نقيب العلويين الى صدقة لتعزيته[١] فإرسال نقيب العلويين الى صدقة تدل على أهميته ومكانته السياسية أولاً علماً بأن الخليفة لم يرسل مثل ذلک الى منصور أو دبيس قبلاً. وهى من الناحية الثانية توضح محاولة الخليفة كسب جانب صدقة باستغلال الناحية الدينية. كما أن هناک رواية أخرى ذكرها ابن الجوزى عن فتنة وقعت بين السُنّة والشيعة فى بغداد فى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م التى نهبت فيها المحال وقتلت فيها النفوس. ومما زاد فى أمر الفتنة هو مقتل رجل علوى، لذلک أمر الخليفة بمكاتبة سيف الدولة صدقة بن مزيد من أجل إرسال مساعدة للسيطرة على الوضع. وقد أرسل صدقة نجدة عسكرية تحت رئاسة أبى الحسن الفاسى الذى قام "بنقض دور الذين قتلوا العلوى وحلق شعور من ليس بشريف ولا جندى وقتل قوم ونفى قوم فسكتت الفتنة"[٢] إن مراسلة صدقة من قبل الخليفة لأجل حفظ الأمن ما هو إلا أعتراف بسلطته وأعتباره المدافع عن شؤون الشيعة، ومن المحتمل أيضاً أن تكون وسيلة أخرى من وسائل الخليفة لكسب ثقة صدقة وتأييده. غير أننا لم نعثر على رواية تعكس مدى إخلاص وتأييد صدقة للخليفة، ومن المحتمل أنه لم يصرح بولائه للخليفة خوفاً على علاقته بالسلطان ملكشاه لاسيما وأن السلطان كان يتمتع بسلطةٍ قوية ونفوذ واسع مما يفتقر إليه الخليفة فى ذلک الوقت.

الثانية: وتمتد هذه الفترة من سنة ٤٨٥هـ حتى مقتل صدقة فى سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ففى

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٦ وقد جعلها فى سنة ٤٧٩ هجرية وذلک لأنه وضع سنة وفاة منصور فى تلک السنة.

٢. ابن الجوزى: ج٩، ص٤٨؛ وقد ذكر ابن الأثير الحادثة مع بعض الأختلافات. أنظر: الكامل، ج١٠، ص٦٥؛ الذهبى: العبر، ج٣، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

الوقت الذى مثّلت فيه الفترة السابقة فترة قوة السلطان السلجوقى وتوسع الإمبراطورية السلجوقية وقوتها وبصورةٍ خاصة فى أيام السلطانين ألب أرسلان وملكشاه، فإن الطابع العام للفترة التى سندرسها الآن هو أرتباك الأوضاع السياسية، والصراع المستمر بين أفراد الأسرة السلجوقية حول السيطرة على السلطنة كالذى حدث بين بركيارق السلطان الشرعى وبين المؤيدين لتولية الأمير محمود، وبين بركيارق وإسماعيل الياقوتى، ثم كذلك بين بركيارق وخاله أرسلان آرغون، وبين بركيارق وتتش، ثم أخيراً بين بركيارق ومحمد. وقد دام النزاع بين بركيارق ومحمد حتى وفاة الأول فى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وأستقرار الأمر للسلطان محمد. وبالإضافة الى الصراع الداخلى بين الفئات السلجوقية المتنافسة، فإن الصليبيين أخذوا يشكلون خطراً كبيراً إذ أستطاعوا بنجاح أن يسيطروا على بعض أجزاء من الإمبراطورية. وقد أنتفع الأمير صدقة بن مزيد من هذا الوضع وعلى الأخص من النزاع الداخلى بين السلاجقة فائدتين مهمتين أولاهما أنه أخذ يستغل هذا النزاع فيميل الى جانب ضد الجانب الآخر وبذلک أستطاع أن يوسع إمارته ونفوذه، وثانيهما أنه أخذ يشكل قوة سياسية مستقلة لا يُستهان بها، فقد أعلن ثورته وأراد فرض آرائه فى عددٍ من المرات.

وأعتماداً على رواية أبى البقاء أن العلاقة بين صدقة والسلطان بركيارق كانت قديمة وترجع الى زمن صراع الأخير مع أخيه محمود، قال أبو البقاء: "أنه لما أستولى ـ بركيارق ـ على الملک بعد وفاة أخيه محمود أستمال سيف الدولة فمال إليه وقصد خدمته وهو بأصفهان وأقام ببابه مدة يسيرة وجرى بينهما من العهد والميثاق ما يجرى بين مثليهما فحافظ

على خدمته وقام بشرط طاعته"[1] وقد أورد البنداری مثل هذا فقال عندما جاء برکیارق الی بغداد عن طریق خوزستان وواسط أتصل به صدقة[2]. وقد ظل صدقة مؤیداً للسلطان برکیارق ففی سنة ۴۸۸هـ/۱۰۹۵م أستولی داعیة تاج الدولة أبو سعید تتش بن محمد ألب أرسلان علی بغداد وأزال خطبة برکیارق وخطب بدلاً عنه لتتش، لذلک توجه صدقة بجنده وعسکر فی محلة باب الشعیر مُظهراً مناصرته للسلطان برکیارق مما أدی الی أن یترک داعیة تتش بغداد[3].

غیر أن الموقف تغیر بین الطرفین فی سنة ۴۹۴هـ/۱۱۰۰م إذ خرج فیها صدقة عن طاعة السلطان برکیارق وأعلن خطبته للسلطان محمد. ولقد أتفق کل من ابن الجوزی وابن الأثیر فی ذکر السبب فی تمرد صدقة، علماً بأن ابن الجوزی یقدم مادة أکثر من تلک التی قدمها ابن الأثیر. قالا أن وزیر السلطان برکیارق الأعز أبا المحاسن الدهستانی هدد صدقة علی أنه إذا لم یدفع لخزانة السلطان ألف ألف دینار فإن عساکر السلطان سوف تزحف لمحاربته وطرده من بلاده، فأعتبر صدقة ذلک التهدید أهانة له فقطع خطبته وخطب للسلطان محمد[4]. لا شک أن هذا لم یکن السبب الحقیقی لثورة صدقة وتغیره علی السلطان برکیارق بل کان عاملاً مشجعاً له لتطبیق سیاسته فی المیل الی جانب ضد الآخر من أجل تحقیق أهدافه لاسیما وأن السلطان برکیارق کان یعانی من مشاکل سیاسیة ومالیة.

ص: ۱۲۶

---

۱. أبو البقاء: المناقب المزیدیة، ورقة ۱۳۲ (ب)؛ المحقق ج۲، ص۴۲۴.

۲. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۱۰۹؛ البنداری: ص۲۳۷؛ الذهبی: العبر، ج۳، ص۳۳۵.

۳. ابن الجوزی: ج۹، ص۸۴.

۴. ابن الجوزی: ج۹، ص۱۲۴؛ ابن الأثیر: ج۱۰، ص۱۱۴ ـ ۱۱۵.

فبعد أنتصاره على أخيه محمد فى الرى، أخذ عسكره يتفرق عنه وبقى فى قلّة من العسكر، ولذلک أستطاع السلطان محمد أن يسترجع قواه ويعيد الكرة ويلاحق جيش أياز الذى كان مع بركيارق وينتصر عليه[١]. وأخيراً سار بركيارق وجيشه البالغ خمسة آلاف فارس الى بغداد إلا أن أستقراره فى بغداد لم يخفّف من الأزمة بل إنه واجه أزمة أخرى مالية. وفى الحقيقة أن الأزمة المالية كانت موجودة قبل مجىء بركيارق الى بغداد، ففى سنة ۴۹۳هـ/۱۰۹۹م عندما جاء أبو المحاسن الدهستانى الى الوزارة وجد الخزانة فارغة[٢]، لذلک أراد التغلب على هذه المشكلة بمطالبة صدقة بالأموال. والظاهر أن صدقة لم يدفع الأموال المقررة عليه للسلطان خلال فترة أنشغاله فى الحروب. إن مجىء بركيارق الى بغداد قد ساعد على تضاعف الأزمة المالية، إذ ضاقت عليه الأموال كثيراً "فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره"[٣] ولهذا أرسل الى الخليفة قائلاً: "إن المطالب قد أمتنعت ولا بد من إعانتنا بشئ نصرفه على العسكر"[٤]. إن عجز السلطان بركيارق على التغلب على هذه المشاكل يعكس بوضوح مدى ضعف موقفه فى العراق، وقد شجع هذا الموقف صدقة الى أن يعلن ثورته.

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١١۴ ـ ١١۵.

٢. ابن الجـوزى: ج٩، ص١١٢؛ Lambton: 'The internal of the Seljuq Empire ٢ in the Camb Hist, vol. ۵ p. ٢۵۵.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١١۵.

۴. ابن الجوزى: ج٩، ص١٢۴؛ قال ابن الجوزى أن الخليفة أعطاه خمسة آلاف دينـار بينمـا ذكـر ابـن الأثيـر (ج١٠، ص١١۵) المبلغ على أنه خمسون ألف دينار.

والذى أعتقده أن السبب الحقيقى للثورة هو مجىء بركيارق الى بغداد وأستقراره وبذلک فإنه سوف يشكل خطراً كبيراً على أستقلال ونفوذ صدقة. وكما قلنا سابقاً أن القبائل البدوية تفضل بصورةٍ عامة تأييد السلطان البعيد من منطقة نفوذهم على ذلک القريب منهم. ولقد كان من المتوقع أن يكون رد فعل بركيارق قوياً إلا أن المصادر لا تحدثنا شيئاً عن ذلک، وربما يرجع سبب ذلک الى أنه كان غير قادر على تسيير حملة عسكرية ومحاربة صدقة ثم أن فترة بقائه فى بغداد كانت قصيرة إذ أستطاع السلطان محمد فى نفس السنة أن يسيطر على بغداد وأن يطرد بركيارق منها.

ومن الطريف ذكره فى هذا المجال أن هناک دليلاً على أن تمرد صدقة هذه كان يمثل بصورةٍ غير مباشرة الثورة العربية ضد السيطرة الأجنبية السلجوقية. إعتماداً على ابن الجوزى أن صدقة عبّر عن غضبه حينما هدده الوزير الدهستانى وذلک بطرده رسول الوزير بصورةٍ مضحكة فقد أمر بقطع أطناب الخيمة على الرسول فخرج الرسول وركب عائداً فى الحال.

ص: ١٢٨

وقد قال عدّة أبيات من الشعر تؤيد الفكرة السابقة، قال:

لا ضربت لى بالعراق خيمة ولا علت أناملى على قلمِ
إن لم أقدها من بلاد فارس شعث النواصى فوقها سود اللممِ
حتى ترى لى فى الفرات وقعة يشرب منها الماء ممزوجاً بدمِ[1]

وتتفق الروايات على أن فترة سيطرة بركيارق على بغداد لم تستمر إلا قرابة الشهر وفى السابع والعشرين من ذى الحجة حسبما قاله ابن الأثير دخل السلطان محمد بغداد، وقطعت خطبة بركيارق وخطب لمحمد. وبمناسبة مجيء السلطان محمد الى بغداد فإن صدقة توجه إليه لتهنئته بمنصبه ولإظهار طاعته وولائه للسلطان الجديد[2] تقول البروفيسور لامبتون أنه حالما أصبح محمد سلطاناً شرعياً، فإن صدقة لم يستمر على تأييده كما كان لبركيارق[3] غير أن هناك عدّة روايات ذكرها ابن الجوزى وابن الأثير تدلل على قوة العلاقة بين الطرفين، وأن صدقة حافظ على ولائه للسلطان محمد. ففى سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م حاول السلطان بركيارق، الذى كان معسكراً فى واسط، أستغلال فرصة خروج السلطان محمد وسنجر الى بلادهم وذلك بالسيطرة على بغداد مرة ثانية. وكان بإمكان صدقة أن يميل الى جانب السلطان بركيارق، إلا أنه تقدم الى الخليفة وسأله أن يعطيه أمراً بمحاربة جيش بركيارق[4].

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص١٢٤.

٢ لقد وضع ابن الجوزى (ج٩، ص١٢٤) دخول محمد بغداد فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٤٩٤. بينما وضعها ابن الأثيـر (ج١٠، ص١١٥) فى ٢٧ ذى الحجة من نفس السنة.

٣. Lambton: Contributions, pp. ٤٢ ـ ٤٣ .

٤. ابن الجوزى: ج٩، ص١٣٠ ـ ١٣١.

وفى سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م أصبح الموقف ضد صالح السلطان محمد فقد أنتصر عليه بركيارق وأعيدت الخطبة بأسمه فى بغداد ولكن صدقة أستمر على الخطبة للسلطان محمد، ولم يكتف بهذا بل زحف بعسكره الى بغداد ووصل الى جسر صرصر، ونهب نهر الملك وقام بمحاصرة بغداد. وقد وصف كل من ابن الجوزى وابن الأثير[١] أرتباك الأوضاع الإقتصادية فى بغداد على أثر ذلك الحصار فبلغ سعر الخبز ثلاثة أرطال بقيراط. فإضطر الخليفة الى أرسال قاضى القضاة أبى الحسن وتاج الرؤساء ابن الموصلايا الى صدقة يأمره بالكف عن مثل تلك الأعمال، إلا أن صدقة أصرّ حسبما قاله ابن الأثير على طلب إخراج القيصرى[٢] أحد قوّاد بركيارق من بغداد وإلا فإنه سوف يدخل بغداد بالسيف. وأخيراً أستقر الأمر على إخراج القيصرى من بغداد، وأعيدت الخطبة للسلطان محمد. وعندما سار القيصرى الى واسط، أقام الخطبة لبركيارق، ولذلك سار إليه صدقة ودخل واسط وأنتصر على جيش القيصرى وأعاد الخطبة للسلطان محمد. والمهم هنا هو أن صدقة بعد أنتصاره على القيصرى فى واسط أدخل أسمه فى الخطبة بعد أسم السلطان محمد[٣]، مما يدل على مدى توسع نفوذه وسلطته. والسؤال الذى يفرض نفسه هو هل كان صدقة صادقاً فى دعواه ومخلصاً فى إعادة السلطة لمحمد؟ أم أنه كان يهدف بعيداً، فربما كان هدفه توسيع شقة الخلاف بين الطرفين، وربما أنه أراد الفوز بنصيبه وحصته وهو السيطرة على بغداد التى سوف نشير إليها فى موضوع علاقة صدقة بالخليفة.

---

١. ن.م. ج٩، ص١٣٤؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٣.
٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٣.
٣. ن.م.

كان من نتائج علاقة صدقة الحسنة مع السلطان محمد أنه "عندما ولى محمد صار له ـ أى صدقة ـ بذلک جاه... وقرر مع أخيه برکيارق أن لا يعرض لصدقة"[1] وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان السلطان محمد واثقاً من جانب صدقة. ولما أتفق الطرفان ـ محمد وبرکيارق ـ فى سنة ۴۹۷هـ/۱۱۰۳م وتقاسما البلاد، أختار السلطان محمد من العراق بلاد صدقة ضمن أملاكه[2]. كما أنه فى سنة ۴۹۸هـ/۱۱۰۴م عندما شعر برکيارق بقرب أجله وهو فى طريقه الى بغداد عيّن أبنه ملكشاه البالغ من العمر أربع سنين سلطاناً وجعل الأمير أياز أتابكه. وقد سيطر هؤلاء على بغداد وأعلنت الخطبة بأسم ابن برکيارق، فى الوقت الذى كان فيه السلطان محمد منشغلاً بحرب جكرمش فى الموصل. وحينما سمع بوفاة أخيه توصل الى الصلح مع جكرمش وجلس للعزاء. فى ذلک الوقت قام صدقة بعملٍ آخر يؤكد ما قلناه سابقاً أنه بقى محافظاً على علاقته مع السلطان محمد، فقد جمع صدقةً حوالى خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل حسب قول ابن الأثير وابن القلانسى وسار بأتجاه بغداد، ثم أنه أرسل فى حينه ولديه بدران ودبيساً الى السلطان محمد فى الموصل يخبره بما حدث فى بغداد ويحثه على المجيء وإخراج ابن برکيارق منها[3]. وأخيراً فإنه فى سنة ۵۰۰هـ/۱۱۰۶م عرض مملوک زنكى ابن جكرمش فى الموصل على صدقة تسليمه الموصل، التى كانت كما

---

۱. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۳۶.

۲. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۳۸؛ أبو الفداء: م۱، ج۴، ص۱۳۳.

۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۴۴؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص۱۴۷.

يبدو تابعة للسلطان محمد. إلا أن صدقة رفض، وكما قال ابن الأثير، لأنه "حبذ طاعة السلطان"[1]. فى حين نرى صدقة يسارع لنجدة صاحب طرابلس عندما طلب السلطان محمد منه ذلک نتيجة لمضايقات الفرنج لصاحب طرابلس[2].

لقد كان السلطان محمد كريماً مع صدقة فقد أقطعه إقطاعاتٍ عديدة، ولم يعترض على سياسة صدقة التوسعية. ونظرة الى خريطة العراق تتوضح سعة مساحة الأملاک التى ضمّها صدقة، والتى لم تعهد الإمارة المزيدية مثلها. فقد كان من بين المناطق التى سيطر عليها المزيديون، النيل والجامعين والأنبار ودمما، إضافة الى أملاک أبيه وجدّه فى نهر الملک وكوثى. ولم يقف صدقة الى هذا الحدِّ فى توسيع إمارته على منطقة الفرات الأوسط بل كما سنرى سعى الى ضم مناطق أخرى بعيدة متشبهاً بإمارة بنى عقيل عندما كانت لها السيادة القبلية فى العراق.

وقبل أن ندخل فى تفصيل مخطط صدقة التوسعى فإنه ينبغى الإشارة الى حدث مهم فى حياة الإمارة المزيدية ألا وهو التحول الجغرافى فى سكناهم. إذ أن صدقة أتخذ موضع الجامعين مركزاً له بدلاً من مدينة النيل، وفى سنة ۴۹۵هـ/۱۱۰۱م قام ببناء أو تعمير الحلّة التى هى الجامعين وأصبحت هذه المدينة عاصمة المزيديين[3] الجديدة. ومما يجب ذكره

---

۱. ابن الأثير:ج۱۰، ص۱۵۱.

۲. ابن القلانسى: ص۱۵۶.

۳. ابن الجوزى: ج۹، ص۱۳۲؛ ياقوت: البلدان، ج۲، ص۳۲۳؛ ذكر الأستاذ زترسين Zettersteen أن المزيديين كانوا قبل تأسيس الحلة يعيشون فى الخيام Tents. والواقع أنهم كانوا يقطنون بيوتاً فى النيل قبل تأسيسهم مدينة الحلة لا الخيام (ينظر مقالة Sadaka فى دائرة المعارف الإسلامية ـ طبعة جديدة بالإنجليزية).

كذلک أننا سوف نتحاشى هنا الى التعرض الى تناقض الروايات حول فكرة بناء الحلّة التى تعرض إليها جورج مقدسى[1] فى مقالة مهمة. لقد ذكر ياقوت الحموى أن أصل الجامعين كان أجمة تأوى إليها السباع[2]، ولكن صدقة أتخذها مركزاً لعدة أسباب منها أنه أراد الأبتعاد عن المشاكل والمنازعات السياسية[3]، ولقد مرّ بنا كيف أصبحت النيل منطقة مضطربة حدثت فيها حروب ومعارک كثيرة. وهناک سبب ثانٍ هو الموقع الإستراتيجى، فهى أجمة يصعب الوصول إليها، فهى لذلک مدينة حصينة. ولا شک أن ما شاهده صدقة من منازعاتٍ بين السلاطين أثر فى نفسه فخاف على بلاده وأراد أن يكون فى مأمن من حملاتهم، إضافة الى ما كانت تقوم به القبائل الأخرى من هجمات[4] على بعض المناطق التى يملكها صدقة. ويحتمل أن هناک سبباً آخراً وهو قرب الجامعين والحلّة من المياه، وخصوبة أرضها، وكان لطريق القوافل والحُجّاج من بغداد ـ الكوفة أهمية كبيرة، لهذا أراد أن يسيطر على الطريق وجعل الحلّة محطةً مهمة فيه. وربما كان أنحلال مشاريع الرى فى منطقة النيل سبباً فى أنتقاله منها الى الحلّة.

---

١. Makdisi,g.: 'Notes on Hilla and the mazyadids' in JAOS, pp. ٢٤٩ـ٥٨؛ ينظر: أبا البقاء: المناقب، ورقة ١٣٢؛ المحقق ج٢، ص٤٢٥.

٢. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣.

٣. ن.م. قال أن من أسباب بنائه الجامعين هو أن "يبتعد عن الطالب".

٤. ابن الأثير: ج١٠، ص٩٧؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

توسعاته

فقد أستولى صدقة على هيت فى سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م. وحدثنا أبو البقاء عن طريقة فتحها بصورة مختصرة من دون ذكر أسباب ذلک فقال: "ومما يشابه هذا مساعيه ما كان من فتح هيت بأيسر سعى وأهون تكلف"[١]. أما ابن الأثير فيقدم لنا وصفاً مفصلاً لما كانت عليه هيت الى وقت أستيلاء صدقة عليها فقال كانت هيت تابعة لمسلم بن قريش العقيلى وقد أقطعها إياه السلطان ألب أرسلان، ولما قتل ألب أرسلان أصبحت هيت تابعة لبعض قوّاده. وأستمرت كذلک حتى موت السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان فأخذها أخوه تتش. وعندما تولى السلطنة بركيارق أقطعها الى ثروان بن وهب بن وهيبة وهو من بنى عقيل وكانت علاقة ثروان فى بداية الأمر حسنة مع الأمير صدقة، غير أنها سرعان ما تغيرت وذلک لأن صدقة زوج أبنته من ابن عمّه بينما كان ثروان قد خطبها من صدقة من قبله ولكنه رفض. والظاهر أن ثروان وجماعة من بنى عقيل كانوا يقيمون مع صدقة فى الحلّة، لأن ابن الأثير يقول بأن من نتائج أعطاء صدقة أبنته الى ابن عمّه أن حاول بنو عقيل التمرد على صدقة فى الحلّة، إلا أن صدقة تمكن من القضاء على هذه المحاولة وقد أحتج لثروان المذكور على هذا العمل. ويحتمل أن العلاقة تحسنت مرة ثانية بين الطرفين، وأن ثروان ذهب الى الحج وعندما رجع كان مريضاً وغير قادر على تحمل أعباء المسؤولية فى هيت فوكل صدقة وأعطاه هيتاً وأرسل حاجبه ومعه كتاب يقضى بتسليم هيت الى صدقة وكان فيها حينئذٍ محمد بن رافع بن

---

١. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧(أ)؛ ينظر: المحقق من كل من الدكتور صالح درادكة والدكتور محمد عبد القادر خريسات، ج٢، ص٤٩٨.

رفاع بن ضبيعة بن مالک بن مقلد بن جعفر الذى رفض تسليمها، لذلک جهز صدقة عسکره وزحف إليها بنفسه وأخذها بالقوة[1]. والمهم فى هذه القصة أن السلطان لم يتدخل أو يعارض فکرة أستيلاء صدقة على المدينة.

ولأبى البقاء قصيدة وصف بها فتح صدقة لهذه المدينة وقد دخلها بجيشٍ قوى العدد والعدة، کما أنه وصف هيت کالبنت الباکر "والدرة التى لم تثقبِ"[2].

ثم فتح صدقة عانة فى سنة ۴۹۷هـ/۱۱۰۳م. ففى تلک السنة جهز صدقة عسکراً لفتحها وکان بها حينئذٍ جيش من الأتراک مع يلک بن بهرام ابن أرتق. وعلى الرغم من مناعتها فإن صدقة أستطاع أن يسيطر عليها[3]، لکن أبا البقاء الذى ذکر هذه الأحداث لم يذکر الأسباب التى دعت الى فتح المدينة. بينما قدّم ابن الأثير سبب ذلک فقال أن يلک بن بهرام أراد أن يستولى على عانة التى کانت تابعة لبنى يعيش بن عبس بن خلاط، وعندما رأى بنو يعيش الخطر قصدوا سيف الدولة مستنجدين وسألوه التوجه إليها ووعدوه بتسليم المدينة له ففعل صدقة ذلک. والذى يبدو أنه قد وقعت معرکة بين صدقة وبين الأتراک وبهرام أنتصر فيها صدقة، إذ يحدثنا ابن الأثير بأن بهرام وجماعته من الأتراک أضطروا الى ترک المدينة وأن

---

۱. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۳۴؛ وکذلک ابن خلدون: ج۴، ص۶۰۱؛ وقد جاء أسم ثروان بن وهيبة على شکل توران بـن تهيبة، ورافع ابن رفاع بن منيعة بدلاً من ضبيعة. وأعتقد أن يکون ذلک تصحيفاً.

۲. المناقب المزيدية، ورقة ۱۵۷ (أ) ـ ۱۵۷ (ب)؛ ينظر: المحقق من المناقب، ج۲، ص۴۹۸.

۳. المناقب المزيدية: ورقة ۱۵۴ (أ)، ينظر: المحقق، ج۲، ص۴۹۰.

صدقة أستطاع من دخولها وأن يستولى على رهائن الأتراک، ثم عاد الى حلّته[1]. ولا شک أن مجیء بنی یعیش الی صدقة وعدم توجههم الی سلطة بغداد یدل دلالة واضحة علی مکانته الواسعة بین القبائل العربیة، وربما لکونه ملک العرب ونائبهم والمدافع عن مصالحهم.

بعد أن فتح صدقة عانة وطرد الأتراک منها فتح مدینة واسط فی هذه السنة أیضاً. وهناک عدّة روایات عن فتح تلک المدینة بعضها یبین أن واسطاً قد خلعت علی الأمیر صدقة من قبل السلطان[2] ویمثل وجهة النظر هذه ابن الجوزی. بینما یقول ابن الأثیر بأن صدقة أستولی علی واسط عسکریاً، حیث سار إلیها بجیشٍ کبیر وکان یسیطر علیها فی ذلک الوقت الأتراک. وبأقتراب صدقة منها أنقسم الأتراک الی قسمین، قسم صار الی جانب صدقة بینما ترک القسم الآخر واسط وأنسحبوا الی بغداد ولذلک دخلها صدقة. ویضیف ابن الأثیر بأن صدقة ضمنها لصاحب البطیحة مقابل خمسین ألف دینار سنویاً[3]. وقد أید أبو الفداء هذه الروایة إلا أنه ذکر أن صدقة ضمن البطیحة لمهذب الدولة ابن أبی الجبر[4] ولیس واسطاً مع العلم أن مهذب الدولة کان ضامناً للبطیحة قبل أن یسیطر صدقة علی واسط. ثم أن مهذب الدولة أقام فی واسط مما یدل علی أن الضمان کان علی واسط ولم یکن علی البطیحة.

---

۱. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۱۳۷ وما بعدها.

۲. ابن الجوزی: ج۹، ص۲۳۶. وقد ذکر أیضاً فی مکان آخر ضمن حوادث سنة ۴۹۸ هجریة أن السلطان أمر برد واسط الی صدقة. أنظر: ج۹، ص۱۴۳.

۳. ابـن الأثیـر: ج۱۰، ص۱۴۱؛ ینظـر: Sanaullah, M.F. The decline of the Seljuqid empire (Calcutta ۱۹۳۸) p. ۱۰۸.

۴. أبـــو الفـــداء: م۱، ج۴، ص۱۳۴؛ ونقلهـــا عنـــه ابـــن الـــوردی: ج۲، ص۵۱؛ ابـــن کثیـــر: ج۱۲، ص۱۶۳.

أما فی مسألة أحتلالها وعدم أحتلالها فيحتمل أنه أستولی عليها ثم أقرّه السلطان ذلک، أی أن الخلعة يقصد بها هنا الأعتراف بما وقع فی يده وبواقع الأمر. ويدل على هذا وقائع الرواية حيث كان فی المدينة عسكر من الأتراک المؤيدين للسلطان بركيارق ولا شک أن هؤلاء منعوا صدقة من دخولها بسهولة، مما دفع صدقة الی أن يستولی عليها عسكرياً.

وتختلف الروايات أيضاً فی فتح صدقة البصرة، فمما رواه ابن الجوزی أن السلطان أذن له فی أخذ البصرة[1]. ولا ريب أن المفهوم من ذلک أنه أقطعها أو وهبها له. وقد ذكر أبو البقاء تفاصيل وافية عن سيطرة صدقة على البصرة، مع وصف العمليات الحربية بين إسماعيل حاكم البصرة وبين صدقة، وذكر بأن إسماعيل عمل على تحصين المدينة فحفر حولها الخنادق وجمع عدداً كبيراً من الجنود الأتراک والديلم[2] لإحباط تقدم جيش صدقة. وبالإضافة الی التفصيلات العسكرية فإن أبا البقاء يقدم حقيقة الأسباب التی دعت صدقة الی محاربته فقال أن إسماعيل كان خرمی المذهب، وأنه تمرد على السلطان وترک طاعته[3] وهذا كله دفع صدقة الی محاربته وفتح البصرة. والذی يظهر من هذه الرواية هو أن العلاقة كانت غير جيدة بين إسماعيل والسلطان، وأن إسماعيل لم يصطدم بصدقة بشكلٍ مباشر. بينما بالنسبة الی رواية ابن الأثير الذی يقدم جميع أسباب الإصطدام بين صدقة وإسماعيل فهو يقول: كان إسماعيل بن أرسلانجق مقيماً فی البصرة مدة عشر سنين وكان صاحب نفوذ وسلطة، ومما زاد فی سيطرته وقوته هو أختلاف السلاطين السلاجقة حتی أنه سيطر على الأموال

---

۱. ابن الجوزی: ج۹، ص۲۳۶.

۲. المناقب المزيدية، ورقة ۱۵۶ (ب) ـ ۱۵۷ (أ)، ينظر المحقق، ج۲، ص۴۹۵ ـ ۴۹۶.

۳. ن.م. ورقة ۱۵۶ (ب)، ينظر: المحقق، ج۲، ص۴۹۶.

السلطانية فى البصرة، وكان أيضاً قد راسل الأمير صدقة وأظهر له الطاعة والموافقة. فلما تولى السلطان محمد على السلطنة أرسل مقطعاً الى البصرة ليتولى ما يتعلق بالسلطان، ولكن إسماعيل منع ذلک الموظف من القيام بعمله. ويقول ابن الأثير بعد ذلک أن السلطان أقطع البصرة الى صدقة فبعث صدقة حاجباً له ليتسلم شرطتها. إلا أن إسماعيل قبض على الحاجب وسجنه الأمر الذى دفع صدقة الى التوجه إليه ومحاربته. وعندما فتح البصرة رجع الى الحلّة ثانيةً بعد أن عيّن عليها شحنة[1].

فالبصرة إذن كانت مقطعة الى صدقة بعد أن فشل السلطان محمد فى الحدّ من سلطة إسماعيل، إضافة الى تصرف إسماعيل مع حاجب صدقة كان سبباً مباشراً فى فتحها بالقوة. ولا شک أن إقطاع السلطان محمد البصرة الى صدقة وهو يعلم ما بلغه إسماعيل من قوة ونفوذ دليل آخر على قدرة صدقة وقوته، فليس هناک شخص أجدر منه على أخذ البصرة من إسماعيل الذى تجهز بكل الوسائل للدفاع عنها وكما قال ابن الأثير: "وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها وأعلموه أنهم لا يظفرون بطائل"[2]. وحتى عندما دخل صدقة البصرة فإنه قد وقع قتال بين عسكره وبين طائفة من البصريين ذهب ضحيتها أبو النجم بن أبى القاسم الورامى ابن خال

---

١. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧ (أ)، ينظر: المحقق، ج٢، ص٤٩٥ ـ ٤٩٦.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٠ ـ ١٥١؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٠٢.

سيف الدولة صدقة[1]. ولقد كانت هناک معارضة داخلية من بعض سکان البصرة على دخول صدقة المدينة[2]. إن تغلب صدقة على جميع هذه المصاعب يثبت قدرته العسکرية[3].

وفى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ألتفت صدقة الى قلعة تکريت. وتکريت قد تعرضت لتطوراتٍ سياسية عديدة منذ سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م حتى الفترة التى أصبح فيها السلطان محمد هو السلطان الشرعى. لقد أقطع هذا السلطان تکريت لأقسنقر البرسقى شحنة بغداد، وقد توجه إليها هذا وکان بها حينئذٍ کيقباذ بن هزارسب الديلمى. والظاهر أن کيقباذ لم يکن راغباً بتسليمها الى أقسنقر، ولکن ليس بأستطاعته مقاومة جيش أقسنقر طويلاً، ولهذا قام بمراسلة صدقة مستنجداً به ومتعهداً بتسليمها إليه. ولم تفت صدقة هذه الفرصة فتجهز وزحف الى تکريت بنفسه وأستطاع أن يسيطر عليها ويحبط محاولة البرسقى[4] فى أخذها. والذى يبدو من هذه الأحداث أن أستيلاء صدقة على قلعة تکريت جاء مشابهاً لإستيلائه على عانة.

وفى السنة ذاتها، ٥٠٠هـ، بعث صدقة أبنه بدران على رأس جيشٍ قوى الى أطراف البلاد بالقرب من البطيحة، وکان السبب فى ذلک حسبما قاله ابن الأثير هو ظهور خطر قبيلة

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٠.

٢. ن.م.؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٧؛ ابن الوردى: ج٢، ص٢٧.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٩؛ بينما جعلها ابن خلدون (م٤، ص٦٠٤) فى سنة ٤٩٦ هجرية.

٤. أنظر عن التطورات السياسية فى تکريت قبل أحتلال صدقة لها: ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧؛ أبو الفداء: (م١، ج٤، ص١٣٩) قال بأن صدقة أمتلکها بعد کيقباذ. أنظر أيضاً: ابن کثير: ج١٢، ص١٦٧؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٠٣ ـ ٦٠٤.

خفاجة على منطقة البطيحة. كانت البطيحة فى ذلک الوقت مضمونة من قبل مهذب الدولة ابن أبى الجبر[1]، إلا أن المصادر لا تحدثنا فيما إذا كانت تحت سيطرة صدقة أم لا. مع العلم أن إرسال صدقة أبنه لحماية البطيحة من هجمات خفاجة قد يدل على أنها لم تكن تابعة لصدقة، وأن أهل المنطقة أستنجدوا به، كما فعل أهالى عانة، لدفع الخطر المحدق بهم. والظاهر أن بدران لم يتمكن من دفع قبيلة خفاجة، لأن ابن الأثير يقول أنه عندما هددت خفاجة أهل البلاد أضطر بدران الى مراسلة والده. وبذلک جهز صدقة مدداً أخراً الى بدران أشرک فيه قبيلة بنى عبادة[2]. ولعل صدقة كان يهدف من هذه المناورة العسكرية الى أن يُبعد خطر خفاجة أولاً ثم والأهم من ذلک الى أن يضمها الى مناطق نفوذه.

وتظهر نوايا صدقة فى السيطرة على البطيحة من خلال حوادث أخرى ففى سنة ٥٠٠هـ عندما ضمن صدقة واسط لصاحب البطيحة وعندما عجز هذا عن دفع المال فى نهاية السنة قبض صدقة عليه وحبسه[3]. ولما طلب حماد بن أبى الجبر ابن عم مهذب الدولة مساعدة صدقة ضد صاحب البطيحة أمدّه صدقة بجيشٍ بقيادة قائده المشهور سعيد بن حميد العمرى[4].

بعد أن تحدثنا عن وضعية السلطان السلجوقى وعلاقته بصدقة فى هذه الفترة، لا بد لنا من الإشارة الى موقف الخليفة العباسى. فمن الملاحظ بأن وضعية الخليفة السياسية فى هذه

---

١. سمّى الأستاذ زترسين مهذب الدولة سعيد بن أبى الخير والصحيح بن أبى جبر. ينظر مقالة: Sadaka b. Mansur فى دائرة المعارف الإسلامية، طبعة جديدة بالإنجليزية، بقلم:K. V. Zetterseen..

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.

٣. ن.م. ج١٠، ص١٦٣.

٤. ن.م. ج١٠، ص١٦٤.

الفترة قد تحسنت بصورةٍ أكثر مما كانت عليه فى الفترة السابقة وهذا يعود بالدرجة الأولى الى أنشغال السلاجقة فى منازعاتهم الداخلية، غير أنه مع ذلک لم يستطع أن يكوّن بمفرده كتلة سياسية قوية فى وجه السيطرة السلجوقية. ولهذا السبب أستعمل سلاحاً آخراً هو التقلب فى تأييده للسلاطين المتنازعين تبعاً للظروف السياسية العامة فى العراق وكذلک تبعاً للظروف الداخلية فى بغداد.

وحسبما يظهر من الحوادث السياسية التى وقعت فى هذه الفترة أن من الصعوبات المهمة التى واجهها الخليفة أمام توسيع نفوذه وتقوية موقفه السياسى هو وجود صدقة بن مزيد[١]. مع العلم بأن هناک فى الظاهر علاقة حسنة بين الطرفين، وأن الخليفة فى عدّة أحايين يلتفت الى صدقة طالباً منه المساعدات العسكرية لأجل الهيمنة على الأمور فى بغداد. والظاهر أن الخليفة حاول أستغلال قوة صدقة العسكرية فى العراق فى الضرب على عوامل الشغب التى قد تؤثر على سلطته فى العاصمة، ثم أنه من الجهة الثانية لم يحاول أن يوسع صلاحيات صدقة أو أن يساعده فى زيادة قوته، وذلک لئلا يصبح حجر عثرة فى طريق أستقلال وأسترجاع سلطاته ولأنه كذلک كان يخشى أطماع صدقة السياسية فى بسط سيطرته على العراق بما فى ذلک بغداد ذاتها وربما قد يكون سبب هذا التوجس من صدقة أن هذا كان يمثل الشيعة فى العراق.

ففى سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م عندما حاول السلطان بركيارق العودة من واسط وأحتلال بغداد فى الوقت الذى كان فيه السلطان محمد خارجاً عنها، أعتبر الخليفة هذه الخطوة خطراً كبيراً

---

١. Lambton: Contributions p. ٣٧٣ .

على مصالحه فى العاصمة ولذلک تجهز عسكرياً لصد الهجوم. وحاول صدقة أن يكسب ثقة الخليفة والسلطان محمد وذلک بطلبه من الخليفة أن يسمح له بصدّ الهجوم، لكن الخليفة قال له: "إن الخليفة يعتقد منک الصارم العضب"[1] وبذلک أستطاع الخليفة أن يحقق هدفين مهمين أولاً التقليل من نفوذ صدقة وتأثيره فى الأحداث وثانياً كسب جانبه. ونجد كذلک فى السنة ذاتها الخليفة يبعث كتاباً الى صدقة ملقباً إياه ملک العرب[2]. وهو نفس اللقب الذى أسبغه الخليفة الفاطمى على دبيس بن على ـ كما سبقت الإشارة الى ذلک ـ إلا أن هذا اللقب أبلغ أثراً من سابقه لأنه من خليفة بغداد الذين تدين له بالولاء القبائل العربية الأخرى التى سكنت العراق. كما أن لهذا اللقب أهمية إجتماعية كبيرة حيث أنه أصبح ملكاً على جميع تلک القبائل، ولم يحصل عليه أى رئيس قبيلة أو أمير. وفضلاً عن أهميته السياسية، فإن الخليفة أراد أن يُرضى صدقة كما كان يهدف من طرف آخر إشغاله فى محاربة القبائل التى كانت تعبث بالأمن. ومن جانب صدقة فإن اللقب يعتبر أعترافاً واضحاً بقوته وأمكانيته. وقد وضّح أبو البقاء تلک الأهمية فقال أنه فى سنة ٤٩٥هـ تعذر على الحُجّاج الذهاب الى مكة بسبب هجمات القبائل لذلک أمر الخليفة صدقة بواسطة توقيع (بمعنى أمر إدارى) أن يحمى الحجّاج فأرسل صدقة مع القافلة قائده حميد بن المقلد العمرى، وواصلت القافلة رحلتها ثم رجعت الى بغداد دون أن تعترضها أية قبيلة[3].

وفى سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م حاول الخليفة تطبيق سياسته الرامية الى توسيع شقة الخلاف

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص١٣٠ ـ ١٣١.

٢. ن.م. ج٩، ص١٣٢.

٣. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٢ (ب). ينظر المحقق، ج٢، ص٤٨٥.

بين السلاجقة من أجل فرض نفوذه. ففى الوقت الذى كانت بغداد تحت سيطرة شحنة السلطان محمد إيلغازى، وكانت الخطبة للسلطان محمد أرسل بركيارق الذى كان فى همذان شحنة الى بغداد أسمه كمشتكين القيصرى ليخطب بأسمه. وفعلاً أستطاع القيصرى السيطرة على بغداد فأعيدت الخطبة من قبل الخليفة الى بركيارق، ثم أرسل حاجبه الى صدقة لكى يغير الخطبة فى بلاده. إلا أن صدقة، كما سبق الإشارة الى ذلك، رفض وأعلن تمرده وسار بجيشه الى بغداد، ونهب المناطق الواقعة بالقرب من بغداد، وأرسل الى الخليفة رسولاً يعرّفه بما حدث من أضطرابٍ فى نفوس الناس من جراء عمله. إلا أنه أصرّ على إخراج القيصرى وإعادة الخطبة للسلطان محمد وإلا فإنه سوف يدخل بغداد بالسيف، وبعد مفاوضاتٍ مستمرة استطاع صدقة أن يفرض رأيه بإخراج القيصرى وإعادة الخطبة للسلطان محمد[1]. وفى الواقع كان بإمكانه أن يبدل الخطبة ويجتمع مع الخليفة للتعاون وإضعاف نفوذ كل من الطرفين المتناحرين، ولكنه حسبما أعتقد خاف من تنفذ وتسلط الخليفة عند أسترداده لسلطته وبذلك سوف يشكل خطراً على مطامح صدقة وبهذا وقف هذا الموقف المعارض لسياسة الخليفة.

لم يقتصر التنافس بين صدقة والخليفة على المجال السياسى بل تعداه الى الأدبى والإجتماعى. فمما ذكره أبو البقاء أن صدقة كان يتصف بصفاتٍ حميدة وأنه كان كريماً "يغترف من بحر جوده فقير العرب والغنى"[2]. وكان يعطى للشعراء وقال كذلك: "أنه يصرف

١. ابن الجوزى: ج٩، ص١٣٤ ـ ١٣٥؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٣.

٢. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧ (أ)، ينظر المحقق، ج٢، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤.

على الصلات العارضة والمطابخ حوالى ستين ألف دينار"[1]. ومن أعماله الحميدة الأخرى أنه أطلق سراح أسرى بنى عقيل وكساهم وحماهم وردهم الى أهلهم[2]. وكانت له دار فى بغداد أهداها إليه الخليفة، وقد أصبحت ملجأً لكل من تطارده السلطة[3]، وممن ألتجأ إليها الملك ابن الغنايم صاحب الأمير نجم الدين إيلغازى بن أرتق[4]. ولقد مدح كثير من الشعراء صدقة، بقصائدٍ طوال، بل أن بعضهم مثل ابن الهبارية قد أهدى أرجوزةً سمّاها الصادح والباغم تتكون من ألف بيت وهى على نظم كليلة ودمنة[5]. ومن أولئک الشعراء أيضاً الشاعر السنبسى[6]، والمطاميرى[7]، والأبيوردى[8]، والبندنيجى[9]. كما أن هناک بعض الشعراء الذين

---

۱. المناقب المزيدية، ورقة ۱۵۸ (أ)، ينظر المحقق، ج۲، ص۵۰۳ ـ ۵۰۴.

۲. ن.م. ورقة ۱۴۱ (أ) ـ ۱۴۱ (ب*؛ ينظر المحقق، ج۲، ص۵۰۳.

۳. ن.م. ورقة ۱۵۰ (ب) ـ ۱۵۱ (أ) ـ (ب)، ينظر المحقق، ج۲، ص۴۸۰، ۴۸۱. المسجد المسبوک، مجلد ۱، ورقة ۴۴ (ب).

۴. المناقب المزيدية، ورقة ۱۵۰ (ب) ـ ۱۵۱ (أ). ينظر المحقق، ج۲، ص۴۸۰.

۵. عن كتاب الصادح والباغم وأشعار ابن الهبارية أنظر: كتاب الصادح والباغم، ص۹ ــ ۱۰، ۲۰، ۱۰۸؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج۴، ص۸۰؛ الصفدى: الوافى، ج۱، ص۱۳۲؛ ابن الوردى: ج۲، ص۱۹؛ العماد الحنبلى: شذرات، ج۴، ص۲۵ ـ ۲۶؛ حاج خليفة: كشف الظنون، ج۲، ص۱۰۶۹.

۶. وعن السنبسى أنظر: العماد الأصبهانى: خريدة القصر، (قسم العراق) ج۲، ص۲۰۰ ـ ۲۰۱؛ القفطى: المحمدون من الشعراء (مخطوطة)، ص۱۰۳، ۱۰۹؛ ابن الدبيثى: المختصر المحتاج، ج۱، ص۴۵؛ ياقوت: الأدباء، ج۴، ص۵۶۴؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۴۹؛ الصفدى: الوافى، ج۲، ص۴۸؛ ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، ج۲، ص۴۰۳.

۷. ياقوت: الأدباء، ج۴، ص۵۶۳.

۸. الأبيوردى: ديوان، ص۱۳۴ ـ ۱۳۷، ۱۹۸، ۳۱۱ ـ ۳۱۳، ۳۳۴ ـ ۳۳۵، ۳۵۸ ـ ۳۶۰؛ ياقوت: الأدباء، ج۴، ص۳۵۶.

۹. ابن الأثير: ج۱۰، ص۴۹.

قصدوا صدقة فی الحلّة ومدحوه مثل محمد ابن حیدر بن عبد الله بن شعبان البغدادی[1]، وابن الخازن[2]، وأبو الفرج یحیی بن التلمیذ[3] والشاعر المکین بن الأقفاصی الأعمی الموصلی[4]. إن هذه الکثرة من الشعراء والأدباء الذین أنشدوا الأشعار فی إظهار صفات الأمیر صدقة ـ وقد کان قسم منهم متصلاً به فقط بینما نری آخرین قد ذهبوا إلیه لمدحه ـ تدل دلالة واضحة علی أن هدف صدقة الرئیس من وراء هذه الأبواق هو إظهار نفوذه، وکرمه، ومکانته الأدبیة بین الشعراء وهوایته بالشعر، وکذلک لیبزّ ما کان یحتله الخلیفة فی هذا المجال، ولیوجه الأنظار الی مدینة الحلّة علی أعتبار أنها عاصمة الشعراء الجدیدة. وفی الوقت نفسه فإن هناک عدداً من الشعراء ألتزموا جانباً عدائیاً بالنسبة لصدقة أمثال الشاعر الغزّی الذی کان موالیاً لسلطة بغداد، إذ نراه یمدح السلطان ویهنئه بمقتل صدقة. وأمتدحه الأستاذ A. Muller واصفاُ إیاه أنه کان «بدویاً أصیلاً وشجاعاً وعنیداً ومراوغاً»[5].

ومع کل هذا فإن کلاً من الطرفین ـ أعنی الخلیفة وصدقة ـ لم یحاول التخلص من وجود کیان الآخر وأن العلاقة بینهما أستمرت حسنة فی الظاهر. وکما أورد ذلک ابن الجوزی

---

۱. العماد الأصبهانی: خریدة (قسم العراق)، ج۲، ص۲۲۰؛ القفطی: المحمدون، ورقة ۶۹ (ب).

۲. الحسینی: أخبار الدولة السلجوقیة، ص۸۱.

۳. ابن أبی أصیبعة: عیون الأنباء، ج۲، ص۲۹۴؛ القفطی: أخبار الحکماء، ص۳۶۴.

۴. العماد الأصبهانی: خریدة (قسم الشام)، ج۲، ص۳۶۰.

۵. قال الأستاذ موللر أنه: "a true beduin, brave, stubborn and wily" نقلاً عن مقالة زترسین فـی دائـرة المعارف الإسلامیة (طبعة جدیدة) Der Islam im Mogenund Abrnd Land II P. ۱۲۳.

عندما ذكر أن الخليفة المستظهر منح صدقة دار عفيف التى تقع فى درب فيروز فى بغداد[1]، وأقطعه الأنبار ودمماً والفلوجة، وخلع عليه خلعاً لم تخلع على أمير قبله[2].

تعتبر سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م من السنوات المهمة فى تاريخ الإمارة المزيدية، فقد أعلن فيها صدقة تمرده ضد سلطة بغداد ومحاربة السلطان له. والأسباب التى دفعت صدقة على القيام بذلک يمكن تقسيمها الى مباشرة وغير مباشرة. فبالنسبة الى ابن الجوزى وابن الأثير فإنهما يذكران السبب المباشر للثورة هو مطالبة السلطان محمد بن ملكشاه لصدقة أن يسلمه أبا دلف سرخاب بن كيخسرو حاكم ساوة وآبه المغضوب عليه من قبل السلطان والذى كان قد ألتجأ الى صدقة. فيقول ابن الجوزى بأن صدقة رفض تسليم سرخاب وقال: "لا أفعل ولا أسلم من لجأ إلىّ"[3]. وقد جاء ابن الأثير بروايةٍ أخرى عن جواب صدقة على مطالبة السلطان بتسليم سرخاب حيث قال: "إننى لا أمكن منه ـ سرخاب ـ بل أحامى عليه وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله[9]:

ونسلمه حتى نضرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ[4]

هذا الأختلاف فى الروايات يدل على أن ابن الأثير أعتمد على مصدر آخر غير ابن الجوزى، علماً بأن تشبيهه لهذه الحادثة بحادثة أبى طالب فيها دلالات تاريخية. والظاهر أن

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣۶.

٢. ن.م.

٣. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٧؛ وأنظر كذلک أبا الفداء: م١، ج۴، ص١۴١.

۴. ابن الأثير: ج١٠، ص١۶۵.

رفض صدقة جاء لسببين أحدهما إجتماعى إذ كانت العادة البدوية بصورةٍ عامة وعادة الأمراء المزيديين خاصة هى عدم تسليم من أستجار بهم ولجأ إليهم وثانيهما هو أن صدقة أراد أن يستغل قضية سرخاب فيعلن ثورته. وربّ سائلٍ يقول بأن العلاقة بين السلطان وصدقة كانت قوية وحسنة كما سبق أن قدمنا، فكيف تغيرت وأدت بالسلطان أن يعلن الحرب على صدقة ويجهز الجيوش للتخلص منه؟ وهنا ينبغى أن نلتفت الى دراسة الأسباب غير المباشرة لهذه الحادثة والتى هيأت ظروف الحرب بين الطرفين. فابن الجوزى وابن الأثير يتفقان على أن العميد أبا جعفر محمد بن الحسين البلخى هو المسؤول عن إفساد العلاقات بين السلطان وصدقة، فمما قاله للسلطان:

١ـ أن مركز صدقة السياسى قد عظم وأخذ يدلّ على السلطان وأنه إذا وقع إليه رد التوقيع (بمعنى إذا كتب إليه أمراً لم ينفذه) أو أطال مقام الرسول على مواعيد لا ينجزها، كما وأنه أوحش أصحاب السلطان[١].

٢ـ أن صدقة على مذهب الباطنية (أى الإسماعيلية) وأنه يُظهر سبّ الصحابة فى بلاده[٢]، وقد ردّ ابن الأثير على هذا الزعم بأنه غير حقيقى وأن صدقة كان شيعياً لا غير[٣].

إن مزاعم العميد هذه قد تكون ناتجة عن عداء شخصى قديم مع صدقة أو تضارب بين مصالحهما السياسية فى العراق، إلا أنها يمكن أن تكون قد لاقت ترحيباً من قبل السلطان. والواقع أن مركز صدقة ونفوذه أصبح كبيراً فقد سيطر على بعض المدن المهمة سياسياً

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٦؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥.
٢. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٦؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥.
٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥.

وإقتصادياً. كما خضعت له القبائل العربية فى العراق. وبطبيعة الحال فإن هذه الظروف قد ولّدت مخاوفاً عند السلطان من صدقة وأوحت له بأنه سوف ينافسه بالقوة والنفوذ إذا ترک دون محاربة. أما بالنسبة لصدقة فربما كان على علم بما يجرى، وقد يكون متعمداً فى سياسة تأخير أرسال الأموال المقررة الى بغداد.

إن رفض صدقة تسليم سرخاب ثم عزمه على الثورة دفع السلطان الى أن يجهز الجيش ويسير لمحاربته، وقد وقعت الحرب فى سنة ٥٠١هـ وأنتهت بمقتل صدقة وهروب جيشه وأستيلاء أصحاب السلطان على الحلّة. ومن المناسب ذكره أن ابن الأثير يقدم معلوماتٍ مفصلة عن الحرب أكثر مما قدمه ابن الجوزى[١]. من الممكن إرجاع فشل ثورة صدقة الى عدّة أسباب منها:

١ـ أنها وقعت فى وقت غير ملائم، وكان الأجدر بصدقة أن يعلنها فى الفترة التى سبقت أعتلاء السلطان محمد على السلطنة حين كان الإنشقاق السياسى سائداً بين أفراد الأسرة السلجوقية. ففترة السلطان محمد تعدّ من الفترات التى أستعاد فيها السلاجقة قوتهم من جديد.

---

١. أنظر عن المعركة وقتل صدقة: ابن الجوزى: ج٩، ص١٥٦ ـ ١٥٧؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥ـ١٦٩؛ الحسينى: أخبار، ص٨٠ ـ ٨١؛ البندارى: ص٩٣ ـ ٩٤؛ ابن القلانسى: ذيل، ص١٥٩ـ١٦٠؛ الفارقى: ص٢٧٤؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص٢٤؛ وقد جعل ابن خلكان خطئاً سنة مقتل صدقة (٥٠٠ هجرية) ج٢، ص١٨٣؛ ابن الشحنة: روضة المناظر، (حاشية على ابن الأثير)، ج٨، ص٢١٧؛ الذهبى: دول، ج٢، ص٢١؛ Grousset: Hitoire des croisades et Royaume France de Jerusalem (١٩٣٤) vol. I p. ٥١٨ـ. Bosworth, op. cit, p. ١١٥. ٥١٩.

٢ـ أرتكزت قوة صدقة العسكرية بالدرجة الأولى على القبائل العربية التى كانت تقطن قرب الحلّة، وكذلک على بعض القبائل الكردية، وكما تقول البروفيسور لامبتون أن هؤلاء يعتبرون قوة غير مستقرة وأنهم فى الواقع مدفوعون بدافع الحصول على مكاسب ومغانم مادية[١] أكثر من كونهم يحاربون فى سبيل مبدأ معين. فهم مع القائد إن تحقق هدفهم الأول وإلا فإنهم يتركون الجيش ويهربون. وهذا ما حدث بالنسبة لجيش صدقة.

٣ـ كان صدقة يتوقع المساعدة العسكرية من جاولى سقاوو وإيلغازى ابن أرتق كما يقول ابن الأثير، غير أن توقعاته لم تتحقق. ومن المحتمل أن صدقة كان متوقعاً من الخليفة أن يقف الى جانبه من أجل إضعاف السيطرة السلجوقية، فى حين كان موقف الخليفة لا يعدو أكثر من أرسال رُسُل الى صدقة يُثنيه عن عزمه ويحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان. فالخليفة مع أنه يرى فى صدقة منافساً قوياً وعقبة فى سبيل تحقيق مشروعاته، إلا أنه لم يرغب فى إزالته نهائياً عن المسرح السياسى لئلا يبقى وحيداً فى المعركة مع السلاجقة. وهذا ينعكس بوضوح فى التعهدات التى أخذها على عاتقه من أجل إصلاح الوضع السياسى بين صدقة والسلطان[٢].

لقد ترک صدقة عدّة أبناء هم دبيس، وبدران، وأبو كامل منصور، وأبو المكارم محمد الملقب بعز الدولة[٣].

---

١. Lambton: Contributions, pp. ٤٠ ـ ٤١ .

٢. أنظر: ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٧؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥ ـ ١٦٩.

٣. لقد لقب زامباور محمداً فى معجمه بأبى المحاسن (Manuel p. ١٣٧) إلا أن ابن الجوزى يلقبه بأبى المكارم أنظر: ج٩، ص١١٩.

أما المعلومات عن هؤلاء الأمراء فهى قليلة، فقد وردت بعض المعلومات عن منصور الملقب بأبى كامل. إذ أنه بعد مقتل والده هرب مع أخيه بدران الى قلعة جعبر وكان صاحبها سالم بن مالک فتحالفا على التوجه الى الحلّة وأخذها من أيدى الذين عينهم السلطان عليها[1]. ثم يبدو أنهما تراجعا عن فكرتهما فى الهجوم على الحلّة، ولعلهما خافا سلطة بغداد، أو أن صاحب قلعة جعبر تنكّر لهما. فإننا نرى منصور قد ذهب الى باب السلطان سنة ٥٠٢هـ طالباً رضاه[2]، ويبدو أن السلطان رضى عنه إلا أن منصوراً لم يتقلد إمارة بنى مزيد، ولهذا سكتت المصادر عن ذكره حتى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م فقد أشترک منصور الى جانب السلطان محمود ضد السلطان سنجر[3]. وفى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م ظهر منصور عندما قدّمه أخوه دبيس رهينة الى السلطان محمود من أجل أن يوافق السلطان على إعطاء دبيس الأمان[4]. ويظهر من هذه الرواية أنه أستقر مع أخيه فى الحلّة ولم يكن أميراً. وقد ظل منصور رهينة حتى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م عندما حدثت الحرب بين دبيس والبرسقى بسبب مدينة واسط، لذلک قبض عليه السلطان ونفاه مع ابن دبيس الى قلعة برحين فى بلاد الكرج[5]. وفى نفس السنة شفع له السلطان عند الخليفة ليرضى عنه. والظاهر أن هذا حدث فى الوقت الذى كان فيه منصور منفياً الى قلعة برحين، وظل مأسوراً حتى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، ثم أن

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٤، ١٧٥ ـ ١٧٦.

٢. ن.م. ج١٠، ص١٧٨.

٣. ن.م. ج١٠، ص٢٠٨.

٤. ن.م. ج١٠، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

٥. ن.م. ج١٠، ص٢٢٨.

الخليفة رضى عنه[1]. غير أن أخباره أنقطعت ومن المحتمل أنه عاد الى الحلّة وبقى الى جانب أخيه.

أما بدران فقد وردت عنه بعض الروايات زمن والده، فقد أرسله صدقة فى سنة ۴۹۸هـ/۱۱۰۴م الى السلطان محمد لإخباره بأن ملكشاه سيطر على بغداد[2]. وكذلک بعثه صدقة على رأس جيش فى سنة ۵۰۰هـ/۱۱۰۶م لحماية حدود بلاده من هجمات خفاجة[3]، وهذا يدل على أنه كان معولاً عليه فى الأمور العسكرية فى زمن والده. ففى حرب صدقة على السلطان كان بدران أيضاً على رأس جيش مع أبيه إلا أنه هرب مع منصور بعد قتل صدقة، ولكنه لم يرجع الى بغداد كما فعل أخوه منصور، بل ذهب الى الأمير مودود الذى أقطعه السلطان الموصل وقد أكرمه هذا الأمير[4]. ويبدو أنه لم يرجع الى الحلّة أبداً فقد بعث لأخيه دبيس بعض الأبيات الشعرية التى يحن فيها الى الوطن[5]. والظاهر أنه كان مرشحاً للإمارة إلا أن تسلم دبيس الإمارة جعله يبتعد عن الحلّة.

أما محمد بن صدقة الملقب بأبى المكارم فإنه توفى سنة ۴۹۳هـ/۱۰۹۹م وكان جواداً ذكياً[6]. ولم ترد معلوماتٍ أخرى عن شخصيته، ثم أن وفاته زمن والده لا تجعل منه شخصية مشهورة.

---

۱. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۳۲.
۲. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۴۴؛ ابن القلانسى: ذيل، ص۱۴۷.
۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۵۷ وما بعدها.
۴. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۷۸.
۵. ابن خلكان: ج۲، ص۳۲. عن ابن المستوفى.
۶. ابن الجوزى: ج۹، ص۱۱۹.

أما دبيس بن صدقة (الذى أصبح الأمير الشرعى للإمارة كما سنرى) فكان مشهوراً أيضاً، فقد أشترک فى فترة والده ببعض الحروب. ففى سنة ۴۹۴هـ/۱۱۰۰م أشترک مع السلطان برکيارق ضد السلطان محمد، غير أنه فارق برکيارق لنقص الميرة[۱]، كما أنه أشترک مع أبيه فى حرب سنة ۵۰۱هـ/۱۱۰۷م ولما قتل أبوه قبض عليه السلطان وأسره مع بعض الأشخاص المؤيدين لصدقة[۲].

فترة دبيس بن صدقة

لقد أورد كل من ابن الجوزى وابن الأثير روايتين تتعلقان بالظروف التى واجهها دبيس بعد مقتل والده صدقة، والروايتان تختلفان فى المعنى والمحتوى. فابن الجوزى يذكر بأن دبيساً بعد الأسر أقسم للسلطان بالإخلاص والولاء فأطلق سراحه، وأن السلطان صادر زوجة صدقة على خمسمائة دينار وجواهر[۳]. بينما يذكر ابن الأثير بأن السلطان أرسل أماناً الى زوجة صدقة التى كانت آنذاک فى البطيحة وأمرها بالمجيء الى بغداد، وأطلق أبنها دبيس من الأسر وبعثه مع جماعة لأستقبالها، ولما جاءت الى بغداد أعتذر لها السلطان عن قتله صدقة، وأستحلف دبيساً ألا يسعى بفساد[۴] أو يقوم بأعمال عدائية ضد السلطان. والشئ الذى ينبغى الإشارة إليه هو أن كلاً من هاتين الروايتين يشير الى موضوع أطلاق دبيس من الأسر،

---

۱. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۱۳.

۲. ابن الجوزى: ج۹، ص۱۵۶ ـ ۱۵۷؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۶۹.

۳. ابن الجوزى: ج۹، ص۱۵۷.

۴. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۶.

إلا أنهما لا يشيران فيما إذا كان هذا يدل على الأعتراف بإمارته أو السماح له بالرجوع الى الحلّة، علماً بأن لفظتى "فحلف ـ دبيس ـ على خلوص النيّة" و "أستحلفه أن لا يسعى بفساد" يؤكدان على ذلک. والحقيقة أن دبيساً لم يرجع الى الحلّة وقد بقى أسيراً عند السلطان محمد من سنة ٥٠١هـ حتى وفاة السلطان فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م. فقد قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥١٢هـ "أن الأمير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده فأحسن إليه وأقطعه إقطاعاً كثيراً"[١]. ويؤكد البندارى قول ابن الأثير حينما وصف حالة دبيس مع السلطان فقال "وكان دبيس راضياً بما هو عليه وأنقضى طموحه فى ملک أبيه"[٢]. لهذا فالذى يبدو أن دبيساً كان الأمير الشرعى لبنى مزيد منذ سنة ٥٠١هـ عندما أستدعى السلطان والدته، وأنه يمكن أعتبار الفترة من ٥٠١ـ٥١٢هـ فترة وجود أمير بلا إمارة فالسلطان محمد بقى محتفظاً بدبيس لأنه لم يكن واثقاً من إخلاصه وربما لأن الحلّة وأملاک المزيديين الأخرى أصبحت فى أيدى موظفى السلطان.

إلا أنه فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م عندما توفى السلطان محمد وملک بعده السلطان محمود الذى خطب له الخليفة فى بغداد أصبحت الفرصة مواتية أمام دبيس بأن يطالب السلطان الجديد بالسماح له بالعودة الى الحلّة. وبالفعل فإن السلطان محمود وافق على طلبه[٣].

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠١.

٢. البندارى: دولة آل سلجوق، ص١١٠ ـ ١١١.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠١؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٥٠؛ ابن الوردى: ج٢، ص٢٤؛ مخطوط المسجد المسبوک، ج١، ورقة ٤٦ (ب).

والراجح أن دبيساً كان يعمل ويخطط لإعادة بناء إمارته طيلة فترة أسره، إذ أنه حينما عاد الى الحلّة أجتمع حوله كثير من العرب والأكراد، فأصبح مركزه قوياً، وأرتفع شأنه وعظمت مكانته[1].

تعتبر فترة حكم دبيس من أطول الفترات فى تاريخ المزيديين وهى تقسم من حيث أهميتها السياسية الى قسمين فالفترة الواقعة بين سنتى ٥٠١ـ٥١٢هـ هى فترة غامضة وخالية من أى تطورات سياسية، فى حين تميزت الفترة الثانية الواقعة بين سنتى ٥١٢ـ٥٣٠هـ/١١١٨ـ١١٣٥م بكثرة التقلبات السياسية. فقد سبق وصف المؤرخين لها قبل حدوثها فلقد قال ابن الجوزى: "ثم نشأ دبيس هذا ففعل القبائح ولقى الناس منه فنون الأذى"[2]. وقال أيضاً فى حوادث سنة ٥١١هـ/١١١٧م وفيها كان "موت المستظهر ثم جرى من الحروب والفتن للمسترشد مع دبيس ابن مزيد"[3].

وتختلف فترة حكم دبيس عن الفترة التى سبقتها، وأعنى بها فترة صدقة، بعدة أمور من الضرورى إجمالها قبل التعرض الى طبيعة علاقة دبيس بالسلطة المركزية. فعلى الرغم مما قام به دبيس من فعاليات سياسية واسعة جداً من أجل إعادة مكانة الإمارة المزيدية التى أصابها كثير من الوهن على أثر مقتل صدقة، وقد أثبت فى بعض هذه النشاطات شجاعة كبيرة، إلا أن شخصيته لم تكن تتسم بالرزانة السياسية التى كان يتمتع بها والده صدقة فلقد كانت أكثر حروبه وحركاته السياسية دون تخطيط سابق ثم أنها جاءت بصورةٍ عامة بنتائج

---

١. أنظر: ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠١؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٨٢.

٢. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٧.

٣. ن.م. ج٩، ص١٩٣.

سلبية كان أثرها بالغاً فى تهديد وحدة الإمارة المزيدية، وقد سبب ذلک الى إضعاف الثورة المزيدية فى منطقة الفرات الأوسط. فدبيس مثلاً لم يعد أميراً يحكم منطقة واسعة بل على العكس فإنه بسبب كثرة الأنتكاسات السياسية فى حروبه فقد السيطرة حتى على الحلّة نفسها. ومن الجدير ذكره أن الحلّة فى أغلب حكم دبيس أصبحت خاضعة للسلطان وتُحكم من قبل موظفين يعينهم السلطان بينما كان دبيس طريداً ومغضوباً عليه من قبل السلطة. يضاف الى ذلک ضعف سيطرته وسيطرة الأمراء الذين أعقبوه على القبائل العربية القاطنة فى المنطقة التى كانت خاضعة لصدقة، فلم يعد دبيس يحمل لقب "ملک العرب" الذى كان يتلقب به صدقة، والمصادر لا تذكر شيئاً عن هذا فيما عدا إشارة واحدة وردت فى كتاب ابن الأثير (التاريخ الباهر)[1]، ولعل ذلک كان فى فترة محددة. وهناک بعض الحوادث تؤيد ما ذهبنا إليه، ففى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م تأخر مسير الحُجّاج تأخراً أشيع بسببه أنقطاع الحج من العراق لذلک سيّر الخليفة الأمير نظر خادم أمير الجيوش لأنقاذ الحجّاج[2] وفى سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م عندما نهبت خفاجة بعض المناطق أرسل السلطان مسعود سرية من الجيش لقتالهم[3].

ومن المظاهر السياسية البارزة التى أمتازت بها فترة حكم دبيس التوسع فى تكوين علاقات مع قوى خارجية. فدبيس نتيجة للفشل المتكرر فى محاولاته بات من المحتم عليه أن يلجأ الى المشاركة مع قوى أخرى وتكوين كتل سياسية خاصة من أجل تحقيق أهدافه.

---

١. ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، ص٤٦.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٧.

٣. ابن الأثير: ج١١، ص٣٤.

وهذا الذى حدث بينه وبين إيلغازى، وبينه وبين الصليبيين، وبينه وبين عماد الدين زنكى كما سيأتى قريباً.

إن بحث التطورات السياسية التى شهدتها فترة حكم دبيس يمكن تناولها فى جانبين يتعلق الجانب الأول منهما بعلاقة دبيس بالسلطان السلجوقى، بينما يتعلق الآخر بعلاقة دبيس بالخليفة العباسى فى بغداد.

حكم السلطان محمد بصورةٍ فعلية دون أن ينازعه أى فرد من الأسرة السلجوقية حوالى ١٣ سنة أى منذ سنة ٤٩٨ـ٥١١هـ/١١٠٥ـ١١١٨م. ولكن بعد وفاته ظهرت من جديد التيارات المتخاصمة فيما بينها. فالسلطان محمد خلال فترة مرضه عيّن أبنه محموداً الذى كان صغيراً خلفاً له. وأول إنشقاق واجهه السلطان محمود هو ثورة عمه سنجر الذى كان ملكاً على خراسان لمدة تقارب عشرين سنة. فالملك سنجر أعتقد بأن ابن أخيه طفل وأن المسيطر الفعلى على الأمور هو وزيره وحاجبه على بن عمر، وقد دفعه ذلك الى أن يقود حملة عسكرية أستطاع فى نتيجتها أن يسيطر على السلطنة فى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، بينما أصبح السلطان محمود تابعاً له. ومنذ ذلك الحين فإن السلطان سنجر أخذ يتمتع بسلطاتٍ واسعة جداً، وأصبح الحاكم الحقيقى للإمبراطورية السلجوقية. لم يكن هذا الإنشقاق ضد سلطة محمود هو الأول والأخير فى فترة حكمه، بل إنه واجه مشاكل أخرى مع أخويه مسعود وطغرل وقد صاحبها كثير من الحروب والفتن.

لم يلعب دبيس أو المزيديون بصورةٍ عامة أى دور مهم خلال الفترة الواقعة من ٥٠١هـ وحتى ٥١٢هـ وهى الفترة التى كان يحكمٍ فيها السلطان محمد، كما قدمنا، بينما نجده بعد

ذلک یلعب دوراً بارزاً فی الحیاة السیاسیة فی العراق آنذاک. وقد أتبع دبیس سیاسة هدف منها الوصول الی مرامیه الخاصة وسیطرته علی المناطق وحصوله علی الأملاک، وکانت تلک السیاسة تقوم علی بث الخلافات بین جمیع الأطراف المتخاصمة، وتوسیع شقة النزاع بینهم. وقد صرّح کل من ابن الجوزی وابن الأثیر بذلک، فقال الأول: "وکان سیف الدولة یعجبه أختلاف السلاطین ویعتقد أنه ما دام الخلاف قائماً بینهم فأمره منتظم"[1]. وذکر ابن الأثیر خلال حدیثه عن دور دبیس فی الصراع بین الملک مسعود والسلطان محمود أن "غرضه أن یختلفوا فینال من الجاه والعلو المنزلة ما ناله أبوه بأختلاف السلاطین"[2] والحقیقة أن دبیساً لم یبتکر مثل هذه السیاسة فقد طبقها عدد من أسلافه قبله إلا أنه أتخذها طریقاً خاصاً ورئیساً فی حیاته السیاسیة.

والظاهر أن علاقة دبیس مع السلطان محمود کانت فی بدایتها حسنة، فمما قاله سبط ابن الجوزی أن أبا القاسم الأنساباذی وزیر السلطان محمود أشار علی السلطان بمنح دبیس ولایة واسط والبصرة بالإضافة الی الحلّة[3]. غیر أننا لا نعرف هل أن السلطان وافق علی ذلک أم لا، ومن الجدیر ذکره أنه سوف نری فی الحوادث المقبلة أن دبیساً کانت له السیطرة علی واسط، وعلی الرغم من عدم تأیید المصادر الأخری المتوافرة لروایة سبط ابن الجوزی هذه، لکن نری صحتها لأسبابٍ أهمها:

---

۱. ابن الجوزی: ج۹، ص۲۱۸.

۲. ابن الأثیر: الباهر، ص۲۲ ـ ۲۳؛ الکامل، ج۱۰، ص۱۱۳؛ ابن القلانسی: ص۲۰۲؛ سبط ابن الجوزی: ج۸، ص۹۰ ـ ۹۱.

۳. سبط ابن الجوزی: ج۸، ص۷۲.

١ـ أن البصرة وواسط كانتا ضمن أملاک صدقة، وأن إعادتهما الى دبيس يتمشى مع السياسة السلجوقية العامة فى محاولتها أبقاء مثل هذه المناطق تحت سيطرة الإمارات العربية الموجودة.

٢ـ أن موافقة السلطان محمود على طلب دبيس بالرجوع الى الحلّة وإعادة تكوين الإمارة المزيدية، ثم فكرة منحه ولاية البصرة وواسط قد تكون ضمن المخطط الذى يهدف إليه وزير السلطان والسلطان نفسه وذلک إرضاءً لدبيس ومحاولة لكسب تأييده ضد الكتل السياسية الأخرى، ككتلة الخليفة على سبيل المثال.

وعلى أية حال فإن هذه العلاقة الحسنة لم تستمر طويلاً، إذ أن دبيساً إنحاز الى جانب الملک سنجر فى نزاعه سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ضد ابن أخيه السلطان محمود. والواقع أن دبيساً قام بعملين كانا فى صالح السلطان سنجر أولهما بعد أن أتضح أنتصار سنجر على السلطان محمود أرسل الى الخليفة المسترشد بالله طالباً منه أن يغير الخطبة الى السلطان سنجر بدلاً من محمود. وعلى حدِّ قول ابن الأثير فإن الخليفة أمتثل لذلک فقطع الخطبة لمحمود فى بغداد[١]. أما العمل الثانى فإن شحنة بغداد، منكوبرس، كان مشتركاً مع السلطان محمود فى حرب ٥١٣هـ المذكورة إلا أنه بعد الهزيمة هرب وعاد الى بغداد ناهباً عدّة مناطق فى طريق خراسان، لذلک سيّر إليه دبيس بن صدقة جيشاً لصده والحدّ من أعتداءاته[٢].. وأرى أن خلاف سنجر ومحمود فى حقيقته لا علاقة مباشرة له بوضعية دبيس

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٩.

٢. ن.م. ج١٠، ص٢١٠.

السياسية، وأنه كان الحرى بدبيس أن يلتزم جانب السلطان محمود بأعتباره الحاكم على العراق فى حين كان سنجر حاكماً على خراسان. لكن الواضح أن دبيساً أراد أن يحبب نفسه للسلطان سنجر الذى كان يتمتع بنفوذ وقوة والذى كان يبعد عن منطقة نفوذ دبيس كثيراً. كما أنه فى الوقت ذاته أراد أن يُظهر مكانته ونفوذه بالنسبة لخليفة بغداد. ولم تذكر المصادر شيئاً عن النتائج التى حصل عليها دبيس من وراء تأييده السابق لسنجر، كما أنها لم تذكر شيئاً عن طبيعة علاقته بالسلطان محمود. ولكننا نرى فى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م دبيساً يلعب دوراً مهماً فى الصراع الذى نشب بين السلطان محمود والملك مسعود، ولقد أختلف كل من ابن الجوزى وابن الأثير فى تبيان دور دبيس فى ذلك النزاع، أما ابن الجوزى فإنه ذكر أن دبيساً لما علم بعصيان مسعود والحروب التى جرت بينه وبين السلطان محمود "أخذ فى أذية بغداد وحبس مال السلطان وورد أهل نهر عيسى ونهر الملك مجفلين الى بغداد بأهاليهم ومواشيهم فزعاً من سيف الدولة لأنه بدأ بالنهب فى أطرافهم وعبر عنان صاحب جيشه فبدأ بالمدائن وقصد بعقوبا وحاصرها ثم أخذها عنوة وسبيت وأفترشت النساء" ثم يستمر ابن الجوزى فيقول بعد أن وصله خبر أندحار مسعود خاف من السلطان محمود فأمر بحرق الأتبان والغلات. وقد بعث إليه الخليفة نقيب الطالبيين محذراً ومنذراً إلا أنه لم يعبأ بذلك. ثم أن السلطان محموداً بعث إليه يخبره برضاه عنه طالباً منه الكف عن أعمال النهب فلم يكترث دبيس أيضاً بل سار نحو بغداد وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة ثم هدد الخليفة قائلاً: "أنكم أستدعيتم السلطان فإن أنتم صرفتموه وإلا فعلت وفعلت" وقد أجاب الخليفة على ذلك بأنه لا يمكن ردّ السلطان إلا أنه سوف يسعى لإصلاح أمره معه ولذلك أنصرف دبيس[١].

ص: ١٥٩

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

غير أنه من رواية ابن الأثير يظهر أن دبيساً كان السبب الرئيسى فى ذلک الصراع فقد كان يكاتب جيوش بک أتابک مسعود ويشجعه على الإنشقاق والمطالبة بالسلطنة للملک مسعود وقد وعده بأنه سوف يقوم بمساعدته. ثم يقول ابن الأثير بأن دبيساً طلب من جيوش بک أن يقبض على البرسقى الذى كان حاكماً على مراغه وكانت بينه وبين دبيس عداوة محكمة، فلما علم البرسقى بذلک فارق مسعوداً وأنضم الى محمود. ويتفق ابن الأثير مع ابن الجوزى بقولهما أن دبيساً عندما سمع بخبر هزيمة مسعود قام بنهب البلاد وخربها، وأرسل إليه السلطان رسولاً ليطيب قلبه فلم يلتفت. ثم ذكر أيضاً قصة مراسلة الخليفة المسترشد بالله مع دبيس، ومسيرة دبيس نحو بغداد وضربه سرادقه بإزاء دار الخلافة، غير أنه يضيف أموراً أخرى لم يذكرها ابن الجوزى كقوله: "وأظهر ـ دبيس ـ الضغائن التى فى نفسه وكيف طيّف برأس أبيه"[1]. وابن الأثير يتفق على أن دبيساً كفّ عن أعماله ورجع الى بلده عندما أخبره الخليفة بأنه سوف يصلح حاله مع السلطان. لذلک فابن الجوزى لا يبين العلاقة بين الصراع الذى نشب بين مسعود ومحمود من جهة وبين دبيس من جهةٍ أخرى كما أنه لم يوضح أن أعمال دبيس فى النهب وتهديد بغداد ما هى إلا فقرة ضمن الخطة التى كان يهدف من ورائها الى قطع خط الرجعة على السلطان محمود، ثم السيطرة على بعض المناطق وأخضاعها لنفوذه... وقد أرتكب دبيس خطأً كبيراً فى إصراره على النهب ومضايقة السلطان محمود وكان الأجدر به أن يتخذ من مراسلة السلطان محمود له والرضى عنه فرصةً لكسب بعض المكاسب، أو أنه يقوم بعمل عسكرى سريع وفعلى للسيطرة على بغداد وعرقلة تقدم السلطان

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

محمود. وتبدو عدم الرزانة السياسية فى تصرفات دبيس أنه لما عاد السلطان محمود الى بغداد أرسل دبيس زوجته ومعها عشرون ألف ديناراً و (١٣) ثلاثة عشر رأساً من الخيل (حسب قول ابن الجوزى) الى السلطان لطلب رضاه. ويُقال بأن السلطان طلب أموالاً أكثر من ذلک، فلما لم يرسل دبيس شيئاً قرر السلطان المسير الى بلاده وأحتلال الحلّة. وقال ابن الأثير بأن السلطان أستصحب معه ألف سفينة ليعبر عليها، فلما علم دبيس بذلک حاول أن يطلب الأمان لكنه فشل، ولذلک ترک الحلّة لتقع بيد السلطان وتوجه الى إيلغازى ملتجئاً. ومن هناک سيّر أخاه منصوراً فى جيشٍ لإسترجاع الحلّة، ويقول ابن الأثير أن منصوراً توجه الى الحلّة والكوفة ثم أنحدر الى البصرة ومن هناک تراسل مع يرنقش الزكوى بإصلاح حال دبيس مع السلطان فلم يتم له ذلک. فأرسل الى أخيه دبيس يعرّفه بالأمر. وتبقى مسألة دبيس وعلاقته بالسلطان غير حسنة الى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م حينما قرر التوجه بنفسه وأحتلال الحلّة، وبعد أستيلائه على الحلّة حاول أيضاً طلب الصلح من السلطان إلا أنه فشل، وقد سيّر إليه السلطان جيشاً لمحاربته. فلم يستطع دبيس المقاومة ولهذا فارق الحلّة. وبعد مراسلاتٍ عديدة أتفق دبيس على أن يرسل أخاه منصوراً الى السلطان رهينة وأن يلتزم بطاعة وولاء السلطان، وبالمقابل تظل الحلّة بيده[1]. ومما ينبغى ذكره فى هذا المجال أن دبيساً قام ببعض الفعاليات السياسية خلال فترة إقامته مع إيلغازى التى دامت حوالى السنتين. فقد

١. أنظر: ابن الجوزى: ج٩، ص٢١٨؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢١٣ ـ ٢١٤؛ ومن المناسب ذكره أن السلاجقة أتبعوا سياسة أخذ الرهائن من أجل السيطرة على الأمراء المحليين وكان هؤلاء الرهائن يقيمون ببلاط السلطان كضمان على عدم قيام أقاربهم بتمردات ضد السلطة.

أشترک مع إيلغازی فی قتال الخزر الذين هجموا على البلاد الإسلامية فی سنة ۵۱۴هـ/۱۱۲۰م[1] ثم أنه خطط مع إيلغازی مشروعاً يقضی بتقديم مبلغاً قدره ۱۰۰ مائة ألف ديناراً من أجل جمع الجيوش وفتح أنطاكية وحلب، على أن يمنح الأولى الى إيلغازی بينما تبقى الثانية له[2]. وسوف نری ـ فيما بعد ـ أثر هذا المشروع فی توجيه سياسة دبيس الخارجية فی مساعدة الصليبيين على السيطرة على حلب.

كانت النكسة التی تعرض لها دبيس فی سنة ۵۱۴هـ ما هی إلا بداية فی سلسلة من الأنتكاسات المتكررة فی الحروب التی جرت بينه وبين الخليفة، كما سنشير إليها فی الصفحات التالية، وكذلک بينه وبين السلطان. ففی سنة ۵۱۷هـ/۱۱۲۳م أصطدم دبيس بالخليفة المسترشد وكانت نتيجة هذا الإصطدام فشله وهربه الى الشام إذ التجأ الى الملک طغرل أخ السلطان محمود. وقد طبق دبيس سياسته الرامية الى إثارة الشقاق بين السلاطين السلاجقة، فحسّن الى طغرل غزو العراق والأستيلاء على السلطنة بدلاً من محمود. كان طغرل فی الحقيقة متهيئاً لمثل هذا المشروع ولكنه ينتظر الفرصة المناسبة، ولذلک فإنه عند مجیء دبيس إليه أستقبله أستقبالاً حافلاً وجعله من أعيان خواصه وأمرائه. وبالفعل فقد تجهز الطرفان فی سنة ۵۱۹هـ/۱۱۲۵م وسارا الى العراق محاولين السيطرة على بغداد. وقد لعب الخليفة دوراً كبيراً فی عرقلة تقدم طغرل ودبيس، كما أن الظروف كانت فی غير مصلحتهما

---

۱. ابن الأثير: ج۱۰، ص۲۱۵؛ ابن القلانسی: ص۲۰۵؛ ابن العديم: زبـدة، ج۲، ص۱۹۹ ــ ۲۰۰؛ الـذهبی: العبـر، ج۴، ص۳۱.

۲. ابن العديم: ج۲، ص۲۰۰.

ففشل المشروع وهرب الملک طغرل ودبيس إذ توجها الى السلطان سنجر ملتجئين إليه. ولم يكتف دبيس بهذه الهزيمة وإنما مثّل نفس الدور السابق مع السلطان سنجر فقد أطمعه بالسيطرة على العراق، كما أنه أدعى بأن هناک تكتلاً بين السلطان محمود والخليفة المسترشد يقضى بالخروج على سلطة السلطان سنجر. وإعتماداً على رواية ابن الجوزى فإن السلطان سنجر رفض هذه المزاعم وأعتقل دبيساً فى قلعة وذلک تقرباً للخليفة. بينما يشير ابن الأثير الى أن السلطان سنجر تشكک فى أمر السلطان محمود ولذلک فإنه أمتثل للمزاعم التى أوردها دبيس وأمر بتجريد حملة عسكرية فى سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م هدفها السيطرة على العراق والقضاء على ذلک التكتل[١]. ولسوء حظ دبيس فإن السلطان سنجر عند وصوله الى الرى أستدعى السلطان محموداً الذى كان مقيماً فى همذان كى يرى صحة أدعاء دبيس. ولما كان الأدعاء باطلاً فإن مشروع دبيس قد باء بالفشل. والأنكى من ذلک فإن السلطان سنجر سلّم دبيساً الى السلطان محمود موصياً بإكرامه وإعادته الى بلده، كما أوصاه أن يسلم إليه الموصل والشام ويعزل عماد الدين زنكى، وأن يسأل الخليفة بالرضى عنه[٢]. وكان السلطان سنجر يهدف من هذه الوصايا الى عدّة أمور منها أنها تتفق والسياسة السلجوقية فى تعاملهم مع الإمارات الموجودة، كما الأهم من ذلک أنه أراد أن يضع دبيساً رقيباً على التطورات التى تحدث فى العراق وبصورةٍ خاصة فيما يتعلق بأحتمال أنتعاش سلطة الخليفة، وتقاربه مع

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص١١٢.

٢. أنظر: ابن الجوزى: ج١٠، ص٩ ـ ٨؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٨؛ أبا الفداء: ج٤، ص١٦١؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٥٠؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٩٨.

السلطان محمود. ومع أن السلطان محمود حاول تنفيذ طلبات عمه، فتقدم الى الخليفة مطالباً إياه بالرضى عن دبيس غير أن الخليفة أمتنع عن الأستجابة الى ذلک، حسب قول ابن الأثير، الى أن قدم دبيس مبلغاً قدره ١٠٠ مائة ألف دينار، وفيما يخص تقليده الموصل فإن الأخبار وصلت الى زنکى، الذى قام بعرض أموالٍ أكثر مما عرضه دبيس. كما أنه حضر بنفسه الى بغداد حاملاً الهدايا الجليلة الأمر الذى جعل السلطان يعيده الى ولايته[١]. وعلى الرغم من قيام السلطان محمود بذلک، إلا أن الذى يبدو أنه لم يكن متحمساً الى أنجاز ما طلبه عمّه، فدبيس لم يحصل على رضى الخليفة أولاً، ثم أنه لم يُقطع ولاية الموصل والشام ثانياً، كما أنه لم يُسمح له بالرجوع الى بلده. ومن المناسب ذكره أن الحلّة كانت آنذاک فى يد بهروز شحنة بغداد[٢]. والظاهر أن دبيساً بقى أسيراً فى يد السلطان محمود حتى سنة ٥٢٣هـ وفى هذه السنة وقعت حادثتان غيّرت من وضعية دبيس لحدٍّ ما، أولهما موت زوجة السلطان محمود التى كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فبموتها يقول ابن الأثير: "أنحل أمر دبيس". أما الثانى فهو مرض السلطان محمود، وقد أستغل دبيس هذا الظرف فهرب من الأسر وجمع أتباعه وقصد الحلّة، فهرب منها بهروز ودخلها دبيس وعاث فى البلاد[٣]، ولكن حملته كانت فاشلة فى نهايتها إذ سيّر الخليفة جيشاً لمحاربته، كما أنه لم يحقق شيئاً مهماً. لقد جلب عمله هذا بنتيجةٍ سلبية وهى زيادة حقد السلطان عليه وأمتناعه عن مصالحته.

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٤٣ ـ ٤٤؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٥٢.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٩.

٣. ن.م.

من كل هذه الأمثلة التى سبق ذكرها نستنتج أن سياسة دبيس الرامية الى توسيع الخلافات بين السلاطين السلاجقة هى سياسة ناجحة الى حدٍّ كبير ولكن كان ينقصها شئ من التخطيط والرزانة السياسية. فالطريقة نفسها قد طبقت بنجاح من قبل عدد من خلفاء هذه الفترة ونجاحها يعود الى شخصية الخليفة بالدرجة الأولى.

إن الأستنتاج المهم الذى يمكن التوصل إليه من خلال دراسة علاقة دبيس بالسلطان السلجوقى هو أن السلطان فى حقيقة الأمر لم يعدّ يشكّل مركز الثقل فى التطورات السياسية للعراق فى هذه الفترة بل أصبح الخليفة العباسى هو مركز الثقل. لقد ذكرنا فى موضوع صدقة بن مزيد أن وضعية الخليفة أخذت تتحسن عمّا كانت عليه فى الفترات السابقة، ولكن وجود صدقة فى المنطقة عرقل مشروع الخليفة فى تكوين كتلة سياسية مستقلة. لذلک فبعد مقتل صدقة أصبح الظرف ملائماً جداً أمام الخليفة فى أن يسترجع سلطته الزمنية بصورة أوسع. ومن حسن حظ الخلافة العباسية أنها فى هذا الدور أنجبت عدداً من الخلفاء الذين تحلّوا بالشجاعة والإصرار على تثبيت مراكزهم وأستعادة نفوذهم السياسى من أمثال المسترشد، والراشد، والمتقى. إن موضوع علاقة السلطان بالخليفة العباسى من المواضيع الطريفة والمهمة جداً وتحتاج الى تفصيلات عديدة غير أننا نرى بأنها خارجة عن مجال موضوعنا الأصلى، إلا أنه مع ذلک لا مندوحة من تقديم نتف قليلة عنها تفيدنا فى تفهم مكانة الخليفة فى كفاحه من أجل إعادة هيبة الخلافة. أعتلى الخليفة المسترشد بالله عرش الخلافة فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م وبقى حتى مقتله فى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، والجدير بالأنتباه هنا أنه فى هذه الفترة بالذات أى بعد وفاة السلطان محمد ظهرت عدة قوى سلجوقية تتنازع السلطنة، وحتى بعد هيمنة السلطان سنجر على الأمور فإن النزاعات كما أسلفنا لم تنته. ومن هذه الثغرة

أستطاع المسترشد أن ينفذ ويبنى كياناً سياسياً قوياً. ومع أن الخليفة أمتثل لأمر السلطان محمود فى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م بأن جعل أخا عثمان بن نظام الملک (وزير السلطان) وزيراً له، فإنه فى سنة ٥١٧هـ/١١٢٤م عزله وأعاد وزيره السابق[١]. وفى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م عندما صمّم السلطان محمود على السير الى بغداد لمحاولة الحدّ من سلطة الخليفة المتزايدة فإن الخليفة حاول أن يؤخر مجيئه متعللاً بعدة أسباب. وحينما رفض السلطان ذلک نرى الخليفة يعدّ جيشاً لملاقاته، وأجتمع له حسبما ذكر ابن الأثير حوالى ٣٠ ثلاثين ألف مقاتل. كما أنه عندما توفى السلطان محمود فى سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م طالب كل من الملک مسعود بن محمد والملک داود بن محمود الخليفة بأن يذكر أسمهما فى الخطبة، إلا أنه أمتنع وقال أن الحكم فى الخطبة يعود الى السلطان سنجر[٢]. والحقيقة أن الخليفة كان يهدف من ذلک إرباک أوضاعهم السياسية وزيادة الشقاق بينهم ثم إرضاء السلطان سنجر الذى كان يقطن فى خراسان بعيداً عن مركز الخلافة. وفى سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م بلغ العداء حدّه الأقصى بين الخليفة والسلطان مسعود، فقطع الخليفة خطبة السلطان مسعود فى بغداد. وبالإضافة الى ذلک فإنه جمع الجيوش وسار بها لمحاربته[٣]. وحينما قتل المسترشد فى تلک السنة بويع لأبنه الراشد بالله، وأشترط عليه السلطان أن لا يتخذ أى عمل معاد لسلطة السلطان. ومع أن الراشد وافق على ذلک إلا أنه خالف هذه الشروط وأخذ يتدخل فى النزاع العائلى بين السلاجقة،

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٤، ٢٤٥؛ Bosworth: The Iranian world, p. ١٢٢.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٣٨٥.

٣. ابن الجوزى: ج١٠، ص٤٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص١٠.

ثم أنه أخيراً فى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م كوّن حلفاً سياسياً مع بعض الأمراء وقاد الجيوش لمحاربة السلطان مسعود[١]. أما الخليفة المقتفى بالله فإنه أصبح المسؤول الفعلى فى العراق وأعاد الى الخلافة الكثير من هيبتها. هذه أمثلة يسيرة توضح تطور قوة الخلفاء، وأستمرار معارضتهم لسيطرة السلاجقة.

إن أنشغال السلطان السلجوقى فى الحروب مع أفراد عائلته من جهة ثم أبتعاده عن بغداد لفترةٍ طويلة من السنة من جهةٍ أخرى مهّدت السبيل الى جعل كتلة الخليفة وكتلة دبيس هما القوتان السياسيتان المتنافستان الرئيستان فى العراق. ومع أن دبيساً حاول فى عددٍ من المرات أن يثور على الخليفة ويقف بصمود لمحاربته إلا أن منزلة الخليفة الدينية والإجتماعية كان لها أثر كبير فى تثبيط عزيمته وإذلاله فى نهاية كل ثورة. فقد كان دبيس فى جميع هذه المحاولات يسأل فى النهاية الأمان والعفو من الخليفة، ويلتمس رضاه إلا أن جواب الخليفة فى جميعها كان الرفض. والأمر الطريف الآخر الذى ينبغى ملاحظته فى هذه المرحلة هو أن فترة ظهور دبيس سياسياً أى بعد أطلاق سراحه وعودته الى بلاده وجمعه الجيوش جاءت مطابقة لفترة أعتلاء الخليفة المسترشد العرش. فالطرفان كانا متحمسين لإستعادة نفوذهما ومصالحهما فى المنطقة، وكان كل منهما يرى أو يشک فى أن الجانب الآخر سوف يمثل حجرة عثرة فى سبيل تحقيق أهدافه.

وأول أشارة الى تضارب مصلحة كل من الخليفة الجديد المسترشد بالله والأمير الجديد دبيس بن صدقة وقعت فى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م عندما بويع المسترشد بالخلافة إذ هرب

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١٥.

أخوه المستظهر، وذهب الى الأمير دبيس بن صدقة فى الحلّة، وبقى عنده ما يقارب السنة حيث أكرمه كثيراً وأنزله فى دار خاصة تسمى دار الذهب، وكان يدخل عليه فى كل يوم ويقبل الأرض بين يديه. ولما علم الخليفة المسترشد بذلک بعث نقيب النقباء أبا القاسم على بن طراد ليتأكد من بيعة دبيس أولاً ثم ليسترجع أخاه ثانياً. فأما دبيس فقد أعطى البيعة، غير أنه لم يرض بإكراه المستظهر على مغادرة الحلّة[1]. ومن هذه الرواية نستطيع القول بعدم مبايعة دبيس لحدٍّ هذا الوقت الخليفة المسترشد. كما أن هناک شيئاً آخراً وهو مقدار الأحترام والكرم الذى أظهره دبيس للمستظهر قد يستدل منه أن فى نيّة دبيس جعل المستظهر وسيلة لتهديد مصالح خليفة بغداد، ومن الممكن كذلک أن يكون دبيس قد أتفق مع المستظهر على مساعدته فى تسلم الخلافة والدليل على هذا أن المسترشد بالله طلب من رسوله أن يأخذ البيعة من دبيس أولاً. وعندما وجد المستظهر أن أخاه أخذ يلحّ فى طلبه هرب من الحلّة مما جعل الموقف يتأزم بين دبيس والخليفة، فبعث المسترشد إليه ابن الأنبارى كاتب الخليفة وقال له: "أن أمير المؤمنين معول عليک فى مبادرته"[2] فكان جواب دبيس: "بالسمع والطاعة وأنفذ صاحب جيشه عنان فى جمع كثير"[3] والسبب فى نقض الأتفاق هو المستظهر لأنه هرب من الحلّة فى الوقت الذى قطع دبيساً عهداً على عدم تسليمه، وبهروبه أصبح دبيس أمام الأمر الواقع فإنه إذا لم يقبض عليه ويسلمه للخليفة، يكون قد جلب عليه

---

۱. أنظر: ابن الجوزى: ج۹، ص۱۹۸؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۲۰۲ ـ ۲۰۳؛ ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص۳۰۲؛ ابن كثير: ج۱۲، ص۱۸۲؛ مخطوط المسجد المسبوک، مجلد ۱، ورقة ۴۷ (أ ـ ب).

۲. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۰۵.

۳. ن.م.

المتاعب مع الخليفة لاسيما وأنه شعر أن الأمل فى جعل المستظهر خليفة ضعيف جداً. ولذلک فضّل دبيس طاعة الخليفة الرسمى، وفعلاً فقد قبض على المستظهر وسلمه الى الخليفة[1] والى جانب هذه الحادثة التى كانت نهايتها فى صالح الطرفين المتنازعين فهناک حادثة أخرى بسيطة فى ظاهرها إلا أنها حساسة وقعت فى السنة ذاتها إذ أضاف الخليفة دار صدقة بن مزيد فى بغداد الى جامع القصر نتيجة لحاجته الأموال. فأتخذ دبيس هذه الخطوة على أنها محاولة لضرب كرامته، فقام بأخذ مشورة الفقهاء فى الحلّة وأفتاهم، فكان جوابهم أنه ليس للخليفة الحق بأخذ الدار ويجب ردّها الى دبيس، لهذا طلب دبيس من الخليفة حقوقه فى الدار. ويترک ابن الجوزى المسألة دون حلّ، إلا أنه يأتى برواية فى نفس الصفحة ليست لها علاقة بالرواية السابقة يقول فيها أن الخليفة خلع على دبيس خلعاً مختلفة كان يوم بعثها مشهوداً[2]، فهل يا ترى أن هذه الهدايا هى تعويض عن الدار التى طالب بها دبيس، أما ابن الأثير فإنه يقول بصراحة أن الخليفة صالح دبيس على مال قدمه للأخير[3].

لا تحدثنا المصادر عن تطور العلاقة بين دبيس والخليفة بعد تلک الحوادث التى سبق ذكرها. والراجح أن الخليفة طيلة هذه الفترة كان يترقب الأحداث السياسية، كما أنه كان يحاول إيجاد قوة عسكرية يستطيع الإعتماد عليها. فتراه مثلاً يقرب أقسنقر البرسقى الذى

---

۱. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۰۵.

۲. ن.م. ج۹، ص۱۹۸ ـ ۱۹۹؛ سبط ابن الجوزى: ج۸، ص۷۲.

۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۲۰۵.

كان شحنة بغداد الذى كانت علاقته جيدة مع أهل بغداد كما صرّح ابن الأثير[1] بذلک. والبرسقى شخصية ملائمة لمثل هذه المهمة فقد كانت بينه وبين دبيس خاصة والمزيديين عامة يصفها ابن الأثير بأنها عداوة محكمة[2]. والظاهر أن سوء العلاقة بين الطرفين يعود الى فترة صدقة، حينما أراد البرسقى الأستيلاء على قلعة تكريت ولكن صاحبها سلمها الى الأمير صدقة ولهذا رجع البرسقى الى بغداد دون أن يحصل على شئ[3]. هذا بالإضافة الى أن تضارب مصالحهما السياسية فى العراق ساعد على زيادة شقة الخلاف بينهما. وأن أول صِدام عسكرى بين دبيس والبرسقى وقع فى سنة ٥١٢هـ، ولم يذكر بن الأثير سبب هذا وأكتفى بقوله أن البرسقى تجهز فى هذه السنة "وأظهر أنه على قصد الحلّة وإجلاء دبيس ابن صدقة عنها"[4]. ثم تطورت المعركة فشملت عناصر أخرى جديدة أمثال الملک مسعود ومنكبرس حيث ألتزم الأول جانب البرسقى بينما وقف الثانى الى جانب دبيس. ولقد أنتهت هذه المعركة بالصلح بين الطرفين. إلا أن الخليفة خسر حليفاً مهماً وهو البرسقى الذى تشتت عنه جماعته ولذا أضطر الى أن يترک بغداد ويلتحق بالملک مسعود بينما سلمت شحنكية بغداد الى منكبرس وهو من أكابر الأمراء الذين كانوا مع السلطان محمود[5]. وكان منكبرس هذا على علاقة حسنة مع دبيس وهو الذى وقف الى جانبه فى نزاعه مع البرسقى السابق ذكره. إن محاولة البرسقى قد تكون عملاً مباشراً من أعمال الخليفة للتخلص من دبيس والقضاء على نفوذه فى المنطقة.

---

١. ن.م.
٢. ن.م. ج١٠، ص٢١٣.
٣. ن.م. ج١٠، ص١٥٧.
٤. ن.م. ج١٠، ص٢٠٣.
٥. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٣ ـ ٢٠٥.

والشئ الذى يجب ملاحظته هنا هو أن الخليفة منذ الحادثة السابقة وحتى مقتله أخذ يقف موقفاً سلبياً من دبيس وأعماله. ففى سنة ٥١٤هـ حينما فشلت محاولة دبيس وأضطراره الى الهرب والإلتجاء بإيلغازى، كما سبق ذكره، طلب الخليفة من إيلغازى أن يبعده وأن يفسخ العقد الذى كان بينه وبين دبيس[١]. وفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م أستطاع الخليفة بذكاءٍ أن يسترجع حليفه البرسقى الى بغداد، فابن الجوزى وابن الأثير يقولان بأن السلطان محمود وافق على عودة دبيس من إيلغازى الى الحلّة، إلا أن الخليفة رفض ذلك وطالب السلطان بإبعاد دبيس عن العراق. وكما مرّ بنا سابقاً فإن السلطان حاول الإستفادة من بقاء دبيس كرصيد لأعمال وتوسعات الخليفة، لهذا لم يعر السلطان أى أنتباه الى طلب الخليفة. وحدث فى السنة المذكورة أن السلطان أراد الخروج من بغداد الى همذان، لذلك وجد الخليفة أنه سيبقى وحيداً ووجهاً لوجه أمام دبيس فحاول فى بداية الأمر عرقلة مغادرة السلطان متعللاً بأن لدبيس أحقاداً وأنه لا يأمن جانبه وطالب منه البقاء. ولكن السلطان رفض طلبه وذلك لأن بقاء الجيش مدة أطول فى بغداد يحتاج الى أموال كثيرة. وهنا طلب الخليفة من السلطان أن يستدعى البرسقى ويمنحه شحنكية بغداد، ففعل السلطان. وبخروج السلطان من بغداد أراد الخليفة المبادرة لضرب دبيس، ففوض البرسقى مرة ثانية مهمة محاربة دبيس. والظاهر أن دبيساً كان على علم بالخطة، فلم يؤخذ على حين غرة وكان متهيئاً، فوقعت الحرب بينهما وأنتصر فيها دبيس. إلا أنه على الرغم من أنتصاره فهو لم

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٢٧.

يحاول القبض على البرسقى أو القيام بأعمال تخريبية فى المنطقة، فمما يقوله ابن الجوزى: "وأما دبيس فإنه لم يعرض لنهر الملک ولا غيره"[1]. يُضاف الى ذلک أن دبيساً أرسل الى الخليفة رسولاً مظهراً طاعته وطالباً منه أن يُرسل ناظر الخراج الى القرى الخاصة بالخليفة فى منطقة الفرات الأوسط لجمع دخلها، وبذلک أستقرت الأحوال بينهما. وبينما لم يذكر ابن الأثير أية شروط أفترضها دبيس على الخليفة بعد أنتصاره فى تلک المعركة، فإن ابن الجوزى يسرد عدداً من تلک الشروط منها: إخراج البرسقى عن بغداد، وتبديل الوزير الذى كان عدواً لدبيس، والتوسط عند السلطان فى سبيل أطلاق سراح منصور أخى دبيس من الأسر[2] (فقد كان رهينة عند السلطان محمود). ومع أن الخليفة وافق على تلک الطلبات إلا أنه حسبما يبدو لم يلبها، كما أن دبيساً علم بأن السلطان محمود ضيّق على منصور وعذبه ثم نفاه الى قلعة برحين حينما سمع بالواقعة السابقة. كل هذه الأمور كانت أسباباً غير مباشرة لإعلان دبيس الثورة على الخليفة فى سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، وقد ذكر ابن الأثير قسماً من هذه الأسباب. إلا أن السبب المباشر هو كما نقله كل من المؤرخين السابقين هو أن دبيساً أرسل بعض أصحابه لجمع الدخل من أملاكه فى واسط، وقد منع الأتراک فى واسط أصحاب دبيس من دخول المدينة لذلک جهّز دبيس حملة عسكرية وطلب من صاحب البطيحة بأن يتوجه لمساعدته. ولما لم يكن بمقدور أهل واسط الثبات فى وجه هذه الجيوش

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٣.

٢. عن هذه المعركة أنظر: ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٨؛ ابن القلانسى: ص٢٠٦؛ ابن واصل: مفرج، ج١، ص٣٠؛ أبا شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، ج١، ص٢٩.

فإنهم طلبوا من الخليفة العون، فأرسل إليهم البرسقى من بغداد. وكانت المعركة ضارية، قاد جيش بغداد الخليفة نفسه، وقد أنتهت[1] بفشل دبيس وهزيمته. وتقول الرواية أنه بعد هربه قصد قبيلة بنى غزيه ـ من عرب نجد ـ وأراد التحالف معهم على الهجوم على العراق. ولكن بنى غزيه رفضوا ذلک لبعدهم فى النسب أولاً، ولأنهم لا يريدون معاداة الخليفة ثانياً. ثم أتجه بعد ذلک الى بنى المنتفق الذين كانوا بقرب البصرة وأتفق معهم، فقاموا بنهب البصرة وقتلوا مقدم عسكرها. ولما علم الخليفة بذلک عاتب البرسقى لإهماله أمر دبيس، وأمره بأن يتقدم الى البصرة لدفع دبيس[2] عنها. وقد وصلت أخبار هذه الحملة دبيساً، فترک البصرة وذهب الى قلعة جعبر حيث لجأ الى إيلغازى مرةً أخرى. من أهم النتائج التى حصل عليها الخليفة بعد أنتصاره فى المعركة السابقة هى القضاء على نفوذ دبيس السياسى فى المنطقة والسيطرة على أملاكه، وأهم من ذلک رفع معنوياته ومكانته. أما دبيس فالظاهر أنه بعد فشله وتشتت قوته فى العراق صرف أهتمامه فى الحصول على بعض المكاسب فى الشام، لاسيما وأن الظروف آنذاک كانت متهيئة لمثل ذلک. ومن المناسب إعادة ما قلناه سابقاً وهو أن دبيساً سبق أن أتفق مع إيلغازى فى سنة ٥١٥هـ على الأستيلاء على أنطاكية وحلب، والراجح أنه بعد التجائه الى إيلغازى حاولا إعادة تنفيذ المشروع السابق. وقد قام دبيس

---

١. عن هذه المعركة أنظر: ابن الجوزى: ج٩، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣١ ـ ٢٣٢؛ ابن القلانسى: ص٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ مخطوط تاريخ دولة عباسية، ورقة ١١٣ (أ ـ ب)؛ أبا الفداء: م١، ج٤، ص١٥٧؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٥٣؛ Grousset: Histoire, vol. I,p. ٥٢٧. Levy An introduction of the sociology of Islam (١٩٣٣) vol. ١١ p. ٣٠٥.

٢. ابـن الجـوزى: ج٩، ص٢٤٥؛ ابـن الأثيـر: ج١٠، ص٢٣٢؛ ينظـر أيضـاً: Karabacek, Beitrage zur geschichte der Mazjaditen (Leipzig Vienng ١٨٧٤).

بعملين مهمين قصد منهما تهيأة عوامل الغزو، فقام بالتفاوض مع الصليبيين فى سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م وبصورةٍ رئيسية مع بلدوين Baldwin حول الأستيلاء على حلب. وفى الوقت ذاته فإنه أستغل شيعيته فى محاولة كسب تأييد الشيعة[١] فى حلب، ودخل فى مراسلات معهم من اجل ذلک. وفى حلب نفسها كان الوضع السياسى ضعيفاً، فإن حاكمها مثلاً بعد أن علم بالخطة قرر التخلى عن المدينة، تاركاّ إياها بيد الجند الأتراک. وقد قام دبيس والصليبيون بمحاصرة المدينة ومقاتلة أهلها والجند الأتراک. وقد طال الحصار والمناوشات بين الطرفين، والظاهر أن الشيعة فى حلب لم يقدموا أية مساعدة لدبيس. إن شدة مقاومة أهل حلب من جهة ثم أستنجادهم بالبرسقى من جهةٍ أخرى أحبط خطط دبيس والفرنج الذين قرروا فى النهاية رفع الحصار عند أقتراب البرسقى. لقد أعتبر بعض المؤرخين تحالف دبيس مع الصليبيين عملاً شائناً، فى حين أعتبره سعيد عاشور محاولة لرفع المعنوية العربية ضد أتراک بغداد الذين تسلطوا على العرب وأرضهم[٢] وفى الحقيقة أن دبيساً لم يكن الشخص الوحيد الذى دخل فى مساومات سياسية مع الصليبيين، وأن هناک عدداً من رؤساء القبائل وبعض الحكام قد فعلوا مثل ذلک. وأعتقد أن توجه دبيس نحو الصليبيين هو نتيجة مباشرة للوضع الذى كان يعيشه فى ذلک الحين، وهو أيضاً قد يكون محاولة موجهة الغرض منها أرباک سلطة بغداد.

---

١. Gibb: 'Zengi and the fall of Edessa' in A History of the Crusades, p. ٤٥٣ .

٢. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص١١٥؛ ينظر أيضاً: Bosworth, C.E.: in Cambridge History of Iran عن علاقة دبيس بالصليبيين ١٢١ ,١١٥ ,١٠٨ vol. v.ps؛ idem the Islamic dynasties p. ٥١.

توجه دبيس بعد أن فضّل فى الأستيلاء على حلب الى الملک طغرل بن السلطان محمد، وقد شجعه على تجريد حملة عسكرية فى سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م القصد منها محاربة الخليفة ودخول بغداد. والأمر الذى ينبغى ذكره فى هذا المجال هو أن كتلة الخليفة السياسية مع البرسقى قد أنقسمت منذ سنة ٥١٨هـ، وتقول الرواية أن الخليفة هو الذى نفر من البرسقى وأرسل الى السلطان محمود طلباً يلتمس عزله. فعزله السلطان وعيّن سعد الدولة يرنقش الزكوى شحنة على بغداد بدلاً عنه[١]. ومن الممكن القول أن الخليفة أخذ يخشى نفوذ البرسقى المتزايد فى أن يصبح دبيساً ثانياً فى المنطقة فعزم على ضربه، كما أن دبيساً حاول أستغلال هذا الإنشقاق فى حملته هذه. أما فيما يتعلق بالحملة فإنه حينما وصل خبرها الخليفة جهّز العساكر لمواجهتها، ويُقال أنه أستطاع أن يجمع حوالى ١٢ أثنى عشر ألف محارباً عدا ما جنّده من أهالى بغداد. وهى المرة الثانية التى خرج فيها الخليفة المسترشد بالله لقتال دبيس، وكان دبيس فى هذه المرة جدياً فى الحرب، فقد وضعا، هو والملک، خطة لدخول بغداد ليلاً ونهبها. فعبر دبيس نهر ديالى وأشرف على العاصمة، إلا أن الملک طغرل تأخر قليلاً فى الطريق، بينما وصل جيش الخليفة الى ديالى[٢]. ولما رأى دبيس ذلک خاف الخليفة فقابله وقبّل الأرض بين يديه ليعفو عنه قائلاً: "أنا العبد المطرود فليعف أمير المؤمنين عن عبده"[٣]

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٦.

٢. أنظر: ابن الجوزى: ج٩، ص٢٤٩، ٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص١١٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٤٤؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٩٤.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٩؛ Levy: A Baghdad Chronicle, pp. ٢١٤ـ٢١٥ .

وأراد الخليفة مصالحته إلا أن الوزير ابن صدقة، الذى كان يكره دبيساً، منعه ولذلک أضطر دبيس الى الهرب والإلتحاق بطغرل[1]. ولقد ذكرنا سابقاً كيف أنهما التجأ الى السلطان سنجر فى خراسان. لقد ظل دبيس مع السلطان سنجر طريداً عن بلده وأفراد قبيلته، الى أن سلمه الى السلطان محمود طالباً منه أن يتوسط فى أمره عند الخليفة، ولكن الأخير أصرّ على رفض ذلک[2].

إن أصرار الخليفة فى عدم فسح المجال أمام دبيس أن يستعيد نفوذه ومكانته السياسية فى الفرات الأوسط، أمر تحتمه طبيعة ظروف الخليفة، فهو الآن المتنفذ الوحيد فى شؤون العراق وعلى الرغم من أنه كان يحتاج الى حليف سياسى كى يعلن خروجه على السلطان السلجوقى إلا أن ذلک الحليف لم يكن بأى حال من الأحوال دبيساً لسببٍ بسيط هو عدم ثقته به. وفى الوقت الذى كان فيه الخليفة مصراً على معاداته لدبيس، فإنٍ دبيساً من جهةٍ أخرى أستمر على القيام بتصرفاتٍ غير متزنة فنراه يبحث بإستمرار عن حليف يستطيعٍ بمساعدته أرباک سلطة الخليفة، ولذلک فقد كان يقوم بعدّة غارات على المناطق الآمنة. وهذا ما حدث فى سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م عندما أستغل دبيس مرض السلطان محمود فجمع جماعته وسار الى الحلّة فإستولى عليها. ثم أرسل إليه السلطان جيشاً لمحاربته، فلما شعر

---

١. ن.م.

٢. أنظر: ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٩.

بخطورة الموقف طلب الصلح من الخليفة، ولكن الأخير لم يجبه، الأمر الذى دفع دبيساً الى الهروب من الحلّة ودخوله البصرة. وقد قام بنهب البصرة ونهب الأموال الخاصة بالخليفة والسلطان، فلما علم السلطان بذلک سيّر خلفه جيشاً مكوناً من ١٠ عشرة آلاف فارساً، إلا أن دبيساً فارق البصرة ودخل البرية[١] (الصحراء).

ليست هناک معلومات عن حالة دبيس بعد هروبه من البصرة وحتى سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، وفى هذه السنة حدث تطور جديد فى قصة نشاطات دبيس السياسية. فيحدثنا عدد من المؤرخين على أنه بينما كان دبيساً فى البرية وصله خبر بأن صاحب قلعة صرخد قد مات وترک جارية وقد سيطرت هذه الجارية على القلعة. وهى تطلب الزواج من دبيس ليقوّى أمرها فى القلعة، وأنها ستقدم القلعة لمن يتزوجها ليحكمها، لاسيما وأنه قد وصف لها قوة دبيس وكثرة عشيرته. أما دبيس فإنه لم يترک هذه المناسبة تفلت من يده فلبى الدعوة وسار لتسلم قلعة صرخد، ولكنه لسوء حظه لم يصل القلعة إذ أنه ضلّ الطريق فأسر. وفى قصة ذهابه الى القلعة وأسره عدّة روايات، فبالنسبة لأبن الجوزى يذكر أن دبيساً ضلّ الطريق فقبض عليه فى حلّة حسان بن مكتوم الكلبى من أعمال دمشق[٢]. ويروى ابن الأثير أن الأدلاء الذين كانوا مع دبيس ضلوا بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب يقطنون

شرقى الغوطة فأسروه[٣]. أما بالنسبة للمؤرخ السورى ابن العديم فإنه يقدم بضعة روايات مختلفة عن الحادثة منها أن دبيساً ضلّ الطريق فنزل على مكتوم بن حسان[١]، وقيل أنه ضلّ

---

١. ابن الجوزى: ج١٠، ص١٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠؛ ابن واصل: ج١، ص٤٣ ـ ٤٤؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٦١؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٥٢.

٢. ابن الجوزى: ج١٠، ص٢٠.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٤.

الطريق لأنه لم يكن معه دليل يعرف بالمناهل، وقيل أنه حصل فى حلّة حسّان كالمنقطع الوحيد فى نفر يسير من أصحابه[٢]. وفى الحقيقة أن جميع هذه الروايات تتفق على أن دبيساً سار الى صاحبة القلعة ولكنه ضلّ الطريق فكانت نهايته أن أصبح أسيراً عند صاحب دمشق بعد أن علم بوجوده عند بنى كلب[٣]. ولما كان دبيس مطلوباً من قبل الخليفة والسلطان السلجوقى لمخالفاته فإن صاحب دمشق فكّر فى أن يسلمه الى الخليفة كى يحصل على مكانة لائقة عند الأخير. ولكن عماد الدين زنكى صاحب الموصل عندما سمع بخبر دبيس أرسل الى صاحب دمشق من يقنعه ببيع دبيس بخمسين ألف دينار، حسبما ذكره ابن الجوزى. ويظهر أن العلاقة بين عماد الدين ودبيس لم تكن جيدة إذ يقول ابن الجوزى أن عماد الدين كان عدو دبيس وأن الأخير عندما علم بأمر بيعه الى عماد الدين ظنّ أنه سيهلكه[٤]. ويقول ابن الأثير أن دبيساً كان كثيراً "ما يقع به ـ عماد الدين ـ فينال منه"[٥] ومن الممكن أن تكون لهذه العداوة علاقة بما سبق ذكره حينما حاول السلطان محمود أن يقطع الموصل والشام الى دبيس بدلاً من عماد الدين. ومع كل هذا فإن مخاوف دبيس قد تبددت

---

١. ابن العديم: زبدة، ج٢، ص٢٤٨. ويبدو أن ابن العديم يقصد به حسان بن مكتوم.

٢. ن.م.

٣. ن.م.

٤. ابن الجوزى: ج١٠، ص٢٠.

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

فقد أستقبله عماد الدين أستقبالاً حافلاً، وقدّم له ما يحتاجه من الأموال والهدايا. والأكثر من هذا أنه لما علم الخليفة بوجود دبيس عند صاحب دمشق أرسل سديد الدولة ابن الأنبارى لتسلمه إلا أن عماد الدين قبض على الرسول وسجنه[1]. لم ترد هناك أية إشارة توضح الدافع الرئيسى الذى دفع بزنكى أن يقوم بهذا العمل فى الوقت الذى كان دبيس عدواً له، أهو من قبيل الإحسان؟ أم أنها محاولة لكسب تأييد دبيس وتكوين كتلة سياسية جديدة. والذى يبدو أن زنكياً كان ينوى الإعتماد على دبيس فى مجابهة سلطة بغداد، فأراد الأعتماد على دبيس الذى لا زال يمتلك أنصاراً وقبيلة مشهورة. وهذا ما حدث فى سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م فقد أستغل كل من زنكى ودبيس فترة أنشغال الخليفة مع السلطان مسعود فى حربهما ضد السلطان سنجر، فسيّرا جيشاً من الموصل بلغ عدده سبعة آلاف فارساً بعدّة كاملة، ويقول ابن الجوزى وابن الأثير أن السلطان سنجر قد كاتبهما وشجعهما على الهجوم على بغداد. ولما علم الخليفة بذلك أسرع عائداً مع عسكره الى العاصمة وأستطاع أحباط خطة المتحالفين فأضطر زنكى الى أن يهرب الى تكريت بينما هرب دبيس الى منطقة الفرات الأوسط[2] ولم يكتف دبيس بهذه الهزيمة بل أنه جمع أفراد قبيلته وأستطاع أن يقوم بهجوم ناجح على الحلّة التى كانت تحت سلطة موظف السلطان إقبال المسترشدى. وكانت فترة

---

١. أنظر عن علاقة دبيس بزنكى: ابن الجوزى: ج١٠، ص٢٠؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٥. مخطوط المسجد المسبوك، مجلد ٢، ورقة ٥١ (أ).

٢. أنظر: ابن الجوزى: ج١٠، ص٢٥ ـ ٢٦؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٩؛ ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ص٣٥٣؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٦٧؛ ابن كثير: ج١٢، ص٢٠٣.

أحتلاله للحلّة قصيرة، إذ أن الخليفة سارع بإرسال نجدة لمساعدة إقبال مما أدى الى أندحار دبيس وهزيمته الى آجمة قريبة من الحلّة وظل هناك أياماً بدون طعام[1]. ويذكر ابن الأثير أن دبيساً أستطاع أن يخرج من مكان أستتاره وأن يجمع جمعاً ويقصد واسطاً ولكنه فشل أيضاً فى الأستيلاء عليها[2]. ويبدو أنه بعد ذلک دخل فى مفاوضات صلح مع السلطان مسعود. ولأول مرة يوافق السلطان على طلبه.

تعدّ موافقة السلطان مسعود على الصلح مع دبيس حدثاً سياسياً جديداً ولا شک أن السبب المباشر الى مثل هذا التحول هو النشاطات العسكرية الواسعة التى كان يمارسها الخليفة التى أخذت تهدد مصالح السلطان نفسه فى العراق. ففى سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م قاد الخليفة بنفسه جيشاً جراراً هادفاً الى أخذ ثأره فى محاربة عماد الدين زنكى والاستيلاء على الموصل. وقد يكون الخليفة شعر بأن نفوذ عماد الدين أصبح فى تزايد وأنه أراد القضاء عليه من قبل أن يستفحل خطره. وبينما كان يحاصر الموصل إذ ورد خبر مفاده أن السلطان مسعوداً سار نحو بغداد كما أنه صالح دبيساً وخلع عليه، ولذلک سارع على الفور بالعودة الى بغداد[3] محاولاً عرقلة التكتل الجديد ضده. ولقد أستمر نحالف السلطان مسعود ودبيس فنرى الأخير يلعب دوراً عسكرياً كبيراً فى الحرب التى وقعت بين السلطان مسعود والخليفة فى

سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م. ويصرّح كل من ابن الجوزى وابن الأثير عن السبب الذى دفع دبيساً أن يقوم بذلک فيقولان أن جماعة من الأمراء وبضمنهم دبيس طلبوا من الخليفة أن

---

١. ابن الجوزى: ج١٠، ص٢٧؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٩؛ ابن العديم: ج٢، ص٢٥١؛ وقد قال أن دبيساً رجع الى السلطان سنجر وبذلک يخالف قول كل من ابن الجوزى وابن الأثير. أنظر أيضاً: أبا الفداء: م٢، ج٥، ص١٢؛ ابن الوردى: ج٢، ص٢٣٨.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٩.

٣. ابن الجوزى: ج١٠، ص٣٠؛ الذهبى: دول، ج٢، ص٣٤؛ ابن كثير: ج١٢، ص٢٠٤.

يعطيهم الأمان فيقوموا بخدمته ضد السلطان، غير أن الخليفة أعتبر ذلک مکيدة لأن دبيساً معهم، وأخيراً وافق الخليفة على إرسال رسوله ابن الأنبارى إليهم بينما أتفق أولئک الأمراء بينهم على القبض على دبيس وتسليمه للخليفة، فلما عرف دبيس ذلک هرب وألتحق بالسلطان مسعود. ولهذا نجد مشاركته مع السلطان كانت مشاركة فعّالة. كانت نتيجة هذه المعركة فى غير صالح الخليفة حيث تركه عدد من الأمراء، ولم يستطع الصمود أمام جيش السلطان مسعود فوقع أسيراً[1]، ويقال أنه فى فترة أسره عمل السلطان على مصالحته مع دبيس[2]. ولكن هذا الرضى لم يستمر طويلاً إذ أن الخليفة قد قتل بعد مدة وجيزة، وقيل أن جماعة من الإسماعيلية قتلته، وقيل أن قتله كان بأمر من السلطان مسعود[3]، وهذا الرأى يبدو أكثر صحة. ومن المصادفات التاريخية الطريفة أن يكون دبيس قد قُتل أيضاً فى نفس السنة التى قُتل فيها الخليفة المسترشد. وأكاد أتفق مع قول ابن الأثير حينما قال عن مقتل دبيس بأنه: "لم يكن يعلم أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدّة لمقارنة المسترشد فلما

---

١. ابن الجوزى: ج١٠، ص٤٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص١٠.

٢. ابن الجوزى: ج١٠، ص٤٧ ـ ٤٨؛ مخطوط المسجد المسبوک: مجلد ٢، ورقة ٥٣ (أ).

٣. أنظر: ابن الأثير: ج١١، ص١١؛ ابن العديم: زبدة، ج٢، ص٢٥٠؛ الذهبى: دول، ج٢، ص٣٥.

زال السبب زال المسبب"[1]. وعلى الرغم من أن هناك عدّة روايات عن قتل دبيس والمكان الذى قُتل فيه[2]، إلا أن أغلبها أتفق على أن السلطان مسعوداً بعث أحد غلمانه فقتله، وقد فعل ذلک تغطيةً لقتله الخليفة أولاً، ثم محاولة للتخلص منه ثانياً.

لقد وصف بعض المؤرخين وكُتّاب التراجم دبيساً بأنه كان كريماً وشجاعاً[3] وكانت له هواية أدبية فذكر بعضهم أن له شعراً[4]. وقد مدحه عدّة شعراء منهم حيّص بيص الذى نظّم عدّة قصائد[5] فى ذلک. ومنهم أيضاً زايدة بن نعيم المعروف بالمحفف القشيرى[6]، كما ذكره أبو

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١٢.

٢. أنظر عن ذلک: ابن الجوزى: ج١٠، ص٥٢ ـ ٥٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص١٢؛ الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص١٠٨؛ وقال البندارى (ص١٦٣ ـ ١٦٤) أن السلطان مسعوداً قتله بمراغة بعد أن قبحت سمعته. ابن القلانسى: ص٢٥١ ـ ٢٥٢؛ ابن العديم: ج٢، ص٢٥٠؛ أما سبط ابن الجوزى (عن العماد الأصبهانى) فإنه قال: قتل بمراغة، ج٨، ص١٥٥؛ وفى مخطوط ميافارقين [ورقات ١١١ (ب)، ١٣٣ (ب)] فقد قال المؤلف أنه قتل بباب تبريز. وذكر ابن خلكان (عن التاريخ المأمونى) أنه قتل عند باب خورى، ج٢، ص٤٠؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٧٨؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٢٠ ـ ٦٢١.

٣. ابن خلكان: ج٢، ص٣١؛ العماد الحنبلى: شذرات، ج٤، ص٩٠ ـ ٩١.

٤. وقد ذكر ابن خلكان عن ابن المستوفى فى تاريخ أربل بعض الأشعار المتبادلة بين دبيس وأخيه بدران منها:

ألا قُـــل لبـــدران الـــذى حـــنّ نازعـــاً الـــى أرضـــه والحـــر لـــيس يخيـــبُ

٥. العماد الأصبهانى: خريدة القصر (قسم العراق)، ج١، صفحات ٢٢٤، ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ٣٣٦ ـ ٣٣٧، ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

٦. ياقوت: الأدباء، ج٢، ص١١.

محمد الحريرى صاحب المقامات فى مقامته التاسعة والثلاثين (المقامات العُمانية)[1] وقد خلع عليه دبيس كثير من الهدايا والجوائز[2]. والواقع أن صلته بالأدباء والشعراء كان دافعها الأول الحصول على الشهرة، فالرجل كان كريماً ولهذا نجد إقبال الشعراء والأدباء على مدحه، وقد يكون السبب سياسياً لمنافسته سلطة بغداد الخليفة والسلطان فإنه أراد إظهار عظمته وكرمه كما كان هناك شعراء يمدحون الخليفة والسلطان.

نهاية المزيديين

لم يكن مقتل دبيس ضربة قاضية للإمارة المزيدية ودورها فى المنطقة فحسب بل وكان أيضاً ضربة مباشرة لوحدة الإمارة المزيدية. فبينما كانت فترة حكم كل من صدقة ودبيس من أكثر الفترات فعالية ونشاطاً من حيث تثبيت أركان الإمارة وتوسيع علاقاتها الخارجية حتى أن سلطة بغداد أخذت تخشى نفوذ أمرائها، ساد الفترة التى أعقبت مقتل دبيس غموضاً كبيراً، وضعف الدور الذى لعبته تلك الإمارة. صحيح أنه خلال حكم دبيس حدثت عدّة أنتكاسات للمزيديين فخسروا كثيراً من المناطق التى كانوا قد ملكوها سابقاً، إلا أنه فى الفترة الأولى من حياته السياسية كان مسيطراً على منطقة واسعة كالحلّة وواسط والبطائح.

ولم ترد معلومات كثيرة عن الإمارة المزيدية طيلة الفترة الواقعة بين سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م حتى ٥٤٠هـ/١١٤٥م. ويبدو من رواية أوردها ابن الأثير فى أحداث سنة ٥٣٠هـ أن صدقة

---

١. الحريرى: مقامات، ج٢، ص٥٠٦.

٢. الشريشى: شرح المقامات، ج٤، ص٢٩ ـ ٣٠.

بن دبيس هو الأمير الذى عُيّن على الإمارة المزيدية بعد مقتل والده دبيس[1]. ومن هذه الرواية يتبين أيضاً أن صدقة كان صغيراً وأن عنتر بن أبى العسكر الجاوانى كان يدبر أمره[2] (أى كان كالأتابک بالنسبة لصدقة الثانى)، ونتيجة لهذا العامل، عامل السن، فإنه لم يكن لصدقة الثانى أى خط سياسى واضح وأن عنتراً كان المسيّر الرئيسى. فنرى أسم صدقة وعنتر مثلاً ضمن قائمة أسماء الأمراء الذين أتفقوا مع الخليفة الراشد ضد السلطان مسعود[3]، ولكن أسمه يختفى عندما أندلعت الحرب بين الطرفين المتخاصمين، ولا نعرف الدور الذى لعبه. ويبدو أنه بعد أندحار جبهة الخليفة قام السلطان بأسر عدد من الأمراء المشاركين معه وأن صدقة كان من بينهم، إذ يظهر أسمه فى سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م وأنه كان مع السلطان مسعود. والمهم هنا هو أن السلطان أراد كسب تأييد صدقة فزوجه أبنته وسمح له بالرجوع الى الحلّة[4].

وكان لهذه الرابطة أهمية كبيرة فنرى الأمير صدقة وأتابكه عنتراً يقفان الى جانب السلطان مسعود ضد التكتل الخطير الذى قام بين ملوک الأطراف والملک داود بن السلطان محمود الذى كان يهدف الى خلع السلطان مسعود وإعادة الخليفة الراشد (وقد سبق أن خلعه السلطان مسعود وجاء بالمقتفى بدله). فلما نشبت الحرب كان النصر أولاً بجانب السلطان مسعود، إذ أستطاع أن يقبض على بعض الأمراء الموالين للخليفة الراشد ويقتلهم، ولكن الآية أنقلبت حين أعاد أمراء آخرون الكرة فى الهجوم فى الوقت الذى كان فيه أنصار السلطان

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١٥.

٢. ن.م.

٣. ابن الأثير: ج١١، ص١٥.

٤. ن.م. ج١١، ص١٩.

مسعود منشغلين بالنهب. وقد أفلح قائد الحملة يوازبه فى أن يقبض على بعض الأمراء المؤيدين للسلطان مسعود الذين أشتركوا معه فى الحرب وأن يقتلهم. وكان الأمير صدقة بن دبيس وأتابكه عنتر بن أبى العسكر[1] من بين أولئک الأمراء. وبذلک تنتهى أخبار الأمير صدقة الثانى ولم ترد أخبار أخرى عن الأعمال التى قام بها خاصةً وأن فترة إمارته كانت قصيرة جداً لم تتجاوز الثلاث سنين. ويذكر ابن الأثير أن السلطان مسعوداً أقر الحلّة لأخيه محمد بن دبيس وجعل مهلهل بن أبى العسكر أخا عنتر أتابكه والمدبر لأموره[2]. إلا أن أخبار هذا الأمير تنقطع بصورة مفاجئة، فلم نسمع عن فعالياته ومكانته منذ تلک السنة وحتى سنة ٥٤٠هـ وفى هذه السنة ذكر عدد من المؤرخين أن حرباً جرت بين على بن دبيس وبين أخيه محمد ابن دبيس الذى لا زال حتى تلک السنة أميراً على الحلّة[3]. أما عن على بن دبيس فإننا لا نعرف شيئاً ذا بال وهذه هى الإشارة الأولى إليه، ويبدو من الرواية أنه كان أسيراً عند السلطان مسعود، إذ تقول الرواية أنه لما بلغه أن السلطان يريد أعتقاله فى قلعة تكريت هرب من بغداد فى خمسة عشر فارساً الى النيل ثم الأزير ـ نهر سنداد ـ وهناک

---

١. لقد جعل البندارى (ص١٦٨ ـ ١٦٩) وكذلک الحسينى (ص١١٠) هذه الحادثة فى سنة ٥٣١ هجرية. بينما ذكرها ابن الأثير (ج١١، ص٢٥) فى سنة ٥٣٢ هجرية. وأنظر كذلک: أبا الفداء: م٢، ج٥، ص٢١ ــ ٢٢؛ ابن الوردى: ج٢، ص٤٢.

٢. ابن الأثير: ج١١، ص٢٥.

٣. أنظر: ابن الجوزى: ج١٠، ص١١٦؛ ابن الأثير: ج١١، ص٤٣؛ أبا الفداء: م٢، ج٥، ص٢٦؛ ابن الوردى: ج٢، ص٤٥؛ مخطوط المسجد المسبوک: مجلد ٢، ورقة ٦١ (ب)؛ وقد ذكر الصفدى (تاريخ دول الإسلام، ج٢، ص٦٧) أن محمد بن صدقة حكم من سنة ٥٣٢ ـ ٥٤٠ هجرية. ولعله يقصد محمد بن دبيس، لأن دبيساً له ثلاثة أبناء وهم صدقة الذى قتل سنة ٥٣١ هجرية. ثم محمد بن دبيس الذى حكم فى الفترة الواقعة بين ٥٣١ ـ ٥٤٠ هجرية، وعلى الذى ولى الإمارة بعد ذلک.

جمع الجموع من بنى أسد وسار الى الحلّة التى كانت بيد أخيه محمد، وتحاربا فأنتصر على. وإعتماداً على رواية ابن الجوزى أن السلطان عندما سمع بذلک أرسل قائده (مهلهل) على رأس جيش ضد على فأنتصر على أيضاً مما حمل السلطان على الأعتراف بالأمر الواقع وأقره على الحلّة[1]. بينما يروى ابن الأثير أحداثاً تختلف كثيراً عن تلک التى رواها ابن الجوزى، قال أن السلطان مسعوداً أستهان بقوة على بن دبيس بعد أنتصاره فلم يُعر له أهتماماً كبيراً. وبذلک أستطاع على أن يجمع العساكر ويتوجه بأتجاه بغداد هادفاً أخذها من شحنتها المهلهل. ومن المحتمل أنه أتخذ هذا الإجراء لوجود عداء بين على والمهلهل. وقد كسب على الحرب، ولم يُثنه عن أخذ بغداد إلا الخليفة، إذ تدخل فى الأمر وراسل علياً بالكف عن عزمه، فأطاع على أمر الخليفة ورجع[2]. ومن الممكن أن أعتراف السلطان بولاية على جاء بعد هذا الأنتصار، وأنه قبل ذلک كان معترفاً بمحمد ابن دبيس.

إن أول حدث سياسى بعد أستقرار على بن دبيس فى الحلّة وإقرار السلطان له بالإمارة بصورة رسمية، حدث فى سنة ۵۴۲هـ/۱۱۴۷م حينما أرسل السلطان حملة عسكرية لمحاربة على وإخراجه من الحلّة. وهنا أيضاً تختلف الروايات التى قدمها كل من ابن الجوزى وابن الأثير، فأما ابن الجوزى فإنه قال أن السلطان أرسل مكتوباً الى شحنة بغداد المسمى سلار كرد يأمره فيها بأخذ البلاد المزيدية من على. غير أن علياً لم يسلمها بل حارب جيش سلار كرد، وخسر المعركة، فذهب الى واسط وهناک جمع الجيوش ورجع الى

---

۱. ابن الجوزى: ج۱۰، ص۱۱۶.

۲. ابن الأثير: ج۱۱، ۴۳.

الحلّة[1] فملكها. وابن الأثير يذكر أنه قد كثرت الشكاوى ضد على، فلذلک أقطع السلطان الحلّة لسلار كرد الذى كان حينذاک فى همذان. فسار سلار كرد بعسكره، وأجتمع إليه جيش بغداد ثم قصد الحلّة وبعد معركة حامية أنهزم على وملک سلار كرد الحلّة. وأن علياً ذهب الى واسط فجمع العساكر ورجع الى الحلّة فأخذها من سلار كرد[2] الذى عاد الى بغداد. إن الأختلافات الموجودة بين هاتين الروايتين غير جوهرية ولا تغير كثيراً من فحوى الحادثة التى يمكن تعليلها بأن السلطان أخذ يخشى من أن يستعيد على نفس المكانة التى إحتلها أبوه وجده من قبل فأراد القضاء عليه، وما مسألة الشكاوى التى ذكرها ابن الأثير إلا تعليلات حاول السلطان أستغلالها. وقد أثبت على كفاية عسكرية فذة فى القضاء على الحملة.

ويبدو أن العلاقة بين السلطان مسعود وبين على أستمرت سيئة فيروى أنه فى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م وقف على مع الأمراء الذين خرجوا على طاعة السلطان، محاولين تنصيب الملک محمد بن السلطان محمود سلطاناً بدله. وقد جرّد هؤلاء الأمراء حملةً وتوجهوا نحو بغداد، وخلال فترة حصارهم للعاصمة ألتحق بهم على ونزل فى الجانب الغربى. وبعد قتال طويل مع أهالى العاصمة وعسكرها، قرر الأمراء الإنسحاب من العاصمة دون أن يحققوا الهدف الذى ساروا من أجله[3] ويقول البندارى أنهم تركوا بغداد بعد مراسلاتٍ مع الخليفة على

---

١. ابن الجوزى: ج١٠، ص١٢٥.

٢. ابن الأثير: ج١١، ص٥٠.

٣. أنظر: ابن الجوزى: ج١٠، ص١٣١ ـ ١٣٢؛ ابن الأثير: ج١١، ص٥٨؛ ابن القلانسى: ص٣٠١ ــ ٣٠٢؛ البندارى: ص٢٠٢؛ ابن كثير: ج١٢، ص٢٢٥؛ مخطوط المسجد المسبوک، مجلد ٢، ورقة ٦٣ (أ) ـ ٦٣ (ب).

أن يدفع لهم مبلغاً قدره ثلاثين ألف ديناراً[1]. وقد كرّر هؤلاء الأمراء عملهم فى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م مطالبين الخليفة بالخطبة لملكشاه بن السلطان محمود بدلاً من السلطان مسعود، وكان على معهم أيضاً. وقد رفض الخليفة طلبهم وتجهز للدفاع عن بغداد كما أنه أرسل الى السلطان مسعود مستنجداً. وللمرة الثانية فشل هؤلاء الأمراء فى تحقيق هدفهم، ويُقال أنه بعد مجيء السلطان الى بغداد تقدم على إليه معتذراً فرضى عنه[2].

ولم ترد معلومات أخرى عن الفعاليات التى قام بها على بن دبيس. وأستناداً الى قول البندارى والصفدى أن علياً كان محتفظاً بلقب "ملك العرب"[3] الذى مُنح لصدقة. مع العلم بأنه ليس هناك أى دليل تاريخى يؤيد أستمرار سلطة على على بقية القبائل الساكنة فى وسط وجنوبى العراق.

لقد تمتع على ببعض الصفات، فقال عنه الصفدى أنه كان "شجاعاً جواداً ممدحاً كبير الشأن"[4]. وهذه الصفات تلقى ضوءاً كبيراً على المكانة الإجتماعية والمركز السياسى الذى كان يحتله على بن دبيس، إضافةً الى أنها تعكس شهرته بين الأدباء والشعراء فأكثروا من مدحه. ومما قاله سبط ابن الجوزى عن على أنه كان شجاعاً، وأن من أسباب أختلافه مع السلطان هى أن السلطان هدده مرة فأجاب على على رسول السلطان: "قُل له أن مثلى لا

---

١. البندارى: ص٢٠٢.

٢. ابن الأثير: ج١١، ص٥٨.

٣. البندارى: ص٢٠٢؛ الصفدى: الوافى بالوفيات (مخطوط)، ج١٢، ق١، ورقة ٦٢ (ب).

٤. الصفدى: الوافى بالوفيات(مخطوط) ج١٢، ق١، ورقة ٦٢(ب)؛ وأنظر أيضاً: تاريخ الشيعة الإمامية، ص١٢١ ـ ١٢٦.

يُهدد لأن قصارى أمرى أن يخرجنى عن جدران ويبعدنى عن أوساخها فأسكن فى فيافى بنى أسد وأقنع بخيام الشعر وتلال وثماد المياه وخشن العيش وهو وأمثاله لو فقد إيقاد الشمع ودخان الند وألوان الأطعمة والحمامات لهلک"[1]. فعلى كان معتزاً بالحياة البدوية وبساطتها، والرواية إن دلت على شئ فهى تدل على جرأته السياسية.

توفى على بن دبيس سنة ٥٤٥هـ أو ٥٤٦هـ/١١٥٠م أو ١١٥١م[2]. وقد أختلف فى موته فقيل أن طبيبه محمد بن صالح قد قتله[3]، وقيل أنه مات بالقولنج، ومات فى أسداباد[4].

وحسب قول الصفدى[5] أن مهلهل بن على هو الذى خلف والده على الإمارة المزيدية غير أننا لا نعرف فيما إذا كانت إمارته هذه كانت بموافقة وتقليد من السلطان أم لا. والواقع أن هناک روايتين لابن الأثير وسبط ابن الجوزى عن الحوادث التى أعقبت وفاة السلطان مسعود، وبينهما أختلاف جوهرى فيما يخص المزيديين والحلّة.

فابن الأثير يقول أنه بعد موت السلطان مسعود سيّر السلطان ملكشاه (السلطان الجديد) سلار كرد فى عسكرٍ لإحتلال الحلّة، ولكن فترة أحتلاله كانت قصيرة إذ أستطاع مسعود بلال شحنة بغداد أن يتغلبَ على المدينة سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ويخضعها لسيطرته. مما أدى

---

١. سبط ابن الجوزى: ج٨، ص٢٠٧. جدران لعلها كناية عن الدار.

٢. ذكرها ابن الجوزى (ج١٠، ص١٤٦) فى سنة ٥٤٦؛ بينما ذكرها ابـن الأثيـر (ج١١، ص٦٢) وأبـو الفـداء (م٢، ج٥، ص٣٣) والذهبى: دول (ج٢، ص٥٠) بأنها كانت فى سنة ٥٤٥ هجرية.

٣. ابن الجوزى: ج١٠، ص١٤٦؛ ابن الأثير: ج١١، ص٦٢.

٤. ابن الأثير: ج١١، ص٦٢.

٥. الصفدى: الوافى (مخطوطة)، ج١٢، ق١، ورقة ٦٢(ب) ـ ٦٣(أ).

بالخليفة المقتفى لأمر الله أن يجرد جيشاً لمحاربة مسعود بلال ونجح جيش الخليفة فى إبعاده عن الحلّة وإخضاعها لسلطة الخليفة[1]. وعلى هذا فابن الأثير لم يذكر شيئاً يستشف منه أن المهلهل بن على كان أميراً على الحلّة، وما يفهم من ورايته أن الحلّة لم تعد خاضعة للمزيديين. بينما يروى سبط ابن الجوزى أن جيش الخليفة كان قاصداً واسط للقضاء على العصيان الذى ذكرناه، فلما وصل الى الحلّة هرب منها مهلهل[2] بن على. وهذه الرواية غامضة لا توضح فيما إذا كان لمهلهل أى ضلع فى عصيان واسط فأراد الخليفة محاربته أولاً، أو أنه خاف من هجوم الخليفة. وأعتقد بأن مهلهلاً كان موجوداً فى الحلّة غير أنه لم يلعب دوراً رئيساً فى تلك الأحداث. ويؤيد هذا القول رواية ابن الجوزى فى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م التى جاء فيها أن مهلهلاً رجع الى الحلّة وتمكن من أخذها من ممثلى السلطان، فى الوقت الذى كان فيه الخليفة مشغولاً بجمع العساكر للقاء السلطان محمد بن محمود الذى طلب من الخليفة أن يُعلن أسمه فى الخطبة فى بغداد وقد رفض الخليفة ذلك[3]. أما بالنسبة الى مهلهل فإننا لا نعرف شيئاً عن دوره ومدة بقائه فى الحلّة، بل لم ترد أية معلومات غير تلك الروايتين السابقتين.

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص٦٧.

٢. سبط ابن الجوزى: ج٨، ص٢١٣.

٣. ذكر الحادثة ابن الجوزى (ج١٠، ص١٦٨ ـ ١٦٩) فى سنة ٥٥٢ هجرية ذلك لأنه أعتبر وفاة على فى سنة ٥٤٦ هجريـة، فأستمر التفاوت وذكرها ابن الأثير (ج١١، ص٨٦) فى سنة ٥٥١ هجرية.

لقد سبقت الإشارة الى أن الخليفة رفض طلب السلطان محمد فى الخطبة له، ولذلک توجه محمد مع عسكره نحو بغداد فى سنة ۵۵۱هـ أو ۵۵۲هـ وحاصرها وقطع الميرة عنها وقد حدثت بعض المعارک النهرية بين الطرفين. والأمر المهم فى هذه الحوادث أنه جاء ذكر لتدخل قبيلة بنى أسد الى جانب السلطان محمد، وقد لعب بنو أسد دوراً مهماً فى شنّ الحملات على سور بغداد، غير أنهم فشلوا فى المعركة، ووقع بعض أمرائهم فى الأسر أمثال حسن المضطرب وأخيه ماضى فأمر الخليفة بصلبهم[1]. والجدير بالأنتباه هنا أن هذه الحوادث وقعت فى نفس السنة التى عاد بها المهلهل الى الحلّة، ولكن لم يظهر له أى دور فيها، فمن المحتمل أنه توفى فى تلک السنة، وبوفاته أنتهت إمارة بنى مزيد، إذ أن الذين أشتركوا فى المعركة كانوا من قبيلة بنى أسد ولكن ليسوا من أسرة المزيديين. ويظهر أنه بعد موت مهلهل أستلم الإمارة رجال من بنى أسد بصورةٍ عامة.

أنقطعت أخبار بنى مزيد بعد تلک الحوادث، ففى سنة ۵۵۶هـ/۱۱۶۰م طالب بنو خفاجة الرسوم من طعام وتمور الحلّة والكوفة، فبرز إليهم الأمير قيصر شحنة الحلّة بعسكر وأفلح فى دحرهم[2]. والرواية تعكس أن الحلّة أصبحت بيد الأمير قيصر الذى كان شحنة، وهو من موظفى السلطان. ويبدو أنه بعد أن خسر بنو أسد أمراءهم فى المعركة السابقة مع الخليفة لم يظهر منهم أى أمير آخر يُعيد مكانتهم السابقة. وترد آخر إشارة الى بنى مزيد فى سنة

---

۱. ذكرها ابن الجوزى (ج۱۰، ص۱۶۹ ـ ۱۷۰) فى سنة ۵۵۲ هجرية؛ بينما ذكرها الحسينى (ص۱۳۶ ـ ۱۳۷) والبندارى (ص۲۲۹) فى سنة ۵۵۱ هجرية.

۲. ابن الأثير: ج۱۱، ص۷۶.

٥٥٨هـ/١١٦٢م حينما سار إليهم جيش الخليفة المستنجد بالله بهدف إجلاءهم عن الحلّة نهائياً بمساعدة قبيلة المنتفق التى كان يرأسها ابن معروف. وتقول الرواية أنه قد قتل فى المعركة التى جرت بين جيش الخليفة وبنى أسد، حوالى أربعة آلاف رجل من بنى أسد[١]. ولا شک أن تصميم الخليفة على إبعاد بنى أسد من منطقة الفرات الأوسط جاء أنتقاماً لما قاموا به فى الحرب السابقة، فقد صرح ابن الأثير بذلک. وبعد جلاء بنى أسد من الحلّة ورثت القبائل العربية الأخرى المجاورة جميع أملاكهم ونفوذهم ومن بين تلک القبائل قبيلة بنى خفاجة وقبيلة بنى المنتفق.

١. أنظر: ابن الأثير: ج١١، ص١١٩ وما بعدها؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص١٦٤؛ دول، ج٢، ص٥٢.

الفصل الرابع

بُنية جيش بنى مزيد

الأعراب[1]

نقصد بالأعراب البدو الذين سكنوا العراق وأطرافه، وقد لعبوا دوراً كبيراً فى تاريخ العراق فى العصر الإسلامى، وسببوا الخوف والهلع جرّاء هجماتهم على المدن والقرى، ونهبهم القوافل. وقد سبق أن تطرقنا فى فصلٍ خاص الى أماكن سكنى أهم العشائر البدوية فى منطقة الفرات الأوسط. ومن بين أهم المناطق التى سكنها الأعراب فى العراق، أطراف الكوفة والبصرة[2]. ذكر الطبرى بعض الأخبار التى توضح نشاطهم السياسى فى العراق منذ القرن الثالث الهجرى، ففى سنة

---

١. أطلق بعض المؤرخين لفظة عرب بدلاً من الأعراب. أنظر: ابن الجوزى، ج٧، ص٢٦١، ج٨، ص٢١٠؛ ابن الأثير، ج٩، ص٨٨ ـ ١٤٦ ـ ١٨٣ ـ ٢١٣ ـ ٢٤٣، ج١٠، ص٢٩؛ البندارى، ص٤٦؛ ابن خلدون، م٤، ص١٠٤٣. أما الأعراب أنظر: مسكويه، ج٢، ص٣٦٩؛ سيرة المؤيد فى الدين، ص١٢١ ـ ١٧٠؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٤٠.

٢. أنظر: فصل العرب فى العراق عن بنى عقيل فى البصرة وبنى عبادة وبنى المنتفق.

٢٤٧هـ أشتركوا مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان عندما قتل المتوكل، كفرقة خاصة بجانب الأرمن والعجم والصعاليک[١]. وفى سنة ٢٥٠هـ جمع يحيى بن عمر كثيراً من الأعراب وجماعة من أهل الكوفة[٢]. وفى سنة ٢٥١هـ ظهر العلوى فى نينوى ـ ناحية قرب (كربلاء)[٣] ـ وأجتمع عليه جماعة من الأعراب[٤]. وفيها أيضاً قتل مزاحم بن خاقان قائد المستعين ثلاثمائة رجل من الأعراب قبل دخوله الكوفة[٥]. هذه الروايات وغيرها تبرز دور البداوة فى الجيش منذ فترة قديمة، وهى توضح أيضاً أن أكثر فعالياتهم تركزت بالقرب من الكوفة مما يدل على تنقلهم فى تلک المنطقة. وقد سكن الأعراب أيضاً فى أطراف بغداد[٦]. حتى أنه سنة ٤٥٥هـ حمل أهالى بغداد السلاح لمقاتلة الأعراب الذين أنتشروا فى البلاد[٧].

لقد برز دور الأعراب فى العراق سياسياً فى الفترة الواقعة بين القرون الثالث والخامس الهجرى، ويبدو أن سبب ذلک يرجع الى ضعف السلطة المركزية وتسلط الأتراک والى أحتلال البويهيون بغداد. والراجح أن بعض هؤلاء البدو أصبحوا فلاحين وأمتهنوا الزراعة،

---

١. الطبرى، م٣، ص١٤٦٣.
٢. نفس المصدر، م٣، ص١٥١٦، ١٥١٨.
٣. ياقوت، البلدان، ج٤، ص٨٧٠.
٤. الطبرى، م٢، ص١٦٢٠.
٥. الطبرى، م٣، ص١٦١٨.
٦. ابن الجوزى، ج٨، ص٢٣٤؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١٠.
٧. ابن الأثير، ج١٠، ص١٠.

وهناک بعض الروايات التى تؤيد ذلک. فمما قاله التنوخى عن كوثى أنه: "كان فى أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الأرض ما لا يتجاسر الأكرة على زراعته وكان العمال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج[1]" فهذه الرواية توضح أن بعض الأعراب قد سكنوا أطراف المدن والأمصار وقاموا بزراعة الأرض التى لم يستطع أهل البلد زراعتها نتيجة لبعدها عن المدينة. وهؤلاء كانوا يدفعون الخراج على تلک الأراضى. والظاهر أنهم لم يدفعوا الأموال بأنتظام مما كان يؤدى الى أصطدام عامل الخراج بهم، قال القزوينى أنه "لما أشتد طلب العامل وضربهم ـ أعراب كوثى ـ ذهبوا الى بنى أعمامهم شاكين منه وأرادوا قتله"[2]. ولعل مزاولة الأعراب للزراعة يحدث عندما تكون السلطة المركزية قوية فإذا ما ضعفت فإنهم كانوا يعودون الى مهنة السلب والقيام بالغارات على المدن. وربما كان هذا من الأسباب الرئيسة فى أنضمام الأعراب لجيش بنى مزيد.

يرجع نسب بنى مزيد الى قبيلة بنى أسد، وقد أطلق على صدقة بن مزيد ملک العرب[3]. وكان دبيس بن صدقة من بيت الإمرة وسادة الأعراب[4] يتبين من هذا أن بنى مزيد أنفسهم

---

١. التنوخى، الفرج بعد الشدة، ج١، ص١٣١.

٢. القزوينى، آثار البلاد، ص٤٤٩.

٣. ابن الجوزى، ج٩، ص١٥٩؛ الحسينى، أخبار، ص٨٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٨٢؛ ابن القلانسى، ذيل دمشق، ص١٦٠؛ مخطوطة المناقب المزيدية، ص١٤١أ، (المحقق) ج٢، ص٤٥٠.

٤. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٠٩.

كانوا من الأعراب، ولا يستبعد أن يكون أعراب بنى أسد قبل أستقرارهم وتكوين إمارة بنى مزيد، من بين أولئک الذين شاركوا فى الحياة السياسية جنب الأعراب الآخرين مثل أعراب عقيل وخفاجة ونمير والمنتفق وشيبان وعبس وكلاب[1].

لقد أعتمد الأمراء والسلاطين على القبائل البدوية الساكنة فى منطقة الفرات الأوسط مثل عقيل وأسد وخفاجة فى الأمور العسكرية[2] لاسيما أثناء منازعاتهم على السلطة. كما أن هناک بعض الواجبات المفروضة على تلک القبائل من قبل سلطة بغداد كالمساهمة الفعلية فى معاضدة جيش السلطان والخليفة ضد الأعداء وحماية حدود الدولة[3]. غير أن دورهم فى جيش بغداد كان ثانوياً، ولم يكونوا من العناصر الدائمية. فى حين كان الأعراب عنصراً مهماً فى جيش المزيديين، وقد أشتركوا معهم فى حروب كثيرة. ولكننا لا نعلم بالضبط عدد أولئک الأعراب، فقد أورد بعض المؤرخين أرقاماً من أزمنة وأمكنة مختلفة. ففى سنة ۴۰۱هـ كان مع على بن مزيد ألفا فارس[4]. وفى سنة ۴۹۸هـ كان مع صدقة بن مزيد خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل[5]. وفى سنة ۵۱۶هـ أجتمع مع دبيس أربعة آلاف "بأسلحة ناقصة إلا أن رجالته كانت كثيرة"[6]. وفى سنة ۵۱۷هـ كثر عدد الجيش حتى وصل

---

۱. من الأعراب أنظر: القرطبى، صلة، ص۱۸؛ الروذراورى، ذيل، ص۳۰۳؛ ابن الأثير، ج۹، ص۱۶۵ ــ ج۱۰، ص۱۵۴؛ ابن العديم، زبدة، ج۱، ص۱۱۸، ۲۷۷.

۲. ابن الأثير، ج۹، ص۶۵ وما بعدها، ابن خلدون، م۳، ص۹۱۷.

۳. ابن الجوزى، ج۹، ص۱۴۳؛ ابن الأثير، ج۹، ص۲۳۹ ـ ج۱۰، ص۱۴۵.

۴. ابن الأثير، ج۹، ص۸۳؛ Lambton: Contributions, p. ۱۶۲.

۵. ابن الأثير، ج۱۰، ص۱۴۴.

۶. ابن الجوزى، ج۹، ص۲۳۳.

الى عشرة آلاف فارس وأثنى عشر ألف راجل[1]. وفى سنة ٥٢٣هـ جمع دبيس عشرة آلاف فارس بعد أن كانوا ثلاثمائة فارس[2]. من كل هذا يظهر أنه ليس هناك عدد ثابت وواضح، مع العلم أن تلك الأرقام كانت عامة، فلا نعلم هل هؤلاء جميعهم كانوا من البدو، فمثلاً الخمسة عشر ألف فارس والعشرة آلاف راجل هل كانوا جميعهم من بنى أسد أو من قبائل أخرى، ثم من المحتمل أن يكون بينهم أكراد وأتراك وعناصر أخرى، خاصةً وأن هناك بعض الروايات توضح وجود تلك العناصر فمثلاً فى سنة ٥٠١هـ كان مع صدقة عشرون ألف من بينهم قبيلة عبادة وخفاجة والأكراد[3]. وعندما تمّ إجلاء بنى أسد قتل من العرب أربعة آلاف[4]. وهذا يُظهر أن نسبة العرب كانت كبيرة، أما الأكراد فلا يتعدى خمسة آلاف رجل وعند ذلك فإن الباقى من العدد يتفق تقريباً وما ذُكر سابقاً بعشرة آلاف فارس وخمسة عشر أو إثنى عشر ألف راجل. أما العرب فإن بنى أسد، القبيلة الأصلية لبنى مزيد، يشكلون الأكثرية فى الجيش، إذ أنهم عند جلائهم قتل منهم أربعة آلاف رجل، ومن الطبيعى أن المحاربين كانوا جميعاً من بنى أسد، فإذا كان عدد القتلى أربعة آلاف فكم كان عدد المحاربين أو المدافعين؟

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٢؛ الباهر فى الدولة الأتابكية، ص٢٦.

٢. ابن الجوزى، ج١٠، ص١٢؛ ابن كثير، ج١٢، ص٢٠٠.

٣. ابن القلانسى، ذيل، ص١٥٩؛ سبط ابن الجوزى، مرآة، ج، ص٢٦؛ الذهبى، العبر، ج٤، ص٢؛ دول، ج٢، ص٢١. ذكر أن عدد الجيش عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل.

٤. الذهبى، العبر، ج٤، ص١٦٤.

والظاهر أن أختلاف تزايد جيش المزيديين وتناقصه يرجع الى الظروف السياسية، فالمعروف عن دبيس بن مزيد مثلاً أنه حارب الدولة كثيراً وقد فشل فى أكثرها، وهذا له أثر سئ فى نفوس أصحابه ومؤيديه مما يؤدى الى تناقصهم. فى حين كان الجيش فى عهد صدقة بن مزيد الذى تميز بالقوة والمركز والنفوذ، كثيراً. والترتيب التاريخى لتلك الروايات السابقة، يوضح لنا أن السنوات الأولى، بصورةٍ عامة، تقدم نسباً قليلة إذا ما قورنت بسنوات ٥١٧، ٥٢٣، ٥٥٨هـ ولهذا فإنه من المحتمل أن تكون هجرة القبائل الى المنطقة ومجئ الأعراب فى تلك الفترة سبباً فى هذه الزيادة، لاسيما وأنهم قد رأوا الأنتصارات الكثيرة، وما أحتلته وأمتلكته كل من قبيلة بنى عقيل وبنى أسد فى منطقة الفرات الأوسط.

ومن القبائل العربية التى أشتركت فى جيش المزيديين، قبيلة بنى عقيل فقد أجتمعت معهم سنة ٣٩٢هـ[١] ضد أبى جعفر الحجّاج[٢]. غير أنه لا يمكن أعتبارها عنصراً دائماً فى جيش المزيديين، إلا أن تكون أعراب بنى عقيل الذين ظلّوا فى المنطقة قد شاركوا فى الجيش بأسم الأعراب. ومنها أيضاً قبيلة بنى خفاجة التى ذُكر أشتراكها عدّة مرات فى جيش المزيديين[٣]. ومن المحتمل أنهم شاركوا فى مواقع أخرى ضمن الأعراب. وكذلك أشترک بنو

---

١. ابن الأثير، ج٩، ص٦٤.

٢. هو أبو جعفر بن الحجاج بن هرمز نائب بهاء الدولة ببغداد، وهو القائد الذى أعتمد عليه البويهيون فى صد غارات القبائل. ابن خلدون، م٤، ص٥٥٠؛ دائرة المعارف (الترجمة العربية) ج٨، ص٣٩٣.

٣. ابن الجوزى، ج٩، ص١٥٦؛ الحسينى، أخبار، ص٨٠؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٣١ ـ ١٣٢، ج١٠، ص١٤٩ ـ ١٥٠؛ سبط ابن الجوزى، مرآة، ج٨، ص٣٦؛ الذهبى، دول الإسلام، ج٢، ص٢١.

عبادة فی جیش صدقة بن مزید سنة ۵۰۱هـ[۱]. غیر أنه لم نجد لهم ذکراً فی الحروب الأخری، وإن کان من المحتمل أنهم کانوا ضمن الأعراب بصورة عامة. هذه هی القبائل العربیة التی أشترکت مع المزیدیین، وقد کان دور خفاجة وعبادة أبرز من دور بنی عقیل، ولعل ذلک راجع الی أن هاتین القبیلتین قد سکنتا بالقرب من مناطق نفوذ بنی مزید ولهذا دخلتا الجیش المزیدی، والدلیل علی هذا أنه فی سنة ۴۹۹هـ حدثت حرب بین القبیلتین فی (الوقف) وهو مکان قریب من الحلّة[۲]. أما قبیلة بنی المنتفق فإنها تحالفت مع دبیس بن صدقة سنة ۵۱۷هـ عندما هرب من حربه مع الخلیفة، ثم هاجموا البصرة ونهبوها[۳] ولم یرد ذکر لمساعدتهم فی الحروب الأخری أو فی الجیش المزیدی.

یبدو أن مساعدة القبائل کان یتم بواسطة الرؤساء. فعندما تُذکر القبائل مثلاً یُذکر أسم الرئیس الذی یمثلها فمثلاً یُقال: "سار قرواش الی الکوفة فأوقع بخفاجة[۴]" فالمراد قرواش وبنی عقیل، وکذلک "سیّر قرواش جمعاً من عقیل الی المدائن"[۵]. وهنا یظهر أن الرئیس کان المرجع الأول فی نشاط القبیلة، ویُقال أیضاً تحارب قرواش وأبو علی بن ثمال

---

۱. ابن القلانسی، ذیل، ص۱۵۹؛ سبط ابن الجوزی، مرآة، ج۸، ص۲۶.

۲. یاقوت، معجم البلدان، ج۳، ص۱۸۴؛ ابن الأثیر، ج۱۰، ص۱۵۰.

۳. ابن الجوزی، ج۹، ص۲۴۵؛ ابن الأثیر، ج۱۰، ص۲۳۲؛ سبط ابن الجوزی، ج۸، ص۱۱۱؛ ابن کثیر، ج۱۲، ص۱۹۱.

۴. ابن الأثیر، ج۹، ص۶۲.

۵. نفس المصدر، ج۹، ص۶۴.

الخفاجى[1] والمقصود بين بنى عقيل وبنى خفاجة. وكذلک نرى فى سنة ۴۱۷هـ عندما أجتمع دبيس بن على بن مزيد الأسدى وأبو الفتيان منيع بن حسان أمير بنى خفاجة[2] فالأتفاق حدث بين الأمير المزيدى وأمير بنى خفاجة لقتال قرواش. ومن المحتمل أيضاً أن الرئيس كان يقرر شروط الأتفاقات ووقف القتال.

ولمعرفة الطريقة التى أتبعها المزيديون فى دفع الأموال الى الجُند، لا بدّ من الرجوع الى ما كان مطبقاً فى بغداد ومناطق أخرى. فالسلاجقة مثلاً كانوا يعطون مراتب شهرية للجُند والقوّاد. ولما أتسعت رقعة الدولة ونقصت أموال السلطان، أتجه التفكير الى منحهم أقطاعات بدلاً من الرواتب ويسمى هذا الإقطاع الحربى[3].

بينما كان الأيوبيون والمماليک يوزعون العطايات، فإذا نشبت الحرب يذهب كل أمير بجماعته الى ميدان الحرب، على أن يتمتع جُند الأمير بثلثى الإقطاع، بينما يتمتع هو بالثلث الباقى[4].

ومع أنه لم ترد روايات تدل على أن المزيديين أقطعوا قوّادهم بعض الإقطاعات، لهذا فمن المحتمل أنهم أتبعوا الطريقتين ولاسيما الثانية فى توزيع الأموال

---

۱. نفس المصدر، ج۹، ص۷۳.

۲. نفس المصدر، ج۹، ص۱۳۱؛ ابن خلدون، م۴، ص۱۰۰۳.

۳. Lambton: Contributions p. ۳۲۲; idem Landlord and peasant pp. ۵۳ ـ ۵۴, ۶۱ .

۴. سعداوى، نظير حسان، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى، ص۲ ـ ۳.

على كل أمير أو رئيس قبيلة، ويدل على هذا أن القبائل المشتركة مع المزيديين لم تكن متحمسة كثيراً فقد هربوا فى سنة ٥٠١هـ من جيش صدقة، وأصبح هذا وحيداً فى المعركة، حتى أن أفراد قبيلته هربوا أيضاً[١].

وهذا يعنى أن القبائل لم تكن من الجيش الثابت الدائمى، وكان دخولهم الحرب لأجل الحصول على الغنائم والمكاسب، فهم يقاتلون مع المزيديين وحينما يشعرون بالحرج وضعف جانبهم يهربون من المعركة.

الأكراد[٢]

وهم من العناصر المهمة فى جيش المزيديين، ولهم فرق عديدة غير أن أهمها بالنسبة للمزيديين هم أكراد الشاهجان[٣] والجاوانية[٤]. وبينما تكثر المعلومات عن إمارات الأكراد[٥] ومناطق سكناهم فى الشمال، لم نجد معلومات كثيرة عن هاتين الفرقتين.

هناك بعض الروايات الصريحة التى تبين توزيع الأكراد فى المنطقة التى سيطر عليها المزيديون، أو بالقرب منها. ففى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م حارب على بن مزيد مضر ونبهان

---

١. ابن الجوزى، ج٩، ص١٥٦؛ الحسينى، أخبار، ص٨٠؛ سبط ابن الجوزى، ج٨، ص٢٦.

٢. عن فِرقهم أنظر: المسعودى، مروج، ج٣، ص٣٥٣؛ التنبيه، ص٧٨ ـ ٨٩؛ محمد أمين زكى، تاريخ الإمارات الكردية.

٣. وقيل الشاذنجان، ابن الأثير، ج٩، ص٩٢؛ وذكرهم ابن خلدون ـ الشاهجان، م٤، ص٥٩١.

٤. المسعودى، التنبيه، ص٨٩؛ بينما ذكرهم ابن الأثير الجوانية، ج٩، ص٩٢.

٥. أنظر: تاريخ الإمارات الكردية.

وحسّان وطرّاد من بنى دبيس، وكان معه أكراد الشاهجان والجاوانية، وكانت نتيجة المعركة هزيمة بنى دبيس ومطاردة على بن مزيد لهم حتى الحويزة[١]. فالحرب إذن قد جرت بعيداً عن الحويزة، وكان الأكراد عندما أجتمعوا مع بنى مزيد فى منطقة واسط ـ البصرة، وقريب من مركز بنى مزيد وهو النيل. كما أنه فى سنة ٥١٢هـ عندما رجع دبيس بن صدقة الى الحلّة أجتمع عليه خلقٌ كثير من العرب والأكراد[٢] مما قد يدل على أنهم كانوا يسكنون فى الحلّة.

وقد ذُكر أن الأكراد قد ساعدوا الزنج أثناء ثورتهم فى البصرة سنة ٢٥٥هـ[٣]. وحاربوا بجكم التركى فى مدينة واسط، وكانوا يقطنون بالقرب من نهر جوبر الذى يقع بين ميسان والأهواز[٤]. وحاربهم البساسيرى فى البوازيج[٥]، التى تقع بالقرب من تكريت[٦] فمن المحتمل جداً أن الأكراد سكنوا هذه المناطق ولعبوا فيها دوراً سياسياً مهماً. وقد تكون إقامتهم فى تلك الأماكن وقتية.

بالإضافة الى تلك المناطق، هناك بعض الروايات التى تشير الى أنهم كانوا فى أطراف بغداد، ففى سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م "إنحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى أن بعض الجُند

---

١. ابن الأثير، ج٩، ص٩٢، وسمّاهم الشاذنجان والجوانية، والحويزة تقع بين واسط والبصرة وخوزستان. ياقوت، البلدان، ج٢، ص٣٧٢.

٢. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٠١؛ أبو الفداء، م١، ج٤، ص١٥٠؛ ابن الوردى، تتمة، ج٢، ص٢٤.

٣. E١. (١) vo١. p. ١١٥١

٤. المسعودى، مروج، ج٨، ص٣٧٥؛ وذكر ابن الجوزى أن هناك أكراد بين واسط والبطيحة، ج٨، ص٦٠.

٥. ابن الأثير، ج٩، ص٢٢٢؛ ابن خلدون، م٣، ص٩٤٧.

٦. ياقوت، البلدان، ج١، ص٧٥٠.

خرجوا الى قرية يحيى فلقيهم الأكراد فأخذوا دوابهم"[1]. والراجح أنهم أتخذوا من المنطقة الواقعة بين بغداد والكوفة مركزاً لقيامهم بأعمال النهب والسلب، والرواية تؤكد حركاتهم بالقرب من بغداد. وكذلک فى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م عندما هرب الناس من بغداد عند مجيء طغرلبک، وقد بلغت أجرة السمارية الى النعمانية عشرة دنانير ونهب الأعراب والأكراد أكثر المشاة[2]. أى أنهم كانوا فى المنطقة الواقعة جنوب مدينة بغداد.

كما أن هناک بعض الروايات التى تبين وجود أكراد الشاذنجان على الطريق بين خراسان وبغداد[3]. ومن ذلک نستطيع القول أن الأكراد الذين أشتركوا فى جيش المزيديين جاءوا من خراسان وإيران[4].

كان لنشاط الأكراد العسكرى، ومدى أستخدامهم فى الجيش خلال الفترات المعاصرة لظهور بنى مزيد أهمية واضحة. ففى فترة الحكم البويهى تنازع الأمراء وأفراد العائلة البويهية على السلطة، كما حدث سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م بين بختيار وعضد الدولة، فقد أتخذ الأكراد جانب عضد الدولة. وفى سنة ٣٧٩هـ "لما عرف فخر الدولة دنوّ عسكر بهاء الدولة من

---

١. ابن الجوزى، ج٨، ص٦٠، ٨٨؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٦٤.

٢. ابن الجوزى، ج٨، ص٢٠٥.

٣. التنوخى، الفرج، ص٣٢٩، ذكرهم (السرنجان) والأصح الشاذنجان.

٤. أنظر: البلاذرى، فتوح، ص٣٨٩؛ الطبرى، م١، ص٢٦٢، ٢٥٤٣، ٢٧٠٠، م٣، ص١٣٥١.

أعمال خوزستان جرّد العساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله... وبدر بن حسنويه فى أربعة آلاف من الأكراد"[1]، أى أنهم كانوا بجانب بهاء الدولة. وفى سنة ۴۱۵هـ كان الأكراد مع أبى الفوارس فى حربه ضد أبى كاليجار وكان عددهم حوالى عشرة آلاف مقاتل[2].

ولعب الأكراد الدور نفسه فى الفترة السلجوقية، ففى سنة ۴۳۷هـ/۱۰۴۵م عندما خرج إبراهيم ينال ـ أخو طغرلبک ـ الى بلاد الجبل كان الأكراد مع سعدى بن أبى الشوک[3]، وهو أحد أمراء الأكراد. وفى سنة ۴۳۸هـ/۱۰۴۶م ألتحق سعدى مع الأكراد بإبراهيم ينال[4].

ومع أن هذه التفصيلات بعيدة عن موضوعنا، إلا أنها تُظهر أستخدام الأكراد كعنصر فى الجيش فى العراق. وهذا يرجع الى شجاعتهم وإخلاصهم فى الحرب. فالأمير البويهى أو السلطان السلجوقى عند تنازعه مع أفراد عائلته لا بدّ أنه كان يرتاب من العناصر الأخرى التى تكوّن جيش العدو، وأعتماده على هؤلاء يجعله مطمئناً. وقد حدث هذا عندما أصبحوا الى جانب السلطان محمّد فى خلافه مع الخليفة[5]. فإن كانوا غير مخلصين لما جرأوا على معارضة خليفة بغداد. ومن المحتمل أنهم كانوا يشتركون مع أى جهة تقدم لهم الأموال الكثيرة لأنهم من المرتزقة.

---

۱. الروذراورى، ص۱۶۹.

۲. ابن الأثير، ج۹، ص۱۲۷.

۳. نفس المصدر، ج۹، ص۱۹۶.

۴. نفس المصدر، ج۹، ص۱۹۸.

۵. الحسينى، أخبار، ص۱۳۴ ـ ۱۳۵.

الأكراد وبنو مزيد

إن أهم الفرق الكردية التى أشتركت مع المزيديين هما فرقتا الجوانية والشاهجان وترجع بداية علاقتهم ببنى مزيد الى ما ذكره ابن الأثير سنة ۴۰۵هـ فى الحرب بين على بن مزيد وبنى دبيس حيث جمع ابن مزيد العرب والشاهجان والجوانية وغيرهما من الأكراد[۱]. ويعنى هذا أن أكراداً من قبائل أخرى أشتركوا مع ابن مزيد. وقد أظهروا من البداية جدارةً وإخلاصاً وشجاعةً مما أدى الى أنتصار ابن مزيد[۲]. وقد حفّز هذا الأنتصار على بن مزيد على زيادة الأعتماد عليهم، كما دفعهم الى زيادة إخلاصهم للمزيديين. ففى سنة ۴۴۳هـ كان الأكراد بجانب ابن مزيد والبساسيرى مع الملك الرحيم البويهى، غير أن البساسيرى وابن مزيد أنسحبا عن الملك الرحيم لضعف جانبه، وكذلك أنسحب الأكراد معهم[۳]. وفى سنة ۴۵۵هـ/۱۰۶۳م قام شرف الدولة مسلم بن قريش، صاحب الموصل، بنهب نواحى السواد مما دفع دبيساً والأكراد الى محاربته فحققا الأنتصار أيضاً[۴]. ثم تطور هذا الأتصال العسكرى الى أرتباط فى الأتجاه السياسى، فعندما أختلف السلطان ملكشاه والسلطان قاورت بعد موت ألب أرسلان مال منصور بن دبيس والأكراد الى جانب ملكشاه[۵]. وفى الخلاف بين السلطان

---

۱. ابن الأثير، ج۹، ص۹۲.

۲. نفس المصدر والصفحة.

۳. ابن الأثير، ج۹، ص۲۱۴.

۴. نفس المصدر، ج۱۰، ص۲۹؛ البندارى، تاريخ آل سلجوق، ص۴۶.

۵. ابن الأثير، ج۱۰، ص۲۹؛ البندارى، تاريخ آل سلجوق، ص۴۶.

محمد والسلطان برکیارق وقف صدقة بن مزید والأکراد الی جانب السلطان محمد بالرغم من تهدید شحنة بغداد لصدقة[1]. ومعنی هذا أن موقفهم أصبح ضد سلطة بغداد بشکلٍ مستمر، مع العلم بأنهم کانوا یعلمون أن موقفهم هذا قد یسبب لهم متاعب مع جیش السلطان، إلا أن إخلاصهم لرئیسهم ابن مزید دفعهم الی أن یتخذوا ذلک الموقف، ویؤیدوا صدقة الذی قدّم لهم الأموال الکثیرة وقرّبهم ورفع مکانتهم، وهذا ما نراه واضحاً فی سنة ۵۰۱هـ عندما حارب صدقة الخلیفة وکان معه عشرون ألف من عبادة وخفاجة والأکراد، ولکن الأغلبیة بمن فیهم قبیلته لاذت بالفرار، وأخذ صدقة ینادی "یا آل عوف، یا آل ناشرة" وهی أنساب قبیلة بنی أسد، وفی هذا الوقت کان الأکراد ثابتین معه ویحاربون ببسالة حتی أنه "وعدهم بکل جمیل لما ظهر من شجاعتهم"[2] إن موقفهم فی هذه الحرب لیس ضد السلطان فحسب بل ضد الخلیفة أیضاً، وکثیراً ما تمرد بنو مزید أوامر الخلیفة والسلطان وحاربوهما ومع ذلک نری الأکراد یؤیدونهم. ویتضح هذا التعلق بأمراء بنی مزید کثیراً فی سنة ۵۱۲هـ عندما وافق السلطان محمّد علی طلب دبیس بالرجوع الی الحلّة، ولما عاد إلیها أجتمع علیه خلقٌ کثیر من العرب والأکراد[3] وقام دبیس بتوزیع الأموال والسلاح علیهم[4] وهذا یدل علی مدی إخلاصهم، وأنهم أصبحوا من العناصر الأساسیة فی الجیش کما إن إعطاءهم الأموال یؤکد

---

۱. ابن الأثیر، ج۱۰، ص۱۳۳؛ ابن خلدون، م۳، ص۱۰۱۰.

۲. ابن الجوزی، ج۹، ص۱۰۶؛ الحسینی، أخبار، ص۸۰؛ ابن الأثیر، ج۱۰، ص۱۶۸؛ سبط ابـن الجـوزی، ج۸، ص۲۶؛ الذهبی، دول، ج۲، ص۲۱؛ ابن خلدون، م۴، ص۶۸۰.

۳. ابن الأثیر، ج۱۰، ص۲۰۱؛ أبو الفداء، م۱، ج۴، ص۱۵۰؛ ابن الوردی، ج۲، ص۲۴.

۴. ابن الأثیر، ج۱۰، ص۲۰۳.

أنهم كانوا من الجنود المرتزقة المتخصصين. ومن الروايات الأخرى التى توضح العلاقة الطيبة بين الطرفين، أن عنتر بن أبى العسكر الكردى[١] الجاوانى[٢] كان مشرفاً على تربية صدقة بن دبيس[٣] وكان مهلهل بن أبى العسكر، أخو عنتر، مشرفاً على محمّد بن دبيس[٤].

لقد أصبح الأكراد كتلة قوية لهم بعض الألقاب العسكرية والإدارية ففى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م عندما هاجم الغُزّ الموصل طلب قرواش المساعدة من أمراء العرب والأكراد[٥] ومعنى هذا انه كان لكل قبيلة أمير كما هو الحال فى القبائل العربية. وكانت كلمة أمير تعنى ذا الأمر والسلطة[٦] وكان هؤلاء الأمراء هم الذين يمثلون الأكراد فى الأمور المختلفة. ولهم زعيم يُلقب المقدم[٧] وهو لقب عسكرى يُستدل منه على أن هناك تنظيماً عسكرياً وأن المقدم كانت له سلطة واسعة وقوية، ففى سنة ٤٥٥هـ توفى أبو الفتح بن ورام مقدم الأكراد الجاوانية وبعد موته قام مسلم بن قريش بأعمال النهب فى نواحى بغداد[٨]. ومن هذا نرى أن الأمن كان مستتباً بوجود المقدم وقد أختل بموته. وكان عنتر بن أبى العسكر

---

١. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٤٣؛ سبط ابن الجوزى، ج٨، ص١١٠.

٢. ابن الأثير، ج١١، ص١٥، وينسب الى قبيلة الجوانية الكردية.

٣. نفس المصدر والصفحة.

٤. نفس المصدر، ج١١، ص٢٥.

٥. نفس المصدر، ج٩، ص١٤٥. وكان مهلهل بن أبى العسكر يُلقب بالأمير. الحسينى، أخبار، ص١١٠؛ البندارى، تاريخ، ص١٦٩.

٦. قال ابن منظور: الأمير الملك لنفاذ أمره بين الإمارة (مادة أمر) ج٥، ص٩١. ويعنى هذا اللقب على أنه وظيفة ولاة الأمصار التابعة للخلافة الإسلامية، القلقشندى، مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، ج١، ص٧٥؛ حسن باشا، الألقاب، ص١٨٠؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص١٣٨.

٧. ابن الأثير، ج١٠، ص١٠؛ البندارى، ص٤٦؛ أنظر فصل الإدارة عن المقدم.

٨. ابن الأثير، ج١٠، ص١٠؛ ابن خلدون، م٣، ص٩٧٠.

الكردى الجاوانى مقدماً لرجالة دبيس بن مزيد[1] وهذا يدلنا على أن لقب المقدّم شبيه بلقب القائد عسكرياً أو شيخ القبيلة، والظاهر أن هناك مقدماً لكل قبيلة فكان ورام وعنتر مقدمين للأكراد الجاوانية، ومن المحتمل أن هناك مقدماً للأكراد الشاهجانية. كما وصل بعض الأكراد الى رتبة القائد فى الجيش كمهلهل الكردى[2]. ويبدو أن المقدّم هو الذى يتولى أمر جماعة أو فرقة بينما يكون القائد المشرف الأعلى للجيش أو القائد العام للأكراد.

غير أننا لم نعثر على معلوماتٍ واضحة فيما يخص تنظيمات الأكراد العسكرية وعلاقتهم ببنى مزيد، وطبيعة تلك العلاقة. ولهذا فسوف نقارن بين جيوش الفاطميين والأيوبيين والمماليک، وبين ما نحن بصدده فلقد كان تنظيم الجنود الإحتياط عند الفاطميين بإعتبار كل طائفة لها قائدها يراقبها ويقوم بترتيبهم فى مواقفهم[3]. وكانوا فى الصفوف الأمامية من الجيش[4]. أما الأيوبيين فقد كان عسكرهم على نوعين الجُند النظامى والإحتياطى، ويدخل الإحتياط فى الحروب مقابل إقطاعات وأموال بعكس الجند النظامى الثابت الدائمى[5]. والجند الإحتياط يتألف من عناصر مختلفة كالأتراک والأكراد، وكان عددهم يقل ويكثر حسب إمكانية السلطان المالية[6].

ومن خلال هذه المعلومات نستطيع القول أن تنظيم الأكراد فى جيش المزيديين يُشابه

---

١. ابن الأثير، ج١١، ص١٥.

٢. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٣٧.

٣. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٠١ وما بعدها.

٤. نفس المصدر والصفحة؛ وعن المماليک محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس فى مصر، ص١٣٥.

٥. سعداوى، التاريخ الحربى، ص٢٩.

٦. نفس المصدر، ص٣٠ ـ ٣١.

الى حدٍّ ما تنظيمهم فى جيش الفاطميين والأيوبيين لأن كلاً منهما يقوم على أساس الجنود المرتزقة، فالأمير المزيدى يقدّم الأموال فى أوقات الحروب ولهذا يمكننا القول أيضاً أن كثرة جيش المزيديين فى بعض المناسبات كان نتيجة منح الأموال التى تقدم لهم.

أما عدد الأكراد فى جيش المزيديين فهو غير معروف، لكنه توجد بعض الروايات التى وردت فيها بعض الأرقام، فمثلاً فى سنة ۴۲۷هـ "دخل العيارون فى مائة رجل من الأكراد والأعراب والسواد"[۱]. ومع أن هذا لا يعدّ مقياساً لعددهم، غير أنه يبين وجود جماعاتٍ منهم بشكل قُطّاع طرق وبأعدادٍ قليلة. وفى سنة ۵۰۱هـ كان مع صدقة عشرون ألف فارس من الأكراد والأتراك والديلم والعرب[۲]. وهذه أيضاً لا تقدم صورة حقيقية أو تقريبية عن عددهم، غير أنها توضح من جهةٍ أخرى أن نسبتهم غير قليلة. فالأتراك والديلم لم يتردد ذكرهم مع بنى مزيد إلا قليلاً، لهذا من الممكن القول أن نسبتهم قليلة فى الجيش. أما الأعراب فإنهم يمثلون نسبة عالية، فهناك قبيلة بنى أسد وخفاجة وغيرها. ومع ذلک فإن الباقى من العدد يصور لنا نسبة الأكراد أنها كانت غير قليلة.

فالأكراد كانوا يشكلون فرقة عسكرية فى جيش المزيديين ربما كانت مثل الفرق العسكرية التى فى جيش بغداد المؤلف بعضه من الأتراک والديلم، ومن المحتمل أن بنى مزيد أرادوا مواجهة جيش بغداد بمثل تلک القوى فجندوا الأكراد ومنحوهم الألقاب وأغدقوا عليهم الأموال. والراجح أنهم لم يكونوا فرقةً دائميةً فى جيش المزيديين. وقد بقى الأكراد يسكنون الجامعين وبالأخص الأكراد الفيليين بعد أن بُنيت الحلّة زمن صدقة.

---

۱. ابن الجوزى، ج۸، ص۸۸.

۲. ابن الجوزى، ج۹، ص۱۵۶؛ الحسينى، ص۸۰؛ سبط ابن الجوزى، ج۸، ص۲۶؛ الذهبى، دول، ج۱، ص۲۱.

عناصر أخرى

أما العناصر الأخرى التى أشتركت فى جيش المزيديين فمنها التركمان الذين لم يكونوا كتلةً رئيسة. وقد ورد ذكرهم خلال حوادث البساسيرى، إذ كان جيشه يتكون من قبائل عربية مختلفة ومن جماعات من التركمان[1] وفى سنة ٥٤٤هـ أجتمع حول ملكشاه وطرنطاى وعلى بن دبيس خلقٌ كثير من التركمان[2]. إلا أنهم لم يكونوا مع بنى مزيد بالذات، فمن المحتمل أنهم كانوا مع البساسيرى فى الرواية الأولى، لاسيما وأنه مملوك تركى خرج من بغداد ومعه جماعته الأتراك وكانوا يسمون "الأتراك البغداديون"[3]. أما فى الرواية الأخرى فمن المحتمل أن الأتراك كانوا مع ملكشاه أو طرنطاى.

ولعل بداية أستعمال التركمان فى الجيش المزيدى تعود الى عهد البساسيرى عندما كان بنو مزيد يؤيدونه ويشتركون معه فى حروبه، ونتيجة لقتل البساسيرى فقد هرب جماعته من الأتراك وأنضموا لبنى مزيد.

إن أول رواية تشير الى أشتراكهم مع بنى مزيد كانت سنة ٥٠١هـ عندما جمع صدقة بن دبيس عشرين ألف من الأعراب والأكراد والأتراك[4] أما الثانية ففى سنة ٥١٢هـ عندما هرب

---

١. سيرة المؤيد فى الدين، ص١٤١ ـ ١٤٢.

٢. ابن الجوزى، ج١٠، ص١٣٧ ـ ١٣٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٢٥.

٣. ابن الأثير، ج٩، ص٢٢٨، ٢٣٥.

٤. الحسينى، أخبار، ص٨٠.

الأكراد والأتراک أثناء الحرب مع دبيس بن صدقة[1]. ومع كل هذا فلازلنا نجهل الكثير عن هؤلاء. ولعلهم كانوا بمثابة جنود أحتياطيين كما فى جيوش الفاطميين والأيوبيين، فهم يشتركون عندما تحدث حرباً حيث تدفع لهم الأموال.

وقد ورد ذكر الديلم أيضاً فى جيش بنى مزيد، ولكن لم تكن لهم أهمية خاصة. فى حين كانوا من أبرز الفرق فى جيش البويهيين، وقد يكون أنتشارهم فى البلاد قد وقع عند مجئ البويهيين الى العراق. أما الرواية التى ورد ذكرهم فيها فقد كانت فى سنة ٥٠١هـ حين أستجار سرخاب الديلمى، الذى كان مغضوباً عليه من قبل السلطان، بالأمير صدقة بن مزيد، ولما طالب السلطان تسليمه أمتنع صدقة فنشبت الحرب سنة ٥٠١هـ وقد أشترک فيها الأعراب والأتراک والديلم[2] ومع أن هذا غير كافٍ لإعتبارهم عنصراً فى جيش المزيديين لأن سرخاب الديلمى كان بصحبة بعض مؤيديه كما يبدو، ومن المحتمل أن يكونوا ديالمة، وعندما حارب صدقة السلطان كان غرضه الدفاع عن جاره سرخاب ولهذا فإن جماعة سرخاب أشتركوا مع جيش صدقة لا على أساس أنهم عنصر من عناصر جيش صدقة، وإنما دفاعاً عن رئيسهم وصاحبهم سرخاب الديلمى.

من كل ما تقدم يبدو أن هذه العناصر كانت أحتياطية، وأنها كانت تشترک مقابل أموال يقدمها الأمير المزيدى.

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٠٣؛ ابن خلدون، م٣، ص١٠٢٤.

٢. ابن الجوزى، ج٩، ص١٥٦؛ الحسينى، أخبار، ص٨٠.

الأساليب الحربية والأسلحة

لابدّ لنا ونحن نتحدث عن الجيش أن نشير الى بعض الأمور الخاصة بالناحية العسكرية. لقد أتبع المزيديون بصورةٍ عامة فى حروبهم الطريقة الشائعة وهى تقسيم الجيش الى ميمنة وميسرة وقلب، وهناک بعض الروايات التى تصف هذا التنظيم[١]. إلا أن دبيساً فى سنة ٥١٧هـ أتبع طريقة جديدة فى حربه ضد الخليفة المسترشد. فلقد روى ابن الجوزى أن جيشه بلغ ثمانية آلاف فارساً وعشرة آلاف راجلاً وقد رتّب دبيس جميع جيشه على شكل صف واحد مع ميمنة وميسرة وقلب تحت قياداتٍ منفصلة، وقد وضع الرجالة أمام الفرسان، وجهزهم بالتراس الكبار. أما دبيس فإنه قد وقف فى القلب من وراء الرجالة[٢]. ويعتقد (ليفى) Levy أن هذا الترتيب يعد نقصاً كبيراً وذلک لأنه شلّ حركة الرجالة، ويعدّ ذلک فإنه من أهم أسباب أندحاره فى تلک الحرب[٣]. ويبدو أن للمزيديين مجلساً لوضع الخطط الحربية[٤].

أما الأسلحة فإنها تختلف بأختلاف المحاربين، فالفرسان يحملون الرماح والسيوف والهراوات ويلبسون الدروع[٥]، وهم يكونون النواة الرئيسة فى الجيش، ويخضعون لتدريبٍ خاص. وكان الرجالة يحملون النشّاب والسهام والتراس[٦] التى تستعمل للوقاية من نشّاب

---

١. أنظر: ابن الجوزى، ج٩، ص١٥٦؛ سبط ابن الجوزى، ج٨، ص٢٦.

٢. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٤٢.

٣. Levy: An Introduction of the sociology of Islam (١٩٣٣) vo١. (٢) p. ٣٠٥ .

٤. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٣٧.

٥. ابن الأثير، ج١٠، ص١٥٠؛ وأيضاً: Lambton: Contributions, p. ١٣٨.

٦. ابن الجوزى، ج٩، صفحات ١٥٦، ٢٤٢؛ وأيضاً: Lambton: op. cit.

العدو. وقد وردت بعض الروايات التى تبين أنهم ألتحموا مع خصومهم فى معاركٍ نهرية كما فى سنوات ٥١٤هـ/١١٢٠م[١] وسنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م[٢]. كما أستعمل المزيديون السلاح النفسى فى حروبهم مثل إثارة الفزع فى قلوب أهالى القرى والمناطق القريبة وذلك بمهاجمة الحقول وتدمير الزروع، أو أنه بعد تنظيم الجيش يقوم الأمير المزيدى برسم الآمال والمواعيد، وهذا ما حدث فى سنة ٥١٧هـ/١٠٢٣م حيث وعد دبيس بن صدقة جماعته بنهب بغداد[٣] وكانوا يصحبون معهم النساء وفرقاً مشجعة كالضاربين على الطبول والنافخين على المزامير[٤].

أما علاقة أمراء مزيد بأفراد عشيرتهم فكانت قوية جداً حتى أنهم كانوا يقدمون أنفسهم للموت بدل أمرائهم، ومما قاله ابن الجوزى أن جماعة دبيس كانوا يقولون فى الحرب "فداك يا دبيس ثم يمد عنقه"[٥]. وقد وصف صدقة بن دبيس بأنه كان مخلصاً فى نواياه العسكرية[٦].

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٩.

٢. ابن الجوزى، ج١٠، ص١٦٩؛ الحسينى، ص١٣٦؛ البندارى، ص٢٢٩.

٣. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٤٢؛ وأنظر أيضاً عن مثل هذه الأساليب النفسية: Sayar: 'The Empire of the Seljuqids' in J. of Near Eastern studies, vo١., ١٠ p. ٢٧٧.

٤. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٤٢.

٥. ن.م. ج٩، ص٢٤٣.

٦. ابن القلانسى، ص١٦٠.

الفصل الخامس

الإدارة فی عهد المزیدیین

إن ما طلبه العباسیون من بنی مزید فی الأمور الإداریة والمالیة هو دفع مبالغ من المال سنویاً تُقرر مقدارها سلطة بغداد کما یبدو، وأن یذکروا أسم الخلیفة والسلطان فی خطبة الجمعة، وأن یقدموا المساعدات العسکریة الی سلطة بغداد فی أوقات الأزمات، وأن یسکّوا إسمهما علی النقود، وکان علی بنی مزید حفظ الأمن وصدّ غارات القبائل الأخری، وتأمین طُرق الحُجّاج.

کانت علاقة الخلیفة العباسی بالأمراء فی العراق، إداریاً، قویة. فقد ذکر ابن الجوزی فی سنة ۳۹۶هـ أن الخلیفة القادر جلس لقرواش بن المقلد العقیلی صاحب الموصل ولقبه بمعتمد الدولة وأقطعه کوثی ونهر الملک[۱]. وفی سنة ۴۶۷هـ جلس المقتدی بأمر الله فوصل دبیس مع الآخرین لمبایعته[۲]. وخلع الخلیفة

۱. ابن الجوزی، ج۸، ص۱۴۷.

۲. نفس المصدر، ج۸، ص۲۹۲.

على صدقة بن مزيد خِلعاً لم تُخلع على أمير من قبله[1]، وأقطعه الخليفة المستظهر مدينة الأنبار ودمما والفلوجة[2]. وفى سنة ٥٢٣هـ بذل دبيس بن صدقة مائة ألف دينار من أجل الحصول على رضا الخليفة[3] وفيها أيضاً أرسل دبيس الى الخليفة المسترشد يقول له: "إن رضيت عنى رددت أضعاف ما ذهب من الأموال وأكون المملوك"[4]. كما كانوا ـ أى الأمراء ـ يُقبّلون أيادى الخليفة طالبين منه الصفح والعفو عمّا بدر عنهم. كل هذه الأمور تبين أرتباط بنى مزيد بالخليفة وإحترامهم له، وتدلل أيضاً على أن القرارات الإدارية كانت تصدر بواسطته بعد أن يوقّع عليها، كما تقدم، ففى سنة ٣٨٦هـ مثلاً عندما أتفق المقلد بن المسيب العقيلى وبهاء
الدولة البويهى على شروط الصلح جلس القادر بالله للتوقيع عليها[5] كما أن الخليفة كان يتدخل فى تعيين الموظفين، فقد قبّل الأمير فخر الدين قويدان، قائد الجنود، الأرض بين يدى الخليفة وطلب منه الحلّة[6]
وعندما أخرج الخليفة بنى أسد من الحلّة سنة ٥٥٨ـ٥٥٩هـ أستلمها نوّاب الخليفة[7]. ومع ذلك فقد كان موقفه خلال الفترة البويهية والسلجوقية ضعيفاً، إذ أنه لم يستطع رفض ما يقترحه السلطان الذى كان يتمتع بنفوذٍ واسعٍ وسلطةٍ إدارية كبيرة. كما كانت علاقة أمراء بنى

---

١. نفس المصدر، ج٩، ص٢٣٦.
٢. نفس المصدر والصفحة.
٣. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٤٩.
٤. ابن الجوزى، ج١٠، ص١٢؛ الذهبى، العبر، ج٤، ص٥٢.
٥. الروذراورى، ص٢٦٣؛ ابن الأثير، ج٩، ص٤٧.
٦. البندارى، ص٢١٨.
٧. ابن كثير، ج١٢، ص٢٤٦.

مزيد بالسلاطين قوية أيضاً، إذ لا يتم لأحدهم أن يصبح أميراً إلا بعد موافقة السلطان تحريرية، كما أنه لا يقوم بأى عمل ضد مصلحة السلطان. ففى سنة ٤٠٣هـ أرسل على بن مزيد أبنه دبيساً نيابةً عنه "يسأل ـ السلطان ـ تقليده ولاية عهده وإقرار أعماله فى يده... وكتب له المنشور بولايته"[١]. ومع أننا لم نعثر على نص من منشورات إقرار الولاية، إلا أنه لا بد وأن يتضمن تأييد ولاية الأمير. وفى سنة ٤٠٩هـ عندما أختلفت العشيرة على من يتقلد الإمارة، ذهب المقلّد أخو دبيس بن على الى بغداد وبذل الأموال للأتراك[٢]. وكان الهدف من ذلك الحصول على تأييد العاصمة والسلطان لإمارته بصورةٍ شرعية.

وهناك روايات أخرى تؤيد تبعية إمارة بنى مزيد للسلطان، ففى سنة ٤٧٤هـ أقرّ السلطان إمارة دبيس[٣]. وفى سنة ٤٧٩هـ ولّى السلطان ملكشاه الأمير صدقة ما كان لأبيه من نفوذٍ ومناطق[٤] وفى سنة ٥١٢هـ، وافق السلطان محمود على إمارة دبيس بن صدقة[٥] وفى سنة ٥٣٢هـ أقرّ السلطان مسعود محمد بن دبيس أميراً لبنى مزيد[٦]. كل ذلك يبين مدى تدخل السلطان ومدى سلطته فى جعل الإمارة المزيدية شرعية.

---

١. ابن الجوزى، ج٧، ص٢٨٩.
٢. ابن الأثير، ج٩، ص١١٤.
٣. ابن كثير، ج١٢، ص١٢٢.
٤. ابن الأثير، ج١٠، ص٥٦.
٥. ابن كثير، ج١٢، ص١٨٢.
٦. ابن الأثير، ج١١، ص٢٥.

والسلطان هو الذى يمثل الدائرة الرسمية فى توزيع الوظائف والإقطاعات ففى سنة ۴۲۰هـ جاءه أبناء ثمال الخفاجى ـ من بنى خفاجة ـ لضمان حماية سقى الفرات من بنى عقيل[۱]. وفى سنة ۴۹۸هـ ردّ السلطان محمد أمر مدينة واسط الى سيف الدولة صدقة[۲]وفى سنة ۵۲۱هـ أقطع السلطان سنجر الحلّة الى دبيس[۳] وكثيرة هى الحالات التى توضح مكانة السلطة والسلطان القوية فى الأمور الإدارية.

كما توجد دلائل أخرى تبين مدى الأرتباط بين المزيديين والسلطان، ففى سنة ۴۹۴هـ طلب السلطان بركياروق من صدقة بن مزيد أن يدفع الأموال المتبقية عليه لخزانة السلطان وقال فى رسالته: "فإن أرسلتها وإلا سيّرنا العساكر الى بلادک[۴]". وكذلک حدث سنة ۵۰۱هـ ۵۰۱هـ عندما أمر السلطان الأمير صدقة أن يسلمه سرخاب بن كيخسرو الذى كان السلطان غاضباً عليه[۵]. وكان دبيس "مقيماً فى خدمة السلطان منذ عشر سنين"[۶] فضلاً عن أرتباط الأمراء بالسلطان مالياً، فقد كان يحدد مقدار المبلغ الذى يدفعه المزيديون سنوياً[۷]. وهناک روايات عديدة بينت ذكر المبالغ التى يرسلها الأمير المزيدى للسلطان فى بعض المناسبات.

---

۱. نفس المصدر، ج۹، ص۸۸.

۲. ابن الجوزى، ج۹، ص۱۴۳.

۳. ابن واصل، مفرج، ج۱، ص۴۸.

۴. ابن الجوزى، ج۹، ص۱۲۴؛ ابن الأثير، ج۱۰، ص۱۱۴.

۵. ابن الجوزى، ج۹، ص۱۵۶.

۶. البندارى، ص۱۱۱.

۷. أنظر: الروذروارى، ذيل، ص۲۹۵؛ ابن الجوزى، ج۹، ص۲۳۶.

ففی سنة ۵۱۴هـ بعث دبیس زوجته ومعها عشرون ألف دینار للحصول علی رضی السلطان، وقد طلب هذا أکثر من ذلک[۱]. وفی سنة ۵۲۳هـ بعث دبیس للسلطان رسالة وثلاثة بغال علیها صنادیق المال وخمسة وخمسون مهراً عربیة[۲]. ولما سار السلطان فی تلک السنة لمحاربة دبیس بذل هذا للسلطان مائتی ألف دینار لکی یرضی عنه، ولکنه فشل فی ذلک[۳]، ومن المحتمل أن هذه المبالغ کانت ضمن الأموال المقررة سنویاً علی بنی مزید، إلا أنها متبقیة علیهم کدیون، وعندما یکون الضغط علیه شدیداً للمطالبة بها یضطر الأمیر المزیدی علی دفعها جمیعاً أو یلجأ الی دفع قسم منها، وهذا ما حدث زمن صدقة بن مزید عندما قال له السلطان برکیاروق: "قد تخلف عندک لخزانة السلطان ألف ألف دینار وکذا وکذا دینار لسنین کثیرة فإن أرسلتها وإلا سیّرنا العساکر الی بلادک[۴]". وهذا یعنی أن تراکم الأموال وعدم الإیفاء بها فی مواعیدها ظاهرة تکرر حدوثها عند بنی مزید، والروایة تؤکد أن تلک الأموال التی قدموها الی السلطان کانت ضمن الأموال المقررة علیهم.

إن أکثر الروایات المتقدمة تبین بجلاء علاقة المزیدیین بالسلاطین السلاجقة، فی حین لم ترد أخبار عن مثل هذه العلاقة فی الفترة البویهیة وقد یرجع سبب هذا الی أن مرکزیة الإدارة

---

۱. ابن الجوزی، ج۹، ص۲۱۸؛ سبط ابن الجوزی، ج۸، ص۹۱.

۲. ابن الجوزی، ج۱۰، ص۱۲.

۳. ابن الأثیر، ج۱۰، ص۲۴۹.

۴. ابن الجوزی، ج۹، ص۱۲۴؛ ابن الأثیر، ج۱۰، ص۱۱۴ ـ ۱۱۵.

فى الفترة السلجوقية كانت أقوى منها فى الفترة البويهية. كما أنها تشير الى مكانة السلطان القوية المستمدة من قوة جيشه وسعة الأراضى التى كان يحكمها[1]. والشخص الذى يملك هذه السلطة والمكانة، لابد وأنه يكون المصدر الرئيس لكل ما يحدث فى بلاده الواسعة.

ومما يجدر ملاحظته من كل ما تقدم، أن هناك خزانة أو مالية خاصة بالسلطان وأخرى خاصة بالخليفة، وهما ـ كما يبدو ـ منفصلتان، وأن ما يدخلهما من أموال ترجع الى ما تدرّه الإقطاعات والأملاک والأمور الأخرى التى يملكها الخليفة والسلطان. ففى الرواية السابقة يظهر أن الأموال التى كان يرسلها صدقة تذهب الى خزانة السلطان الخاصة، إذ يقول له: "قد تخلف عندک لخزانة السلطان ألف ألف دينار[2].." ومن المحتمل أن بعض تلک الأموال كانت تذهب الى خزانة الخليفة. كما أن هناک علاقة بين الخزانتين، فإذا ما أحتاج السلطان الى الأموال فإنه يطلبها من خزينة الخليفة، وهذا ما حدث عندما قطع صدقة بن مزيد الخطبة بأسم السلطان بركياروق، ورفض إرسال الأموال المطلوبة منه، الأمر الذى دفع السلطان الى طلب المساعدة من الخليفة، فساعده بخمسة آلاف دينار[3]. وقد يقوم السلطان بمصادرة خزينة الخليفة، كما حدث زمن البويهيين والسلاجقة[4].

---

١. كانت أملاک السلطان محمد فى سنة ٤٩٧هـ تمتد من نهر أسبيذروذ الى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وديار ربيعة ومدينة حلب وما بينها من الجزيرة الفراتية ومن العراق بلاد صدقة ابن مزيد. أنظر: ابـن الأثيـر، ج١٠، ص١٣٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص١٣؛ أبا الفداء، م١، ج٤، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

٢. ابن الجوزى، ج٩، ص١٢٤؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١١٤ ـ ١١٥.

٣. ابن الجوزى، ج٩، ص١٢٤.

٤. أنظر: ابن الأثير، ج١٠، ص٥، ١٤؛ الحسينى، ص١٠٨؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص٤٠٢؛ الـدورى، تـاريخ العـراق الإقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، ص٢٥٠.

سلطات وواجبات المزيديين

لا تذكر الروايات الأولى عن بنى مزيد شيئاً عن أرتباطهم بالدولة من الناحية الإدارية والمالية، ولذلک يظهر أن حمايتهم لبعض المدن فى منطقة الفرات الأوسط كانت نتيجة لخوف البويهيين من هجمات القبائل على المنطقة. فقد كان مزيد زعيم بنى مزيد حامياً لسورا وسوادها دون مقابل[1].

لقد وصف الخوارزمى الحماية بقوله: "أن تحمى الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل ويوضع عليها شئ يؤدى فى السنة لبيت المال فى الحضرة أو بعض النواحى"[2]. الأمر الذى يدل على أن حماية مزيد لسورا وسوادها كان مقابل مبلغ من المال يدفعها لسلطة بغداد سنوياً.

وقد كانت بعض المراكز من منطقة الفرات الأوسط قبل مجئ المزيديين تحت حماية بعض الأشخاص ففى سنة ٣١٢هـ كان جعفر بن ورقاء يتقلد أعمال الكوفة بطريق مكة[3] وفى سنة ٣٨٦هـ كان المقلد العقيلى حامياً قصر ابن هبيرة وغربى الفرات[4]

---

١. ابن الجوزى، ج٩، ص٢٣٥.

٢. الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص٤٠.

٣. مسكويه: تجارب الأمم، ج١، ص١٤٥.

٤. الروذراورى: ذيل، ص٢٨٣.

مقابل ألف ألف درهم غياثية سنوياً[1]. والظاهر أن الحماية أصبحت لبنى مزيد بعد بنى عقيل، وأنهم قد دفعوا الأموال مقابل ذلک. وأغلب الظن أنهم وضعوا على كل قرية من قرى المنطقة مقداراً من المال يدفعها أهل القرية سنوياً للحامى الذى كان بدوره يجمع ما حصل عليه ويدفعه للدولة، بعد أن يُبقى له نصيباً منها.

والظاهر أن هؤلاء، الذين تقلدوا حماية المنطقة قد أستعملوا نقوداً مختلفة، فبنو عقيل كانوا يدفعون الدراهم الغياثية[2]، التى قال الروذراورى أن عيارها كان: "ثمانية ونصف حرفاً فى كل عشرة"[3] بينما دفع على بن مزيد ٤٢٠هـ عشرة آلاف ديناراً سابورية مقابل إعادته للولاية[4]. وقد أعتبر (كاهين) هذا الدينار نفسه الدينار النيسابورى[5] الذى يعادل سبعة عشر قيراطاً[6]. الذى أقصده من ذلک أنهم استعملوا النقود المستعملة فى بغداد وهذه كانت متنوعة. وكانت هذه النقود تُحمل الى بغداد، كما فعل دبيس بن صدقة سنة ٥٣٠هـ حين أرسل ثلاثة بغال تحمل صناديق المال[7].

ص: ٢٢١

---

١. نفس المصدر، ص٢٩٣.

٢. تنسب هذه الدراهم الى بهاء الدولة أبى نصر الملقب (غياث الأمة أو غياث الدين) وكانت تستعمل فى واسط، الروذراورى: ص٢٥٤؛ أنستاس الكرملى: النقود العربية، ص١٣٢؛ Cahen: 'Quelques problemes economiques et fiscaux de L'Iraq Buyids 'in Annales L'institute d'etudes des orientales (١٩٥٢) vol. ١٠, p. ٣٤٠.

٣. الروذراورى: ص٢٥٤.

٤. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

٥. Cahen: op. cit, p. ٣٣٠ وقد تردد أستعمالها أيضاً سنة ٤٢٣هـ ابن الجوزى: ج٨، ص٦٥. وسنة ٤٢٥هـ ابن الجوزى: ج٨، ص٧٨. وكانت النيسابورية من النقود المشهورة والتى أعترف الخليفة بها، ابن الجوزى: ج٨، ص٨٨.

٦. مخطوطة الحاوى فى الحساب: ص١٠٩ب.

٧. ابن الجوزى: ج١٠، ص١٢.

فحماية مزيد لمنطقة سورا وسوادها كان مقابل أموال تقرر مقدارها الدولة، وهناک عدّة روايات تؤيد ذلک ففی سنة ۳۸۷هـ طلب بهاء الدولة البويهی المال من علی بن مزيد ولكنه رفض وقطع خطبته وخطب لصمصام الدولة[۱]. وهذه الرواية تبين وجود شرط مالی علی بنی مزيد، ولكنها لا توضح مقدار المال وهل كان ثابتاً أم لا؟ ويتضح هذا كثيراً فی سنة ۳۹۳هـ حين قرر عميد الجيوش البويهی أربعين ألف دينار سنوياً علی علی بن مزيد لقاء تصرفه بشؤون بلاده[۲] وهذا يدل علی أتباع طريقة مالية خاصة، وهی أن إدارة المنطقة كانت بمثابة دفع إيجار أو ضمان عنها. كما أنها تدل علی سيطرة ابن مزيد علی تلک المنطقة وأنه أصبح الحامی الشرعی لها.

كان لإرتباط المزيديين ببغداد وإرسالهم الأموال إليها، أثر كبير فی مالية أو ميزانية العاصمة، ففی سنة ۴۹۴هـ عندما قطع صدقة بن مزيد الخطبة لبركياروق أرسل هذا الی الخليفة يقول له: "بأن المطالب قد أمتنعت ولا بدّ من إعانتنا بشئ نصرفه الی العسكر فتقرر الأمر علی خمسة آلاف دينار"[۳] ويعنی أن قطع الأموال والضرائب قد أثّر علی خزينة السلطان والخليفة.

والظاهر أن المبلغ الذی كان يدفعه المزيديون غير ثابت، فتارةً يرتفع وأخری ينخفض

---

۱. الروذراوری: ص۲۹۵.

۲. ابن الجوزی: ج۹، ص۲۳۶؛ ابن كثير: ج۱۱، ص۳۳۲.

۳. ابن الجوزی: ج۹، ص۱۲۴؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۱۴ ـ ۱۱۵.

ففی سنة ۴۲۰هـ هرب دبیس بن علی الی نجدة الدولة الذی تکفّله لدی سلطان بغداد بعشرة آلاف دینار إذا أُعید الی ولایته[۱]. وهذا المال لم یکن ضمن الضریبة السنویة بل کان وسیلة لإرضاء السلطان، إذ أنه فی سنة ۴۷۴هـ تقرر علی منصور بن دبیس دفع أربعین ألف دینار سنویاً کما فی السابق[۲]. ثم کان فی سنة ۵۱۵هـ عندما ضمن دبیس ابن صدقة الحلّة بألف دینار وفرس یومیاً[۳] فقط، وتعادل ثلاثمائة وستین ألف دینار وثلاثمائة وستین فرساً سنویاً، ومن المحتمل أن هذا المبلغ لم یکن وقتیاً، وهو یختلف عن الأموال السابقة بکونه علی الحلّة فقط، بینما کانت الأموال السابقة علی عدّة مراکز حضریة فی المنطقة، مما یدل علی أهمیة الحلّة بالنسبة لغیرها من المدن. وبذلک نستطیع تقسیم الضرائب المالیة علی بنی مزید الی ما قبل تأسیس الحلّة حیث کان الضمان أربعین ألف دیناراً سنویاً أما بعد تأسیسها فقد أرتفع الضمان نتیجة لتوسع المزیدیین وسیطرتهم علی مناطق واسعة. کما یُحتمل أن المبلغ المذکور کان مرتبط بالظروف السیاسیة، خاصةً وأن حیاة دبیس کانت مضطربة سیاسیاً ومهددة وأنه إن لم یقدم الأموال المغریة للدولة فقد تلجأ الی أن تسلبه أملاکه. والدلیل علی هذا ما کان سنة ۵۴۷هـ حین ضمن مهلهل بن أبی العسکر الحلّة بتسعین ألف دینار سنویاً[۴] وهو أقل من المبلغ السابق بکثیر، ربما یرجع الی الهدوء والإستقرار الذی تمیزت به فترة مهلهل.

ص: ۲۲۳

---

۱. ابن الأثیر: ج۹، ص۱۴۱.

۲. البنداری: ص۶۷.

۳. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۲۲۵.

۴. ابن الجوزی: ج۱۰، ص۱۴۸.

وعلى أغلب الظن أن أرتفاع أموال الضمان وإنخفاضها يرجع الى ما يطلبه السلطان من الأمير المزيدى، والى وضع الدولة العام، لذلک كانت غير ثابتة.

والضمان فى العُرف المالى العباسى هو تكفّل المنطقة[1] وما تحتاج إليه من إصلاحات وأعمال لقاء مبلغ من المال. وقد ذكر الصابى أهم الأعمال التى يقوم بها الضامن فعليه أن "يُنفق على كرى الأنهار وحراسة البزندات والبَثوق"[2] وعليه حفظ الأمن والإستقرار. والمعروف أن الضامن قد يضمن عدّة مناطق ففى القرن الثالث الهجرى، فى عهد الخليفة المعتضد، كان أحمد ابن محمد الطائى ضامن أعمال سقى الفرات ودجلة وجوخى وواسط وكسكر وعدّة طساسيج[3] وكان للضامن الحق فى جمع ناتج المنطقة المضمونة والتصرف به حسبما يشاء، وأحياناً قد لا يرسلها الى بغداد، كما حدث فى سنة ٣٠٩هـ حين منع حامد بن العباس حمل خراج العراق وخوزستان وأصفهان الى بغداد مما أدى الى أرتفاع الأسعار فيها[4]. ويُحتمل أن هناک بعض الأنظمة والقوانين التى تُحدد من ذلک التصرف، إلا أن المقصود، بما قدمناه، بيان سلطة الضامن الذى يستطيع أن يحتكر الناتج مما يؤدى الى شحة عرضه فى السوق وبذلک ترتفع الأسعار التى تعود فائدتها له. وبيّن الصابى أيضاً أن الضمان

---

١. فقد جاء فى كتب اللغة أن الضمان يعنى كفالة الشئ. أنظر: الفيروز آبادى: القاموس المحيط (مادة ضمن) ج٤، ص٢٤٣؛ ابن منظور: (مادة ضمن) ج١٣، ص٢٥٧؛ الزبيدى: تاج (مادة ضمن) ج٩، ص٦٥. وأستعمله ابن الأثير فى هذا المعنى عندما هرب دبيس سنة ٥٢٣هـ فإن السلطان أستدعى الأشخاص الذين ضمنوه، ج١٠، ص٢٤٩.

٢. الصابى: الوزراء، ص٤٠؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٢٩ وما بعدها.

٣. الصابى: ص١٥.

٤. القرطبى: صلة الطبرى، ص٨٥؛ متز: ج١، ص٢٢٩.

يجوز لأى شخص، فمما يُحكى عن الوزير أبى الحسن بن الفرات قال لأحد الكُتّاب: "إنما يرغب فى عقد الضمان على تاجر ملى أو عامل وفى أو تان غنى فأما أصحاب الحروب فعقد الضمان عليهم"[1].

وكان تقدير مال الضمان سنوياً عادةً، فقد قُرر على على بن مزيد سنة ٣٩٣هـ دفع أربعين ألف دينار سنوياً لقاء تصرفه بشؤون بلاده[2]. ويبدو أن الدولة كانت تتدخل فى حالة عدم دفع الضامن المبلغ المقرر ـ كما لاحظنا فى تهديد بركياروق لصدقة ـ كما أنها تتدخل فى حالة عدم رضى الناس على الضامن.. فقد حدث فى فترة على بن دبيس بن صدقة حينما أشتكى الناس منه عند السلطان، فأرسل السلطان أحد أتباعه بدلاً من على بن دبيس[3].

والظاهر أن الضامن أصبح مظهراً من المظاهر التى قد تؤدى الى أنفصال المنطقة عن العاصمة فى الأمور الداخلية والإدارية والمالية (عدا ما قام به السلطان من تعيين بعض الموظفين على الحلّة) ويكون أرتباطها بالعاصمة فى السياسة الخارجية وفى تكوين الجيش، غير أنه قد يقف متولّى الضمان ضد الحكومة المركزية.

لقد بدأ ضمان بعض المدن فى منطقة الفرات الأوسط منذ القرن الثالث الهجرى فكان ضمان أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة وباروسما الأعلى والأسفل فى كل يوم سبعة آلاف دينار وفى كل شهر ستة آلاف دينار[4]. وهذه الرواية تُظهر رخاء المنطقة وأهميتها. فمبلغ سبعة

---

١. الصابى: ص٨٢؛ متز: ج١، ص٢٣٠.

٢. ابن الجوزى: ج٧، ص٢٢٣.

٣. ابن الأثير: ج١، ص٥٠.

٤. الصابى: ص١٤؛ ربما ستة آلاف ألف دينار أو سبعة آلاف درهم يومياً.

آلاف دينار يومياً يعادل مليونى دينار سنوياً تقريباً عدا الزيادة الشهرية البالغة ستة آلاف ديناراً شهرياً ـ والمبلغ فى الواقع فيه مبالغة كثيراً ومن المحتمل أنه غير صحيح ـ فى حين كان المزيديون مسيطرين على مراكز عديدة من تلك المنطقة ولكن لم تبلغ الأموال المقررة عليهم مثل ذلك، وهذا الأمر يُظهر ضعف الإدارة فى الفترة البويهية والسلجوقية، فقد كان هدف الأمير الحصول على الأموال بصورة رئيسة.

كما كان العقيليون ضامنين لمناطقٍ أخرى فى الفرات الأوسط قبل مجئ المزيديين مثل الكوفة وقصر ابن هبيرة والجامعين[1] وفى سنة ٣٨٦هـ أو ٣٨٧هـ [2] تصالح المقلّد العقيلى مع بهاء الدولة البويهى على بعض الشروط ومن بينها أن يحمل المقلد عشرة آلاف دينار الى بهاء الدولة كهدية، ولا يأخذ بهاء الدولة سوى رسم الحماية، وأن يقدم المقلد ألف ألف درهم غياثية سنوياً، مقابل تلك الحماية[3]. وهذا يدل على وجود ضريبة أخرى عدا ما يحصل عليه الحامى من جباية الناتج، والظاهر أن الحماية والضمان تعنيان نفس المعنى، فقد ذكر الخوارزمى أن الحامى عليه أن يدفع مقدار من المال سنوياً للعاصمة[4].

إذن فقد كان الضمان المذكور يمثل نوع العلاقة الإدارية بين السلطان والأمير المزيدى، كما أن هناك نوعاً آخر من الضمان بين الأمير المزيدى وغيره من الأمراء. ويرجع هذا الى

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٤٧.

٢. الروذراورى: ص٢٩٣.

٣. نفس المصدر والصفحة؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٧.

٤. الخوارزمى: مفاتيح، ص٤٠.

أتساع نفوذ بنى مزيد وسيطرتهم على بعض المناطق، فحينما سيطر صدقة على واسط والبطيحة، فقد ضمن واسطاً الى مهذب الدولة ابن أبى الجبر صاحب البطيحة بخمسين ألف ديناراً سنوياً[1] ويبدو أن صدقة لم يستطع إدارة بلاده بعد توسعها، بصورةٍ مباشرة. فكان هذا الضمان يشمل نفس الشروط والواجبات التى كانت بين السلطان والآخرين، فعليه حماية واسط والقيام بالأعمال العمرانية، كما أنه عليه أن يقدم للأمير المزيدى مبلغاً كل سنة. وكان للأمير المزيدى الحق بأتباع أى وسيلة ردع فى حالة تأخر الأموال المقررة دفعها، وحدث هذا عندما أنفق أبناء مهذب الدولة، صاحب البطيحة الأموال وأنقضت السنة ولم يقدموا المبلغ الذى فى ذمتهم، مما جعل صدقة يطالب صاحب البطيحة بالمال، وأخيراً سجنه[2].

ويبدو أن الضامن كان يدفع المال المقرر عليه سنوياً عن المنطقة كلها، وله الحق فيما يحصّله من فائض، فمثلاً عندما دفع المزيديون الأربعين ألف ديناراً أو التسعين ألف ديناراً على المنطقة كلها، لا يكون للسلطان الحق فى التدخل بما يحصله الأمير المزيدى إذا أراد تضمين أو تأجير بعض الأجزاء منها للآخرين إلا أننا لا نعلم هل كان يجوز تغيير مبلغ الضمان؟

وهناک نوع آخر من الضمان، يمكن تسميته بالضمان الجزئى أو الداخلى فقد رويت رواية عن سوق الغزل فى قصر ابن هبيرة سنة ٤١٥هـ أن نصفه كان مضموناً بسبعمائة دينار

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤١؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٤؛ ابن الوردى: ج٢، ص١٥.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٣ ـ ١٦٤؛ ابن خلدون: م:٤، ص٦٠٤ ـ ٦٠٥.

والنصف الآخر بألف دينارٍ[1]، وهذا يعنى أن ضامن المدينة أو المنطقة له حق تضمين الأسواق والأراضى مقابل مبلغ من المال سنوياً. ويُحتمل أن ضامن السوق عليه تحصيل المبلغ من المحلات والإيجارات، وعليه أيضاً تنظيم السوق. إلا أن هذا الضمان يختلف عن الضمان بين الأمير المزيدى والسلطان، أو الأمير المزيدى والآخرين، فالأول يمثل جانباً إقتصادياً بالدرجة الأولى، بينما كان الضمان الآخر يمثل جانباً سياسياً فضلاً عن وجود علاقة إقتصادية.

أما الإقطاع، فإن المعنى اللغوى له كأن تقول: "أقطعنى إياها أى أذن لى فى أقتطاعها، وأقطعه قطيعة أى طائفة من أرض الخراج، وأقطعه نهراً أى أباحه له"[2] وقال الخوارزمى: "الإقطاع أن يقطع السلطان رجلاً فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائعاً.. والقطيعة تكون لعقبه من بعده"[3]. ولأبى يوسف نفس الرأى فقد قال: "وكل من أقطعه الولاة المهديون أرضاً من أرض السواد وأرض العرب والجبال.. فلا يحلّ لمن يأتى بعده من الخلفاء أن يرد ذلک ولا يخرجه من هو فى يده وارثاً أو مشترياً فأما أن يأخذ الوالى من يد واحد أرضاً وأقطعها آخر فهذا بمنزلة الغاصب"[4] والإقطاع نوعان إقطاع تمليک وغير تمليک[5]، ويمكن

---

١. ياقوت: معجم البلدان، ج۴، ص۱۲۳ ـ ۱۲۴. عن هلال بن المحسن فى كتابه بغداد.

٢. ابن منظور: ج۱۰، ص۱۵۳؛ وما بعدها (مادة قطع)؛ الزبيدى: تاج، ج۵، ص۴۷۴.

٣. الخوارزمى: مفاتيح، ص۴۰.

۴. أبو يوسف: الخراج، ط۲، ۱۳۵۲هـ ص۶۰.

۵. الماوردى: الأحكام السلطانية، ص۱۸۳؛ ابن منظور: ج۱۰، ص۱۵۳ وما بعدها؛ الزبيدى: تـاج، ج۵، ص۴۷۴ (مـادة قطع).

الإقطاع فی البلاد التی "لا ملک لأحد فیها ولا عمارة فیها لأحد"[1] من کل ما تم عرضه فالإقطاع ملک لصاحبه وهو وراثی، ولصاحبه الحق بإقطاعه من یشاء، ولا یجوز للدولة أن تتدخل فی ذلک، وإذا ما أعترضت الدولة أو أسترجعت الإقطاع فإنه یعدّ أغتصاباً.

وقد أقطع الخلیفة والسلطان للمزیدیین بعض الإقطاعات، ففی سنة ۴۴۱هـ أقطع الملک الرحیم دبیس بن مزید حمایة نهر الصلة ونهر الفضل[2]. وأقطع الخلیفة صدقة بن مزید الأنبار ودمّما والفلوجة[3]. من هذا یتضح وجود إقطاعات خاصة بالخلیفة وأخری خاصة بالأمیر البویهی، لأن الخلیفة فی الفترة البویهیة جُرّد من أکثر صلاحیاته وأصبح له موظف إداری فقط "یدبر إقطاعاته وإخراجاته"[4] ویظهر أن کِلا الإقطاعین کانا منفصلین عن بعضهما وللخلیفة أو الأمیر البویهی الحق بمنحه الی من یشاء. کما کان للأمیر المزیدی بعض الإقطاعات ضمن أملاکه، ففی سنة ۴۴۵هـ عندما حدثت الحرب بین دبیس بن علی وأخیه، وکانت نتیجتها الصلح بین الطرفین علی أن یقطع دبیس أخاه إقطاعاً[5]. والظاهر أن إقطاع الأمیر المزیدی کان مستقلاً، إذ لم ترد إشارة الی أعتراض الدولة أو تدخلها فی الأمر. ومن المحتمل أن تکون الإقطاعات التی یملکها المزیدیون هی نفس الأقطاعات التی منحها الخلیفة أو السلطان لهم.

---

۱. ابن منظور: ج۱۰، ص۱۵۳؛ الزبیدی: تاج، ج۵، ص۴۷۴.

۲. ابن الأثیر: ج۹، ص۲۰۷؛ ابن خلدون: م۴، ص۵۹۵.

۳. ابن الجوزی: ج۹، ص۲۳۶.

۴. ابن الأثیر: ج۸، ص۱۶۱؛ السیوطی: تاریخ الخلفاء، ص۳۹۷؛ القرمانی: أخبار الأول وآثار الدول، ۲۶۹.

۵. ابن الأثیر: ج۹، ص۱۶۳.

وفى القرن الرابع الهجرى عندما كانت الدولة لا تستطيع دفع رواتب الجند والقوّاد والوزراء لذا أتبعت طريقة جديدة وهى توزيع الإقطاعات عليهم كما فعل الأمير البويهى معز الدولة سنة ٣٣٤هـ [١]، ويسمى هذا النوع بالإقطاع الحربى[٢]. إن البويهيين لم يأخذوا بفكرة بقاء الإقطاعات الوراثية لدى المقطعين، فقد كان هنالک ديوان يعرف بديوان المرتجعة القائم على أسترجاع الضياع والإقطاعات من الناس[٣].

لهذا فإن إقطاعات الخليفة أو الأمير البويهى الى بنى مزيد تحتمل عدّة وجوه، إما أنهم قد وهبوها لهم نتيجة لخدمات سياسية أو إجتماعية. أو أنها أعطيت لهم نتيجة للظروف السياسية وخوفاً من أعتداء القبائل على الدولة. أو أن الدولة كانت بحاجة الى أموال ومساعدات فكانت تعطى الإقطاعات وتبيعها. غير أنه ما دام إقطاع بنى مزيد إقليماً فمن المحتمل أن يكون إقطاعاً حربياً.

موضوع الإقطاع يجرّنا الى معرفة هل أن الإقطاع كان مقابل مبلغاً من المال أم لا؟ ففى سنة ٣٩٦هـ أستعاد الخليفة ما كان لعلى ابن مزيد من كوثى ونهر الملک وقدّمها الى بنى عقيل[٤]، فالرواية تبين تدخل الدولة فى الإقطاع بينما كان هذا من الناحية القانونية غير

---

١. مسكويه: ج٦، ص١٤٣.

٢. Lambton: Landlord and Peasant in Persia (١٩٥٨) p. ٦١ وقد عددت البروفيسور لامبتون أنواعاً أخرى من الإقطاع فى الفترة السلجوقية مثلاً: (١) إقطاع ممنوح لأفراد العائلة السلجوقية (٢) الإقطاع الإدارى (٣) الإقطاع الحربى (٤) الإقطاع الممنوح للموظفين بدلاً من رواتبهم (٥) الإقطاع الشخصى. أنظر: Lambton: Contributions, p. ٢١٩.

٣. القرطبى: صلة، ص١٤٥.

٤. ابن الجوزى: ج٨، ص١٤٧.

مشروع، ومن المحتمل أن يكون تدخلها لسببٍ مالى كأن يكون فى دفع بنى عقيل مثلاً أموالاً أكثر مما كان يدفعه بنى مزيد ولذلک فقد أستعادت الإقطاعات من بنى مزيد ومنحتها لبنى عقيل. ولعل إقطاعات بنى مزيد كانت من قبيل المنح والهبات عندما تلمس الدولة مساعدة من الطرف المقابل، أو فى الفترة التى يكون هذا الطرف قوياً وعندما تظهر قوة أخرى منافسة قد تحتاجها الدولة أكثر من أحتياجها لبنى مزيد فإنها تُسقط حق بنى مزيد وتحوّل ما أعطته إليهم الى هذه القوة الجديدة.

من هذا كلّه يظهر أن الفرق بين الإقطاع والضمان والحماية، هو أن الإقطاع وراثى ينتقل الى أبناء المُقطَع له ولا تشترط فى المقطع أن يقدم مبلغاً من المال سنوياً تقرر مقداره الدولة. فى حين كان الضمان والحماية مقابل أموال سنوية مقررة. وفى الحماية والضمان يلعب عامل المنافسة للحصول على مناطق الآخرين، كما حدث بين قبيلتى خفاجة وعقيل سنة ۴۰۲هـ فقد وجّه بنو خفاجة أعيان عشائرهم ليضمنوا حماية سقى الفرات التى كانت لبنى عقيل[۱]. أى أن الضمان أو الحماية لم تكن وراثية قانونياً. ويتشابه الإقطاع والضمان والحماية فى أن جميع الأطراف عليها بعض الواجبات التى ينبغى تنفيذها فى المنطقة المقطعة والمضمونة. غير أن الواجبات التى يقوم بها المقطع هى من مستلزمات الأرض المقطعة إذا أراد أن يُحييها، أى أنها لم تكن مفروضة من الدولة. أما الضامن أو الحامى فإنه يجب عليه القيام بتلک الواجبات

۱. ابن الجوزى: ج۸، ص۱۴۷؛ Lambton: Landlord, p. ۵۳, ۶۱, ۶۲, ۶۳.؛ الدورى: تاريخ العراق، ص۲۷ ــ ۳۷.

ككرى الأنهار وحراسة الجسور والبثوق. وكانت الحكومة تعيّن موظفاً مشرفاً الى جانب الضامن "يرى إن كان يتحصل له زيادة على ضمانه"[1] وهذه الصفة لا توجد فى الإقطاع.

كان أمراء بنى مزيد يقومون بالجباية فى المنطقة التى يضمنونها. والجباية تعنى جمع الأموال المقررة على الأراضى الزراعية[2]. لقد قام بعض أمراء بنى مزيد بجباية الأموال بأنفسهم، ففى سنة ٥١٥هـ خرج دبيس بن صدقة من الحلّة الى النيل وأخذ منها الميرة[3]. وفى سنة ٥٢٣هـ جمع دبيس الغلّة وقسّط على القرى الأموال حتى جمع خمسمائة ألف دينار[4]. ولا شک أن قيام الأمير نفسه بجباية الأموال كان فى أوقات وحالات أستثنائية حرجة. فالأمير دبيس كان مغضوباً عليه وكان مطلوباً من قبل السلطان، وكان بحاجة ماسة الى الأموال، لاسيما وأنه قد خطط على الهرب من الحلّة، ولهذا فليس لديه الوقت الكافى لجباية الضرائب كما كان الأمر فى الأحوال الإعتيادية، وقيامه بتقسيط الضرائب خير دليل على ذلک، لأنه أراد جمع المال وكان موقفه حرجاً لا يساعد على الأنتظار حتى يحين موعد الجباية. أما فى الأوقات الإعتيادية، فإننا لم نعثر على رواية تبين أن الأمير شخصياً كان يتولى هذا العمل[5]. فلنرجع إذن الى من قام بها فى بغداد. ففى سنة ٥١٦هـ عندما تغلب

---

١. متز: ج١، ص٢٢٩.

٢. الفيروز آبادى: القاموس (مادة جبى) ج٤، ص٣١٠؛ الزبيدى: ج١٠، ص٦٥.

٣. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٢٧.

٤. قال ابن الجوزى: خمسمائة دينار، ج١٠، ص١٢. بينما ذكر الذهبى: خمسمائة ألف دينار، العبر، ج٤، ص٥٢؛ دول، ج٢، ص٣٣. وهذا ما ذهب إليه ابن كثير: ج١٢، ص٢٠٠. وأعتقد أنه الصحيح.

٥. هناک موظف لدبيس بن صدقة يلقب بالخازن الذى ربما يقابل أمين الصندوق، غير أنه لا يدل على قيامه بجباية الأموال. أنظر: سبط ابن الجوزى: مرآة، ج٨، ص٦٨.

دبيس على منطقة نهر الملک وأراد القبض على القائد البرسقی فإنه بعث الی الخليفة معتذراً له، وأکد بأنه لم يتعرض لنهر الملک ولم ينهبه، وطلب من الخليفة إرسال الناظر ليأخذ دخل القری فی نهر الملک[1]. فالناظر هو الموظف المختص بجباية الأموال، ولا يستبعد أن يکون مثله موجوداً فی إدارة المزيديين، وأنه کان يقوم بجمع الأموال وجباية الضرائب فی الأوقات الإعتيادية.

والظاهر أن هناک طريقة التقسيط فی حالة عدم تمکن أهل القرية من دفع المبلغ بصورةٍ کاملة وفی أوقات محددة، أو فی حالة عدم إستکمال الفصل، وقبل نضوج الناتج، فيضطر المزيديون علی تقسيط المبلغ. کما قام به دبيس من تقسيط الأموال علی القری، ويُحتمل أن هذه الأقساط کانت منتظمة، وأنها بمثابة دين يُدفع فی أیّ وقت. ولا شک أن الضرائب کانت تُفرض علی القرية بصورةٍ عامة، الأمر الذی يوضح وجود رئيس أو شيخ لتلک القرية يهتم بجمع الأموال وتسليمها الی الأمير المزيدی. ولکننا نجهل مقدار الجباية ومدی إشراف سلطة بغداد علی هذه الأمور، وهل أن المقطع يفرض المبلغ الذی يريده أم أنّ هناک تحديداً لذلک؟

موضوع الجباية يتطلب معرفة التقسيمات الإدارية لمنطقة الفرات الأوسط، وذلک لمعرفة المرکز والأقسام التابعة له. فقد کانت أغلب هذه المنطقة منذ القديم مقسمة الی بهقباذات[2]،

---

۱. ابن الأثر: ج۱۰، ص۲۲۸.

۲. کان قباذ بن فيروز والد آنو شروان قد کوّر هذه البهقباذات، وتشمل البهقباذ الأعلی والأوسط والأسفل. ويسمی البهقباذ بالأرض الخيرة دليل علی خصوبته. أنظر: الدينوری: الأخبار، ص۶۸؛ اليعقوبی: تاريخ، ج۱، ص۲۰۲؛ ج۲، ص۱۶۳؛ الطبری: م۱، ص۲۰۵۱، م۲، ص۶۳۵، ۹۲۲؛ أبا يوسف: الخراج، ص۱۱۸. ۱۲۱۰ .El. (۲) vol, ۱ p.

وكان كل بهقباذ يضم عدداً من الطساسيج. فكانت الطساسيج التابعة للبهقباذ الأعلى هى طسوج بابل وخطرنية، وطسوج الفلوجة العليا والسفلى وطسوج النهرين وطسوج عين التمر[١] وكان من بين الطساسيج التابعة للبهقباذ الأوسط طسوج سورا وبريسما وباروسما[٢].

فقد ورد ذكر طسوج خطرنية مع طسوج بابل منذ أوائل العصر الإسلامى[٣] وورد ذكره خلال العصر الأموى[٤] وفى العصر العباسى قلّد الوزير الحسن بن الكرخى بابل وخطرنية الى مظفر بن مبارک[٥] وأشتهر هذا الطسوج مع طسوج بابل بأنتاج بعض المحاصيل الزراعية كالحنطة والشعير[٦].

أما طسوج النهرين الذى أخذ أسمه من موضعٍ قريب من الكوفة أسمه (النهرين)[٧] فقد ورد ذكره خلال العصر الأموى، كما ذكر العلامة الحلّى فى القرن الثامن قرية الجازية وأعتبرها من قرى النهرين[٨].

---

١. ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٣٣؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٧٠.

٢. ابن خرداذبة: ص٨.

٣. أنظر: الدينورى: الأخبار، ص٦٦؛ البلاذرى: فتوح، ص٢٦٥، ٤٥٧.

٤. الطبرى: م٢، ص٥٢٠، ١٩٦٠؛ المسعودى: مروج، ج٦، ص٥٩.

٥. الصابى: الوزراء، ص١٨٩.

٦. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

٧. أنظر: ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، ج٢، ص٢١٨؛ البلاذرى: فتوح، ص٢٥٤، ٢٦٥؛ الطبرى: م١، ص٢٠٥٢، ٢١٨٤، ٢٤٨٥، م٣، ص٢١٢٤؛ المسعودى: التنبيه، ص٣٣١.

٨. رجال العلامة الحلى، ص١١٧ وما بعدها.

مما يدل على أستمرار بقاء الموضع. وأشتهر الطسوج أيضاً بأنتاج الحنطة والشعير[1]. وورد ذكر طسوج الفلوجة العليا والسفلى[2] خلال الفتح الإسلامى[3]، وقد حدّد اليعقوبى موقع الفلوجة العليا، بأنها تبعد أربعة وعشرين فرسخاً عن الكوفة[4] وأما السفلى فإنها تقع غربى قصر ابن هبيرة وتبعد عنه بحوالى سبعة فراسخ[5]. ويقع طسوج الفلوجتين بالقرب من طسوج الجامعين[6] وأشتهر أيضاً بإنتاج الحنطة والشعير[7].

غير أن المعلومات عن هذه البهقباذات والطساسيج تقل فى القرون المتأخرة، وفى العهد المزيدى بالذات، مما قد يدل على أختفاء تلك التقسيمات الإدارية أو أندثارها.

---

١. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

٢. وتسمى الفلوجة الصغرى والفلوجة الكبرى، وكذلک الفلاليج، أنظر: الدينورى: الأخبار، ص١٢١؛ البلاذرى: فتوح، ص٢٦٥؛ الطبرى: م١، ص٢٠٥٢، ٢٠٥٧؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٩١٦؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٠٤٣.

٣. أنظر: البلاذرى: فتوح، ص٢٥٤؛ اليعقوبى: تاريخ، ج٢، ص١٧٦؛ الطبرى: م١، ص٢٠٥١، ٢٠٥٧، ٢٠٥٨؛ الصولى: أدب الكتاب، ج٣، ص٢٢٠.

٤. اليعقوبى: تاريخ، ج١، ص٤١١.

٥. اليعقوبى: البلدان، ص٣٠٩؛ قدامة: ص١٨٥.

٦. سهراب: عجائب الأقاليم، ص١٢٥.

٧. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

ومن المراكز الإدارية الأخرى فى منطقة الفرات الأوسط قصر ابن هبيرة، الذى عُدّ من المدن التابعة لبغداد إدارياً[1] ويوجد فيه بعض العمال[2] وقضاة وكُتّاب[3]، ووالى للصدقات[4] وكانت سورا من مدن الكوفة[5] فيها دار للخراج وعمّال[6]، وقاض[7]. مما يدل أنها كانت مركزاً إدارياً. وأعتبر المقدسى الجامعين من مدن الكوفة[8] أيضاً، وكانت منبراً صغيراً[9]، وهو من الشروط التى يجب توفرها فى المدينة، لهذا أعتبرها ياقوت كورة ومدينة الحلّة قصبة لها[10] وكان لمدينة الحلّة بعض القرى والأماكن المرتبطة بها إدارياً، وتقع بالقرب منها، مثل الصروات[11]، وحصن بشير[12] والمشترک[13]، كما أنه يوجد بعض القرى والأماكن المرتبطة

---

١. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٥٣.

٢. أنظر: الطبرى: م٣، ص١٦٢٤؛ عريب القرطبى: صلة، ص٥٤؛ مسكويه: تجارب، ج١، ص١٧٦.

٣. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

٤. الصابى: ص٢٥٤.

٥. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٥٣.

٦. الطبرى: م٢، ص٩٥٥.

٧. ابن الجوزى: ج٧، ص١٧٨.

٨. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٥٣، ١١٤.

٩. الإصطخرى: مسالک الممالک، ص٨٧.

١٠. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.

١١. نفس المصدر: ج٣، ص٣٨٣.

١٢. ابن جبير: الرحلة، ص١٩١.

١٣. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٥٣٧.

بمدينة النيل مثل الأميرية[1]، والمنقوشية[2] وزاقف[3]. وهذا كله يدل على أن كلاً من مدينتى الحلّة والنيل كانتا مركزاً إدارياً، سيما وأنه يوجد فى الحلّة قاضى قضاة وقضاة[4]. وفى مدينة النيل شُحنة[5]. وفى بابل قاضٍ[6] ومن المحتمل أن تلك القرى كانت محيطة بالحلّة والنيل، وأن الغلّة كانت تجمع منها وتنقل الى المركز غير أننا ينبغى أخذ تعبيرات المقدسى بشئٍ من الدقة وذلك لعدم معرفة بعض معانيها، فمثلاً جعل مدينة القصر إحدى مدن بغداد وهى تبعد حوالى أثنى عشر فرسخاً عن بغداد، فى حين لا يعدّ "الجامعين" القريبة من القصر من مدن بغداد أيضاً، بل من مدن الكوفة ثم أن القصر ـ كما سنلاحظ ـ تأسس قبل بغداد، فكيف كان أرتباطه بها؟ مع العلم أنه مركز إدارى كما بيّنا. وكذلك الحال مع مدينة سورا. ونجهل أيضاً هل أنه قصد بهذا الإرتباط أرتباطاً إدارياً أم شيئاً آخراً؟

ونظراً لتعرضنا الى موضوع الحماية والضمان، لا مندوحة لنا من الإشارة الى الخدمات والواجبات الملقاة على عاتق الضامن أو الحامى، فضلاً عن دفعه الأموال سنوياً.

فمن الواجبات المفروضة على القبائل، حراسة الأماكن العامة المهمة، كما كان بنو خفاجة يحرسون الآبار القريبة من رصافة هشام فى القرن الثانى الهجرى[7] وكما ذكر أن عضد الدولة

---

١. نفس المصدر: ج١، ص٣٦٥.

٢. نفس المصدر: ج٤، ص٦٧١.

٣. نفس المصدر: ج٢، ص٩٠٨.

٤. ابن الجوزى: ج٩، ص١١٨ ـ ١١٩، ٢١٧؛ سبط ابن الجوزى: ج٨، ص٧١.

٥. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٢٧.

٦. ابن قطلوبغا: تاج التراجم فى طبقات الحنفية، ص٧٦.

٧. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٧٨٥ (عن الأصمعى).

البويهى قد راسل المسيب العقيلى ووجوه بنى عقيل قائلاً لهم: "من لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا العراق ويحموا مواد الفساد صرفناكم عن ممالكنا"[1] وبذلک تكون حماية الطرق من الفساد وقُطّاع الطرق من الواجبات الأخرى التى ينبغى أن تقوم بها القبيلة أو الضامن لأن بنى عقيل كانوا قد ضمنوا منطقة الفرات الأوسط قبل بنى مزيد. وبما أن طرق الحج والطرق التجارية كانت ذا أهمية حيوية كبيرة، وأن أضطراب الأمن فيها قد يهدد ذلک المورد الإقتصادى للدولة، لهذا كانت الدولة تحرص كثيراً على ضبط الأمن على تلک الطرق. والرواية السابقة تبين أن القيام بتلک الواجبات كان إجبارياً.

كان على بنى مزيد خدمات وواجبات متنوعة. ففى سنة ۴۰۴هـ "عاثت خفاجة ببلاد الكوفة فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مزيد"[2] وفى سنة ۴۹۸هـ أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز ثم أوصى صدقة بن مزيد حماية أصحاب قايماز من خفاجة فلبى هذا الطلب[3] ومن الواجبات الأخرى نرى فى سنة ۴۵۰هـ الخليفة أمر دبيس بن مزيد "بالوصول الى بغداد فورد إليها فى مائة فارس"[4] وفى سنة ۴۹۸هـ أستدعى السلطان محمّد الأمراء ومن بينهم صدقة وقال لهم حاجبه: "أن السلطان يقول لكم بلغنا نزول الأمير أرسلان بن سليمان بديار بكر وينبغى أن تجتمع آراؤكم على من يتجهز لقتاله"[5] وبذلک فإن الواجبات المطلوبة

---

۱. الروذراورى: ذيل، ص۵۵.

۲. ابن كثير: البداية، ج۱۱، ص۳۵۲.

۳. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۴۸.

۴. نفس المصدر: ج۹، ص۲۳۹.

۵. ابن الجوزى: ج۹، ص۱۴۳؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۴۵.

على بنى مزيد كانت عسكرية بالدرجة الأولى. ولكن رُبّ سائلٍ يقول بأن الكوفة كانت تابعة له وأن محاربته خفاجة لا يعنى كونه واجباً مفروضاً عليه من الدولة، وإنما كانت دفعاً لتهديد وقع على بلاده. ومهما كان الأمر فإنه يعتبر ضامناً لبلاده من الدولة وهو كفيل ونائب عنها، ومن ثم فإن محاربة قبيلة خفاجة يدل على أنها من الواجبات المقررة عليه أيضاً، وهذا ما تصرّح به الرواية الأخرى عندما طلب السلطان حماية أصحاب قايماز الذى عُيّن على الكوفة. فكان بإمكان صدقة رفض ذلک الطلب لو لم يكن من واجباته، لاسيما وأن الموظف قد جاء الى منطقة مجاورة له، وكانت من بلاد آبائه. أما الروايات الأخرى فإنها توضح واجب بنى مزيد فى المشاركة الفعلية فى الجيش.

ومما له علاقة بذلک ما قاله عماد الدين زنكى لأصحابه: "قد ضجرنا مما نحن فيه، كل يوم يملک البلد أمير، ويؤمر بالتصرف على أختياره وإرادته، فتارةً نحن بالعراق وتارةً بالشام وتارةً بالموصل وتارةً بالجزيرة"[1]. تبين هذه الرواية أن الأمراء كانوا يلبون طلبات السلطان، على أعتبار أنها واجبات يجب تنفيذها، وأنهم كانوا يشعرون بالملل والضجر. ومع أنه لم يطلب من أمراء بنى مزيد مثل هذا التنقل، إلا أنهم أستجابوا لمطاليب السلطان بمساعدة الشخص الفلانى عسكرياً، أو محاربة القبيلة الفلانية. إذ أن عماد الدين والأمراء المزيديين متشابهون من حيث قيامهم بالواجبات المفروضة عليهم، لأنهم مرتبطون بسلطة بغداد فى مجالاتٍ متعددة.

وأخيراً لا بدّ من معرفة أمر آخر، وهو المجالات وأوجه صرف الأموال التى تجبى،

---

١. ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٣٠.

فالضرائب تجبى الى الأمير المزيدى ـ وهذا ما لاحظناه عندما جمع الأمير دبيس حوالى خمسمائة ألف دينار من القرى المحيطة بالحلّة[1] ـ وهو الذى يقوم بتسديد الأموال المقررة عليه، كما سبق، ومن المحتمل أنه كان يقوم بتوزيع بعضها على أصحابه. وكان أيضاً يقوم بالأعمال العمرانية التى تتطلبها المنطقة. كما كان الخليفة يقوم ببعض هذه الأعمال أيضاً، خاصةً وأن الحلّة مثلاً تعتبر محطة رئيسة فى طريق الحجّاج، فقد شيّد جسر الحلّة الضخم[2]، لغرض تسهيل عبور الحجّاج. كما بنى الأمير المزيدى دبيس قنطرة على نهر الملك[3] وقام صدقة بن مزيد بشراء مكان من عرب البطيحة على بعد أيام من الكوفة، وأنفق عليه أربعين ألف دينار، وكان منزل يتعذر الوصول إليه، وعمّر الحلّة وبنى لها سوراً وحفر خندقاً وأنشأ فيها البساتين[4] كل هذا يبين أن الأمراء المزيديين كانوا يقومون بتلك الأعمال الإصلاحية والعمرانية.

كان للسلطان إقطاعات خاصة به، وهو يقرر ضمانها وحمايتها ومقدار المبلغ الذى يدفعه الحامى أو الضامن، وكان يُشرف على إدارة البلاد، ولابد أنه يتدخل فى تعيين الموظفين الإداريين فى الحلّة وما هو جوارها من المناطق. ففى سنة ٤١١هـ عندما هُزم قرواش "مدّ نوّاب السلطان أيديهم الى أعماله"[5] وفى سنة ٥٠١هـ حينما قُتل صدقة بن مزيد تصرف

---

١. ابن الجوزى: ج١٠، ص١٢؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص٥٢.

٢. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩.

٣. ابن الجوزى: ج٨، ص١١٤.

٤. نفس المصدر: ج٩، ص٢٣٦.

٥. ابن الأثير: ج٩، ص١٢٠؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص٤٩؛ ابن الوردى: ج١، ص٣٣٣.

كُتّاب الدولة السلطانية فى أعماله[1]. وخلع السلطان محمّد سنة ٥٠٢هـ على سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة بن مزيد وولاه الحلّة السيفية[2] كل هذا يدل على أن السلطان له نفوذ واسع فى تعيين وأختيار الموظفين.

لقد تسلم سعيد بن حميد ولاية الحلّة، ويعنى أنه أصبح والياً عليها، والولاية هى: "الإمارة على البلاد فيولى السلطان أو الملك من يقوم مقامه فى حكومة الولايات وهى الأعمال"[3] فسعيد بن حميد أصبح المتصرف فى شؤون الحلّة الإدارية والداخلية من قبل السلطان، ومرتبط به فى الأعمال التى يقوم بها. والظاهر أنه كان كالحاكم المؤقت فى الحلّة، وعليه واجب تهدئة الأوضاع بعد قتل صدقة سنة ٥٠١هـ والسلطان لا يمكنه ترك الحلّة بيد المزيديين لئلا يلجأوا الى القوة وأخذ ثأر الأمير صدقة. لاسيما وأن سعيداً كان صاحب جيش المزيديين وله إطلاع على أحوال الحلّة. لذلک فإن الولاية كانت وظيفة سياسية على الأكثر. فضلاً عن هذه الوظيفة فقد كان للسلطان شحنة فى مدينة النيل، وتوضح الرواية أن دبيس بن صدقة قد طرده سنة ٥١٥هـ من النيل[4]. ونرى مثل هذه الوظيفة سنة ٥٥١هـ حين

---

١. البندارى: ص٩٤. جعل قتل صدقة سنة ٥٠٠هـ والأصح ٥٠١هـ

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٨.

٣. جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مصر، ١٩٠٢م، ج١، ص١٠٨. وعرّف اللغويون هذه الوظيفة بأنها تعنى الإمارة والسلطان، والوالى هو الذى يملک جميع الأشياء ويمتاز بالقدرة والتدبير والفعل. أنظر: ابن منظور: (ولى) ج٢٠، ص٢٨٧ وما بعدها؛ الزبيدى: تاج (مادة أولى) ج١٠، ص٣٩٩، ٤٠١.

٤. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٢٧.

سيّر السلطان محمّد الى الحلّة والكوفة والبصرة وواسط شحناً ومقطعين وولاة ومتصرفين[1] وفى سنة ۵۵۶هـ كان الأمير قيصر شحنة على الحلّة من قبل السلطان[2] وكذلک عيّن صدقة بن مزيد شحنة على البصرة[3].

ولهذا فلا ضير من التكلم قليلاً عن هذه الوظيفة، فقد قال الفيروز آبادى: "أن الشُحنة فى البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان"[4] ثم أورد أنّ "قول العامة فى الشحنة أنه الأمير غلط"[5] وأنّ "شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان"[6] يظهر من كل هذا أن الشحنة يشبه ما يسمى حديثاً بالحاكم العسكرى الذى يتولى ضبط الأمن، وتتمثل فيه القوة والتدبير والكفاية ويوجد أيضاً شحنة للشرطة[7]، ويختص بالشرطة وضبط الأمن الداخلى، ففى سنة ۴۷۹هـ قُتل أحد الأشخاص بالكرخ لهذا "ركب الشحنة وكبس دار الطاهر نقيب الطالبيين وقد كان لجأ إليها جماعة من المتهمين"[8] وفى سنة ۵۰۰هـ قتل صبى أخته "فركب الشحنة وخرّب المحلة"[9] وكان للشحنة معاون ونائب عنه[10]. والظاهر أن مثل

---

۱. البندارى: ص۲۲۷.

۲. ابن الأثير: ج۱۱، ص۱۱۲.

۳. نفس المصدر: ج۱۰، ص۱۵۰.

۴. الفيروز آبادى: القاموس المحيط، (مادة شحنة)، ج۴، ص۲۳۹.

۵. نفس المصدر والصفحة. وللشحنة واجبات مختلفة منها حماية المدينة، والمحافظة على الأمن، وفى بعض الأحيان يقوم الشحنة بجمع الضرائب. أنظر: Lambton: Contributions, p. ۲۷۷, ۲۸۲.

۶. ابن منظور: (مادة شحنة) ج۷، ص۹۸؛ الزبيدى: تاج، ج۹، ص۲۵۱؛ أيضاً أنظر: El. (۲) (Djaysh) by Cahen.

۷. الصابى: الوزراء، ص۲۷.

۸. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۶.

۹. نفس المصدر: ج۹، ص۱۴۸.

۱۰. نفس المصدر: ج۹، ص۲۲۳.

هذا الموظف موجود فی الحلّة، یعینه السلطان فی الأوقات التی لم یکن فی الحلّة أو المنطقة شخص یدیرها، کأن یهرب الأمیر المزیدی أو یقتل.

کما فوّض السلطان سنة ۵۲۱هـ الی بهروز الخادم[۱] مدینة بغداد والحلّة[۲] والتفویض یعنی حاکماً علی تلک المنطقة[۳]. وهو، کما قلنا یکون فی الأوقات التی تکون فیه الحلّة أو غیرها من المدن التابعة دون أمیر.

وکذلک هناک عدّة روایات تبین دور السلطان ومدی هیمنته علی الوظائف الإداریة قال البنداری أنّ الحلّة وما جاورها خاضعة لتصرف نوّاب السلطان والأمیر المجاهد بهروز الخادم[۴]. ففی سنة ۵۲۶هـ کانت الحلّة بید إقبال المسترشدی أحد موظفی السلطان[۵] وفی سنة ۵۴۲هـ أصبحت الحلّة بید سلار کرد[۶]، أقطعه إیاها السلطان مسعود[۷]. وفی سنة ۵۵۱هـ کانت الحلّة للأمیر قویدان[۸] وفی نفس السنة بعث السلطان محمّد الی الحلّة والکوفة عدّة

---

۱. بهروز الخادم الخصی الملقب مجاهد الدین، وکان شحنکیة بغداد، وأصبح نائباً للسلطان فیها. ابن الجوزی: ج۱۰، ص۵، ۱۷۸؛ البنداری: ص۱۱۱.

۲. ابن الجوزی: ج۱۰، ص۵.

۳. الفیروز آبادی: (مادة فوّض) ج۲، ص۳۴۰؛ ابن منظور: (مادة فوّض) ج۹، ص۷۵.

۴. البنداری: ص۱۱۱.

۵. ابن الجوزی: ج۱۰، ص۲۷.

۶. سلار کرد وقال الحسینی سلارجور بن الزهیری الکردی من أکابر الأمراء السلطانیة. ابن الأثیر: ج۱۱، ص۶۵ ـ ۶۶؛ الحسینی: ص۱۲۹ ـ ۱۳۰.

۷. ابن الأثیر: ج۱۱، ص۵۰.

۸. قویدان هو الأمیر فخر الدین قائد الجنود الذی أصبح حاجب السلطان غیاث الدنیا والدین. ابن الأثیر: الباهر، ص۱۰۸؛ البنداری: ص۲۱۸.

موظفين من مقطعين ومتصرفين وولاة[1] وفى سنة ۵۶۸هـ تسلم يزدن الحلّة[2] كل ذلک يُظهر أتساع نفوذ وسلطة السلطان وتدخله فى تعيين الموظفين المختلفين فى الحلّة وغيرها من المدن، وكثير من هؤلاء ممن تسلم الوظيفة فى الوقت الذى كانت فيه الحلّة تابعة لأمراء بنى مزيد، وفى عهد بعض أمرائها الأقوياء مثل صدقة، ودبيس، ويبدو أن تسلمهم إدارة الحلّة كان فى ظروف أستثنائية، مثلاً حينما يهرب الأمير المزيدى فى الحرب، أو عندما يغضب عليه السلطان أو الخليفة، لذلک تبقى الحلّة دون أمير يديرها، فيعين السلطان موظفاً له معرفة وإلمام بتلک الوظيفة. أما الأمراء المزيديون فإنهم فى الغالب كانوا يطردون ذلک الموظف بعد محاربته، كما حدث بين دبيس وبهروز الخادم الذى أضطر الى الهرب تاركاً الحلّة لدبيس[3] وكذلک بين دبيس وإقبال المسترشدى. وفى سنة ۵۴۲هـ أستطاع على بن دبيس أمتلاک الحلّة وإخراج سلار كرد عنها[4].

ونتيجة لوجود عدّة وظائف فى الحلّة كالشحنة أو المقطع أو المتصرف، فيُحتمل أن لكل موظف أختصاصه فى العمل، فالشحنكية للأمور العسكرية، والمقطعون للأمور الإقتصادية والوالى والمتصرف للشؤون الإدارية. ويُحتمل أنهم كانوا يأخذون رواتبهم من السلطان، لأنه هو الذى يعينهم. ولعل الأمير المزيدى هو الذى كان يعطى رواتب الموظفين الذين يُعينون فى البلاد.

---

۱. البندارى: ص۲۲۷.

۲. ابن الأثير: ج۱۱، ص۱۵۹.

۳. نفس المصدر: ج۱۰، ص۲۴۹.

۴. ابن الجوزى: ج۱۰، ص۱۲۵.

والظاهر أن السلاطين كانوا يختارون الموظفين الصالحين، فمن المزايا التى تمتع بها سعيد بن حميد العمرى الذى ولاه السلطان محمّد الحلّة سنة ٥٠٢هـ أنه كان "صارماً حازماً ذا رأى وجلد"[١] وكان من أصحـاب صدقة وقائد جنده[٢]. لذلک كان له إلمام ومعرفة بمتطلبات الحلّة وواقفاً على أمورها الداخلية. وفى زمن بهروز الخادم سنة ٥٢٣هـ أصبحت "الرعايا آمنة والأذايا مأمونة"[٣]. وكان سلار كرد من أكابر الأمراء السلطانية[٤]. وكان قويدان قائد الجند فى بغداد[٥]. أى أنهم كانوا من المقربين للسلطان ومن ذوى المناصب العالية فى العاصمة، ولهم تجربة وممارسة إدارية.

وكان فى الحلّة، الى جانب أولئک الموظفين، بعض الوظائف الأخرى، فقد كان للأمير صدقة حاجب أرسله الى البصرة لتسلم شرطتها، وخدم هذا كحاجب أبا صدقة وجدّه[٦]. مما يدل على وجود هذه الوظيفة قبل صدقة. ثم أن تسلم الحاجب وظيفة الشرطة فى البصرة يستوجب أحد أمرين، أولهما أنه قام بأعمال صاحب الشرطة الى جانب وظيفة الحجبة فى الحلّة، وثانيهما أنه المهيمن على هذه الوظائف. ولعل المقصود بحاجب صدقة الشخص

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٨.
٢. نفس المصدر: ج١٠، ص١٦٤.
٣. البندارى: ص١١١.
٤. الحسينى: ص١٢٩ ـ ١٣٠.
٥. البندارى: ص٢١٨.
٦. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٠.

المختص به، وإليه ترجع بعض الأمور الإدارية، وعن طريقه تصل الأخبار الى القوّاد وبقية الموظفين، وبالمفهوم الحديث يُقصد به الشخص المتنفذ بالنسبة الى الرئيس[1].

وكان فى الحلّة وظيفة صاحب الجيش أو مقدمه. وكان سعيد بن حميد العمرى يتولاها زمن صدقة[2]. والمقدم يقصد به القائد[3]، وقيل من الألقاب المركبة، وهو الذى يقود ألفاً من الجنود[4]. والراجح أن هذه الوظائف كانت دائمية، لأنها عسكرية ولما كانت الصفة العسكرية هى البارزة عند المزيديين، فإنه يستلزم وجود مثل هذه الوظائف. ويُحتمل أن هذه الوظائف كانت فى الحلّة فقط دون مدن المنطقة الأخرى، لأنها المركز الرئيس للمزيديين. وتوجد فى الحلّة أيضاً وظيفة الخازن[5] الذى يعتبر كالمشرف على خزينة الأمير وأمواله، ومن المحتمل أن تكون أمتيازاته أوسع من ذلک، مثل النظر فى أمور الجباية والإنتاج. وهناک وظيفة الدواتى، وهو الذى يحمل الدواة للكاتب[6].

---

۱. هناک عدّة أختصاصات للحاجب، فكان يقصد به المختص بالأمير والذى له الحجابة والخاتم، الجهشيارى: ص۱۸۰؛ ابن منظور: (مادة حجب) ج۱، ص۲۹۰. أو البواب: ابن الجوزى: ج۹، ص۲۵۹ ـ ج۱۰، ص۴؛ الفيروز آبادى: (مادة حجبه) ج۱، ص۵۲. أو المراسل الذى ينقل الأخبار: ابـن الجـوزى: ج۹، ص۸۴. ويوجـد حاجـب للمخـزن: ابـن الجوزى: ج۹، ص۲۲۵. وكان عدد الحجاب فى دار السلطان ۴۸۰ حاجباً. محمد بن عبد الملک الهمـذانى: تكملـة، ج۱، ص۱۲۳. وكان للمقتدر ۷۰۰ حاجب. القلقشندى: صبح، ج۴، ص۱۹.

۲. ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۶۴؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات، ج۴، ص۲.

۳. ابن منظور: (مادة قدم) ج۵، ص۳۶۷؛ الزبيدى: تاج، ج۹، ص۲۱.

۴. حسن باشا: الألقاب الإسلامية، ص۴۸۷ ـ ۴۸۸.

۵. قد يعنى الخازن الجهبذ الذى يمثل البنک، الخوارزمى: مفاتيح، ص۳۷. وكذلک يعنى خازن المال. أنظـر: مسـكويه: ج۱، ص۱۷۱؛ محمد بن عبد الملک الهمذانى: ج۱، ص۵۱؛ ابن منظور: (مادة خزن) ج۱۶، ص۲۹۷. ويعنـى أيضـاً خازن الديوان، الصابى: ص۱۸۵. وخازن الملابس. محمد بن عبد الملک الهمذانى: ج۱، ص۲۱۳. وخـازن الكتـب، ابن الجوزى: ج۹، ص۴۳.

۶. أنظر: غرس النعمة: الهفوات النادرة، تحقيق الأشتر، دمشق، ۱۹۶۷م، ص۲۱۴.

وفی الحلّة یوجد کذلک القضاة وجماعة من الفقهاء الذین یشکلون مجلساً للنظر فی القضایا والأحوال الشخصیة، فعندما أعترض دبیس بن مزید سنة ۵۱۲هـ علی الخلیفة المسترشد، لأنه صادر أبیه فی بغداد وضمها الی الجامع، فقد قرر قاضی القضاة والفقهاء أنه لا یحق للخلیفة ذلک[۱]. وفی سنة ۵۱۴هـ أرسل دبیس القاضی أبا جعفر عبد الواحد أحمد الثقفی المشرف علی أعمال الکوفة والبلاد المزیدیة الی الأمیر إیلغازی لیخطب أبنته[۲]. وهذا یعنی أن قاضی القضاة والقاضی مستقلان عن بغداد، لأنهما عارضا الخلیفة بإصدار فتوی تمنعه من أخذ الدار. والظاهر أن هؤلاء من الحلّة، وأن الأمراء المزیدیین کانوا یشرفون علی تعیینهم وإعطائهم الرواتب.

کما کانت هناک وظائف فی بعض مدن منطقة الفرات الأوسط. ففی قصر ابن هبیرة یوجد بعض العمّال مثل نجوبة بن قیس الذی کان عاملاً من قبل ابن طاهر فی سنة ۲۵۱هـ [۳] والعامل أبی بکر الکریزی سنة ۳۰۳هـ [۴]. وکان الحسن بن محمّد القصر المعروف بابن زیاد والی الصدقات فی القصر[۵]، وفیه أیضاً قُضاة وکتّاب[۶] وتولّی الحسن بن علی بن محمّد ابن

---

۱. ابن الجوزی: ج۹، ص۱۹۸ ـ ۱۹۹؛ سبط ابن الجوزی: ج۸، ص۷۱.

۲. ابن الجوزی: ج۹، ص۲۱۷.

۳. الطبری: م۳، ص۱۶۲۴؛ مسکویه: ج۱، ص۱۷۶.

۴. القرطبی: صلة، ص۵۴.

۵. الصابی: ص۲۵۴.

۶. یاقوت: البلدان، ج۴، ص۱۲۳ ـ ۱۲۴.

أبى الفهم أبو على التنوخى القضاء فى القصر وسوراً سنة ۳۴۹هـ [۱] وقال ابن قطلوبغا أنه تقلّد القضاء فى القصر وبابل[۲] وفى مدينة النيل يوجد شحنة عيّنه السلطان[۳] إن كل هذه الوظائف تعتبر أساسية ومهمة فى إدارة المنطقة، وهى توضح أيضاً أن بعض هذه المدن كانت مراكز إدارية فيها العمّال وموظفو الصدقات والكتّاب. وعلى الأرجح فإن بعض هذه الوظائف بقيت موجودة فى الحلّة وبعض أعمالها.

ص: ۲۴۸

---

۱. ابن الجوزى: ج۷، ص۱۷۸.

۲. ابن قطلوبغا: تاج التراجم فى طبقات الحنفية، ص۷۶.

۳. ابن الجوزى: ج۹، ص۲۲۷.

الفصل السادس

أعمال المزيديين الحضرية والعمرانية فى منطقة الفرات الأوسط

١ـ الناحية العمرانية فى المنطقة

كان للمزيديين أثر واضح فى التبدلات العمرانية التى طرأت على عدد من المراكز الحضرية فى منطقة الفرات الأوسط، وذلک بإتخاذهم النيل والجامعين ثم الحلّة مركزاً لهم. لهذا لا بدّ لنا من معرفة أشهر هذه المواضع الموجودة فى المنطقة قبل أن يتخذها المزيديون مراكز إدارية وحضرية.

بابل

هى المدينة المشهورة ذات التاريخ العريق[١]. وقد ورد ذكرها فى المعارک الإسلامية الأولى فى سنوات ١٣هـ [٢]، و ١٥هـ [٣].

ووصفها المسعودى بأنها تقع: "على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ونهر النرس"[٤] وروى أيضاً أن نمرود بن ماش قد بنى الصرح ببابل وجسر بابل على شاطئ الفرات[٥]. وقال أيضاً: "بلغ الوليد بن عقبة عن رجلٍ من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلى جسر بابل"[٦]. ولعل النهر الذى قصده المسعودى فى الرواية الأولى هو نهر سورا[٧]، الذى قال عنه سهراب أنه: "يمر بين مدينة بابل ويمر

---

١. أنظر عن بابل فى التاريخ: المسعودى: مروج، ج١، ص٧٨؛ التنوخى: الفرج، ج١، ص١٨؛ الأصطخرى: مسالک، ص٨٦؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٤؛ أبا الفداء: تقويم البلدان، ص٣٠٣. أنظر أيضاً: Obermeyer: Die Landschaft Babylonien im zeitalter des Gaonates, p. ٣٠١ ـ ٣٠٦. Rogers: A History of Babylonia, vo١. ١, p. ٢٩٤.

وأنظر أيضاً مقالة الدكتور صالح أحمد العلى: منطقة الكوفة دراسة طوبوغرافية مستندة الى المصادر الأدبية، ص٢٣٢.

٢. الطبرى: م١، ص٢١٧٧.

٣. ن.م. ص٢٤٢٠.

٤. المسعودى: مروج الذهب، ج٢، ص١١٥.

٥. ن.م. ج١، ص٧٨.

٦. ن.م. ج٤، ص٢٦٦.

٧. سهراب: ص١٢٥.

بالجامعين"[1]. وهو يتفرع من الفرات، وأن مرور النهر بين المدينة يجعلها منقسمة الى قسمين لذلك فمن المُحتمل أنهما المدينتان اللتان قصدهما المسعودى.

الروايات المتقدمة توضح وجود قرية تعرف ببابل، وأخرى أسمها جسر بابل، ويُحتمل أن تكون الأولى أقدم من الثانية، وأنه بعد تأسيس الجسر نشأت تلك التى أُطلق عليها جسر بابل. وبهذا المعنى قال المقدسى عن بابل: "إنها نائية وبعيدة عن الطريق والجادة على جسرها"[2] فقوله بعيدة ونائية لا يتفق مع قوله والجادة على جسرها إلا إذا كان الجسر بعيداً عن المدينة، أو أن المقدسى قد قصد القرية القديمة التى أصبحت بعيدة عن الجسر، وفى هذه الحالة يكون الظرف ملائماً لنشوء مدينةٍ أخرى قرب الجسر، لأهمية الجسر فى التجارة والمرور والتنقل.

كما أن هناك ما يدل على وجود موضعين يحملان نفس الأسم، فقد ذكر ابن حوقل: "كانت مدينة بابل قديماً وهى الآن قرية صغيرة"[3]. وقال القرمانى أنها: "كانت مدينة كبيرة وهى الآن خراب وقد صار موضعها قرية صغيرة على شاطئ الفرات"[4] فيُحتمل أن تكون هذه القرية التى وصفها المقدسى بأنها بعيدة ونائية عن الطريق. لكن القرمانى ذكر أن القرية كانت جادتها على الجسر، فهى تقع على النهر إلا أنها بعيدة عنه وعن جسره فمن المُحتمل أنها قد خربت فى زمانه.

---

١. نفس المصدر والصفحة.

٢. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٢١.

٣. ابن حوقل: صورة الأرض، ق١، ص٢٤٤؛ المسالک والممالک، ص١٦٧.

٤. القرمانى: ص٤٣٣.

ويتضح هذا أكثر فى وصف الرحالة بنيامين التطيلى إذ قال: "هى بابل الكبيرة القديمة لم يبق منها اليوم سوى الأطلال الدارسة، وتمتد هذه الخرائب الى مسافة ٣٠ ميلاً... وفى بقعة تبعد نحو ميل واحد عن هذه الأطلال يُقيم عشرون ألفاً من اليهود"[١] فالمدينة صاحبة الأطلال هى القرية التى وصفها المقدسى، بينما كانت البقعة التى تبعد ميلاً واحداً عن مدينة الأطلال يسكنها عشرون ألف يهودياً، أى أنها بقعة حيوية ومأهولة ونشطة تجارياً، وإلا فكيف نفسّر أن يسكنها هذا العدد الكبير من اليهود. وقد تكون هذه البقعة هى المدينة التى تقع الى القرب من جسر بابل.

وهناک روايات أخرى تُشير الى وجود مكان بإسم جسر بابل، قال الروذراورى عندما حدثت الحرب بين القرامطة وجيش بغداد سيطر أبو الفضل الحاجب على جسر بابل والقوم بإزائه فعقدوا جسراً على الفرات[٢]. فحصولهم على جسر بابل لا يعنى الجسر نفسه بل منطقة الجسر. ولا يُستبعد أن تكون منطقة الجسر مدينة أو موضع. بالإضافة الى ذلک ذكر صاحب المراصد: "بابل المدينة قرب الحلّة، والى جانبها قرية تسمى الآن بابل عامرة"[٣] فهذه القرية هى جسر بابل القريبة من الحلّة.

ولفظة بابل يُقصد فيها عند إطلاقها مدينة أو إقليم بابل، الذى يشمل منطقة واسعة بما فيه

---

١. بنيامين التطيلى: الرحلة، ص١٤٠.

٢. الروذراورى: ذيل، ص١١٠.

٣. مراصد الإطلاع، ج١، ص١٤٥؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢٩.

المدينة نفسها. وقد ذكرت عدّة مواضع فى أرض بابل، ولكن يصعب ضبط موقعها. مثل خطرنية "ناحية من نواحى بابل"[1]. وشالها بأرض بابل[2] وقدومى موضع ببابل[3]. وعقر بابل الذى يقع قرب كربلاء[4]، كما يوجد موضع يسمى العقر قرب بابل أو فم النيل[5]. والدير الخصيب الذى يقع قرب بابل[6].

وهى: "من نواحى بابل بأرض الكوفة"[7]، وهى معروفة اليوم. وأجمة البرس وهى ناحية بأرض بابل[8]معروفة الآن بخرائب برس نمرود. والقف "تقع بأرض بابل"[9] وباجوا موضع ببابل أيضاً[10].

وبابل وخطرنية طسوج واحد من الطساسيج الستة التى يتكون منها البهقباذ الأعلى[11]

---

١. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٤٥٣.

٢. نفس المصدر: ج٣، ص٢٣٨.

٣. البكرى: معجم ما أستعجم، ج٣، ص١٠٥٤.

٤. الطبرى: م٢، ص٣٠٨؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٦٩٥.

٥. الطبرى: م٢، ص١٣٩٥.

٦. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٦٥٧.

٧. نفس المصدر: ج٤، ص٧٩٨ ـ ٧٩٩.

٨. نفس المصدر: ج١، ص١٣٦؛ وقد أورد البلاذرى معلومة عن فرض ضريبة قدرها أربعة آلاف درهم على أهل الأجمة مما يدل على أن هناك من سكنها فى الفترة الإسلامية، فتوح، ص٢٧٤.

٩. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٥٣.

١٠. نفس المصدر: ج١، ص٤٥٥.

١١. عن أنتاج الطسوج أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٧٠.

ويسقيه نهر سورا الأسفل وما يتفرع منه من أنهار[1]. وتشتهر بابل بزراعة الكروم، وصناعة الخمور[2]. كما وقد سكنها اليهود، فيذكر بنيامين التطيلى أن عددهم كان يبلغ حوالى عشرين ألف يهودى[3].

سورا

ذكرت سورا عند الفتح الإسلامى فقد كانت إحدى المراكز التى وصلتها غارات المسلمين الأولى ضد الفرس سنتى ١٤، ١٥هـ [4]. وخلال العصر الأموى، فقد وقعت فيها بعض المعارك[5]. وكذلك فى العصر العباسى[6]. كما أنها ذُكرت فى الفترة المزيدية عندما نهبها بنو خفاجة سنة ٤٢٠هـ [7]. كل هذا يُظهر أهميتها العسكرية، ولعل قربها من الكوفة قد جعلها تتأثر كثيراً بالحركات والحروب التى وقعت فى هذه المدينة.

---

١. سهراب: ص١٢٥.

٢. أنظر: ابن قتيبة الدينورى: عيون، ج١، ص٢٦٠؛ الأغانى، ج٩، ص٣٢٨ ــ ج١٤، ص٦١؛ البكرى: ج١، ص٢٨٠؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٤٤٧.

٣. بنيامين التطيلى: ص١٤٠.

٤. الدينورى: الأخبار، ص١٢١؛ البلاذرى: فتوح، ص٢٥٤.

٥. دارت فيها معركة بين المغيرة بن شعبة ومعقل بن قيس، الطبرى: م٢، ص٣٨، ٤٠. وفيها جرت معركة بين عبد الله بن كامل والمختار الثقفى، الدينورى: الأخبار، ص٣٠٥. وألتقى جيش ابن الحر وبشير بن عبد الرحمن العجلى فيها سنة ٦٨ هجرية، الطبرى: م٢، ص٧٧٦.

٦. فمثلاً حدثت فيها معركة بين طاهر بن الحسين والحارث بن هشام سنة ١٩٦ هجرية، الطبرى: م٣، ص٨٥٨. وأصطدم فيها يحيى بن عمر العلوى والحسين بن إسماعيل سنة ٢٥٠ هجرية، الطبرى: م٣، ص١٥١٨. وذكرت فى حوادث القرامطة، مسكويه: ج١، ص١٨٣؛ محمد بن عبد الملك الهمذانى: تكملة: ص٤٨٣.

٧. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

تقع مدينة سورا على نهر سورا، غير أن المسعودى قال أن نهر الفرات يمرّ بها[1]. مما يدل على أنه قد حدث تبدل فى مجرى النهر زمن المسعودى وموضع سورا يقع فى بداية إنقسام نهر الفرات، قال سهراب أن نهر سورا الأعلى يمر بطساسيج سورا وبربيسما وباروسما[2]، وهى حسب تسلسلها تكون سورا فى أول جريانه. وعلى النهر يوجد جسر سورا[3]. ولهذا يبدو أن سورا كانت تقع بالقرب من الجسر. أعتبر المقدسى سورا من مدن الكوفة[4]، وهى قريبة من النيل[5]، وأن نهر سورا يمر بها ثم يمر بالنيل. وهى قريبة من بابل[6]. ومن قصر ابن هبيرة[7]. وتقع فى أرض بابل[8].

وقد جعل موسيل جسر سورا بالقرب من فم نهر المحاويل الحالى[9]. ويُحتمل أن موضع سورا يقع بالقرب من هذه المنطقة أيضاً. فضلاً عن وجود بعض التحديدات لأرض سورا بصورة عامة. فقد ذكرنا سابقاً أن نهر سورا يمرّ بعدة طساسيج من بينها طسوج بربيسما الذى يقع فيه مشهد القاسم بن الإمام الكاظم٧[10]. وهذا التحديد يتفق مع ما ذهب إليه القزوينى من

---

١. المسعودى: التنبيه، ص٤٧.

٢. سهراب: ص١٢٤.

٣. الأغانى، ج١١، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٣٥.

٤. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٥٣.

٥. ابن الجوزى: ج٨، ص١٧٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

٦. ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤.

٧. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٣٣.

٨. ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤؛ ابن منظور: ج٦، ص٥٥. بينما ذكر الزمخشرى فى الجبال والأمكنة والمياه ص٨١، أن سورا موضع الى جانب بغداد وهى بغداد نفسها. ومن المحتمل أنه قصد موضعاً آخراً فى بغداد يعرف بسورا.

٩. Musil: The Middle Euphrates p. ٢٤٤

١٠. ابن عنبه: عمدة الطالب، ص٢٨٤.

أن "القاسم بن الكاظم فى سورا المعروفة الآن بأرض نهر الجربوعية من أعمال الحلّة السيفية"[1]. وكما قال البراقى أن سورا تقع بين القاسم والكفل[2]. والقاسم يقع فى جنوب الحلّة فى قرية تعرف شوشة[3]. ولكننا إذا رجعنا الى التحديدات السابقة التى وصفت أن سورا تقع بالقرب من قصر ابن هبيرة والنيل وجسر سورا وبابل، يتضح بأنه لا يمكن أن تكون سورا فى جنوب الحلّة. ولعل المُراد بتلك التحديدات منطقة سورا أو أرضها.

ومدينة سورا آهلة بالسكان[4]. ووصفها ابن حوقل أنها مدينة مقتصدة[5] ولعله يقصد أنها كانت مقصودة أو متوسطة الحجم، أو على طرق المسافرين فقد يقصدها الناس. وقال ياقوت أنها ناحية من الكوفة[6].

وتقع قرب سورا عدّة قرى ومواضع مثل القف الذى يقع بالقرب من باجوا وسورا[7]. وبنورا من نواحى الكوفة[8]. وشانيا[9]. وغطط[10].

ولسورا طسوج يسمى بإسمها، وهو من طساسيج البهقباذ الأوسط[11]. ومنه السيب الأعلى

---

١. البراقى: تاريخ الكوفة، ص١٩٠. عن العلامة مهدى القزوينى.

٢. نفس المصدر: ص١٨٩.

٣. الهروى: الإشارات، ص٧٦؛ ياقوت: البلدان:، ج٣، ص٣٣٥.

٤. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١١٧.

٥. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣.

٦. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٩٨، ٨٤٣.

٧. نفس المصدر: ج٤، ص١٥٣.

٨. نفس المصدر: ج١، ص٧٤٨.

٩. نفس المصدر: ج٣، ص٢٤٤.

١٠. نفس المصدر: ج٣، ص٨٠٧.

١١. عن الطسوج أنظر: ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦؛ سهراب: ص١٢٤؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

والأسفل[1]، وقد أشتهر بإنتاج الحنطة والشعير والأرز[2]. والفواكه الكثيرة كالأعناب[3] والرمّان[4]. كما أشتهرت سورا بخمورها[5].

قصر ابن هبيرة[6]

يُنسب قصر ابن هبيرة الى الوالى الأموى يزيد بن عمر بن هبيرة الذى بنى مدينة بالكوفة فأتاه خبر

---

۱. ياقوت: البلدان، ج۳، ص۲۰۸.

۲. أنظر عن أنتاج الطسوج: ابن خرداذبة: ص۸؛ قدامة: ص۲۳۶.

۳. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص۱۱۷؛ ابن حوقل: صورة، ق۱، ص۲۴۳.

۴. الكلينى: الكافى، ج۶، ص۳۵۴.

۵. الشابشتى: ص۴۶؛ ياقوت: البلدان، ج۳، ص۱۸۵.

۶. يقول Mann أن القصر كان المحل الذى ولد فيه داوود بن زكايا. أنظر: Mann: Responsa of the Babylonian Geonium (۱،۱۶ـ۱۷) p. ۴۶۶

من مروان بإجتناب مجاورة أهل الكوفة، لذلک بنی القصر[1]. وقد تردد ذکره فی العصر العباسی[2] وفی القرنین الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادی عشر للمیلاد[3]. وظل حتی القرن السادس الهجری إذ تناقصت أهمیته ولم یبق فیه أکثر من خمسین نفساً من رجالٍ ونساء فی زقاقٍ واحد. کما یقول کل من یاقوت وسبط ابن الجوزی[4]. ویبدو أن هجماتٍ القبائل علیه، وتحول الطریق التجاری وعدم مروره بالقصر، وتأسیس الحلّة کانت من الأسباب المباشرة لتناقص أهمیته.

تقع مدینة القصر بالقرب من جسر سورا[5]. وقال الیعقوبی: "وهی علی نهر یأخذ من الفرات یُقال له الصراة وبین قصر ابن هبیرة وبین معظم الفرات مقدار میلین الی جسر علی

---

۱. البلاذری: فتوح، ص۲۸۷؛ یاقوت: البلدان، ج۴، ص۱۲۳؛ شیخ الربوة: نخبة الدهر، ص۱۸۶. وهذه الروایات تشیر الی أنه قد تأسس فی العهد الإسلامی، فی حین ذکر المسعودی أن بابا بردینا صاحب القصر وکان ملک النبط. أنظر: مروج، ج۲، ص۱۶۱. ومع أن هذا غیر ممکن لأن تسمیته تدل علی شخص أسمه هبیرة ویُحتمل أنه کان فی ذلک الموضع بناء لذلک الملک، وقد وسّعه ابن هبیرة.

۲. سکنه السفاح وسماه الهاشمیة قال البلاذری: "فلما ملک السفاح نزله ـ یعنی القصر ـ وأستتم تسقیف مقاصیر فیه وزاد فی بنائه وسماه الهاشمیة وکان الناس لا یقولون إلا قصر ابن ← هبیرة علی العادة" فنوح، ص۲۸۷. یاقوت: البلدان، ج۲، ص۱۲۳. ونزله المنصور فی حربه مع عبد الجبار الأزدی ومحمد بن عبد الله. أنظر: الیعقوبی: تاریخ، ج۲، ص۴۴۶. وذکر القصر فی حوادث الأمین والمأمون سنة ۱۹۶هجریة. أنظر: الطبری: مجلد۳، ص۸۵۷؛ وفی سنة ۱۹۹هجریة الطبری: مجلد۳، ص۹۷۸. وفی سنة ۲۰۴هجریة، الطبری: مجلد۳، ص۱۰۱۸.

۳. کان القصر من بین المناطق التی تأثرت بحرکات القرامطة، أنظر: عریب القرطبی: ص۱۶۲؛ الروذراوری: ذیل، ص۲۸۳؛ ابن الأثیر: ج۹، ص۴۷، ۱۳۳. کما انه ذکر فی حوادث سنتی ۳۱۶هجریة و ۴۳۱هجریة. أنظر: حمزة الأصفهانی: تاریخ سنی ملوک الأرض، ص۱۳۲؛ سبط ابن الجوزی: مرآة (مخطوط فی توب کوبی سرای) مجلد ۱۲، ورقة ۹۱(ب).

۴. یاقوت: البلدان، ج۴، ص۱۲۳ ـ ۱۲۴؛ سبط ابن الجوزی: مرآة، (توب کوبی سرای) مجلد۱۲، ورقة ۹۱(ب).

۵. البلاذری: فتوح، ص۳۸۷؛ ابن الفقیه: مختصر البلدان، ص۱۸۳؛ سهراب: ص۱۲۴.

معظم الفرات يُقال له جسر سورا"[1].

وقد ذكرها مسكويه فى معرض حديثه عن القرامطة قال: "وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر"[2]. مما يُظهر أن القصر كان يقع قرب النهر[3]. ويؤيد هذا الخطيب البغدادى بقوله: "ثم وليت فارس فحفروا الأنهار الصغار كوثى والصراة الصغرى التى عليها قصر ابن هبيرة"[4].

أما ما قاله سهراب عن نهر سورا الأعلى ما نصه: "ويمر ـ يعنى سورا الأعلى ـ بإزاء مدينة قصر ابن هبيرة بينها أقل من ميل وهناک على النهر جسر هو جسر سورا"[5] ونهر سورا الأعلى هو نفسه نهر الصراة العظمى الذى يمر بمدينة النيل، ويُحتمل أن الخطيب وصف الصراة (سورا) بالصغرى تمييزاً لها عن صراة بغداد. وهناک أختلاف آخر بين اليعقوبى وسهراب، فقد قال اليعقوبى أن جسر سورا يقع على معظم الفرات، أى على مجرى الفرات الرئيسى، بينما ذكر سهراب أن جسر سورا يقع على نهر سورا، ويبدو أن قول سهراب أصحّ ذلک لأن تسمية الجسر تدل على وجود نهر يحمل نفس الأسم، لاسيما وأن اليعقوبى قد ذكر أن مدينة القصر تقع على فرع من الفرات يسمى الصراة، الذى هو سورا.

---

۱. اليعقوبى: البلدان، ص۳۰۹.

۲. مسكويه: تجارب الأمم، ج۱، ص۱۸۳.

۳. ويختلف اليعقوبى ومسكويه فى موضع المدينة من النهر فقال اليعقوبى على نهر الصراة بينما ذكر مسكويه على نهر الفرات. ولا شک أن اليعقوبى أكثر دقة لأن كتابه جغرافى، فهو يعتنى بتلک التحديدات أكثر من مسكويه المؤرخ.

۴. الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ج۱، ص۵۷.

۵. سهراب: ص۱۲۴. وهناک رواية ذكرها شيخ الربوة عن مدينة القصر قال: "نهر صرصر عليه قصر ابن هبيرة" ص۱۱۳. وهى رواية خاطئة لأن نهر صرصر من أنهار بغداد، ولعل شيخ الربوة نقلها عن حديث الناس، كما فى رواية نهر العلقمى الذى قال عنه أنه يمر ببلاد سورا وقصر ابن هبيرة والكوفة والحلة، ص۹۳ ـ ۹۴.

يقول اليعقوبى عن القصر: "هى مدينة جليلة ينزلها العمّال والولاة[١]" وهى تقع بين الكوفة وبغداد[٢]. أما المقدسى فقد أعتبرها من المدن التابعة لبغداد[٣]. وهى من أكبر المدن بين بغداد والكوفة[٤]. تقع على طريق الحجّاج، وبينها وبين بغداد أثنا عشر فرسخاً، وبينها وبين الكوفة ثمانية عشر فرسخاً[٥]. لهذا فهى محطة مهمة، وفيها الأسواق الجيدة[٦] والحمامات الكثيرة[٧]. وكانت من أعمر نواحى السواد فى القرن الرابع للهجرة[٨].

وأهل القصر "أخلاط من الناس"[٩] فيهم اليهود[١٠]. والشهود والقُضاة والعمّال والكُتّاب والتناء والتجّار[١١]، ويبدو أن ذلک كان قبل بناء الحلّة.

---

١. اليعقوبى: البلدان، ص٣٠٩؛ Hudud al-Alam, p. ١٣٩.

٢. اليعقوبى: تاريخ، ج٢، ص٤٥١.

٣. المقدسى: أحسن، ص٥٣.

٤. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣؛ المسالک والممالک، ص١٦٦.

٥. وقيل سبعة عشر فرسخاً، وقيل تسعة عشر فرسخاً. أنظر: اليعقوبى: البلدان، ص٣٠٨؛ ابن خرداذبة: ص١٢٥؛ قدامة: ص١٨٥؛ المقدسى: ص١٣٤؛ ابن رستة: ص١٨٢؛ الهمذانى: صفة، ص١٨٢.

٦. المقدسى: ص١٢١.

٧. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

٨. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣.

٩. اليعقوبى: البلدان، ص٣٠٩.

١٠. المقدسى: ص١٢١.

١١. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

تقع قرب القصر وتحاذيه غرباً كربلاء[1] وبقربه الحصاصة وهى من أعمال الكوفة[2]. والسيبان الأعلى والأسفل[3].

من كل هذا يتبين أهمية مدينة القصر فى منطقة الفرات الأوسط. غير أن تأسيس الحلّة سنة ۴۹۵هـ أدى الى تناقص أهميتها. ومن المُحتمل أن المزيديين قصدوا من تأسيس الحلّة إضعاف أهمية القصر، كما أن الطريق التجارى أخذ يمر بالحلّة وربما يكون النهر قد غيّر مجراه مما أدى الى تناقص أهميته وأندثاره.

النيل

أحدث الحجّاج الثقفى مدينة النيل بعد أن حفر نهر النيل[4]. وقد تردد ذكرها فى التاريخ منذ القرن الثانى للهجرة[5].

---

۱. ابن حوقل: صورة، ق۱، ص۲۴۳؛ أبو الفداء: تقويم، ص۳۰۵.

۲. ياقوت: البلدان، ج۲، ص۲۷۴.

۳. نفس المصدر، ج۳، ص۲۰۸.

۴. البلاذرى: فتوح، ص۲۹۰.

۵. ذكرت سنة ۱۰۲هجرية عندما مرّ مزيد بن المهلب بفم النيل، الطبرى: م۲، ص۱۳۹۵؛ وفى الحرب بين قحطبة بن شبيب وابن هبيرة، الطبرى: م۳، ص۱۴، ۱۷. وتردد ذكرها فى الفترة البويهية. محمد ابن عبد الملک الهمدانى: تكملة، ج۱، ص۲۸۳. وفى الفترة المزيدية كانت مركزاً مهماً. ففى سنة ۳۹۸هجرية أرسل مهيار الديلمى قصيدة الى على بن مزيد فى النيل. ديوان، ج۱، ص۱۸. وفى سنة ۴۰۵هجرية هرب على بن مزيد الى النيل، ابن الوردى: ← ← تتمة، ج۱، ص۳۲۶. وفى سنة ۴۷۴هجرية توفى دبيس وولى ابنه صدقة فى النيل، ابن العبرى: ص۱۹۲.

والنيل إحدى مدن الكوفة[1] قال ياقوت أنها بُليدة بسواد الكوفة قرب حلّة بنى مزيد[2]. ويمر بها نهر سورا[3]، أما سهراب فقال أنها تقع على نهر الصراة الكبرى (سورا الأعلى) وأن نهر صراة جاماسب الذى يتفرع عن نهر الصراة الكبرى يمرّ بها[4]. ووضعها النسابون على نهر الفرات بين بغداد والكوفة[5].

إن سبب أختلاف الروايات المتقدمة فى ذكرها مدينة النيل وتحديد موقعها على أنه مرة على نهر سورا وأخرى على نهر الصراة الكبرى وثالثة على نهر الفرات، يرجع الى تغير مجرى النهر. والدليل على ذلک أختلافهم فى تعيين موقع النيل من النهر الذى يمرّ بها. لاسيما وأن نهر الفرات قد بدّل جريانه عدّة مرات. ويُحتمل أنه فى القرنين الخامس والسادس للهجرة قد أصبح يمرّ بالنيل لذلک جعلها بعضهم على نهر الفرات.

---

١. المقدسى: ص٢٧، ٥٣.

٢. ياقوت: البلدان، ج۴، ص٨٦١؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١۴١٣.

٣. قدامة: ص٢٣٣.

۴. سهراب: ص١٢٥.

۵. ابن القيسرانى: الأنساب، ص١۶٣؛ السمعانى: ص۵٧۵أ قال أنها تبعد يومين عن البصرة. وأنظر: ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص٢۵٢،؛ أبا الفداء: تاريخ، م١، ج۴، ص٢٨.

وقد حدد الذهبى موقع النيل بأنها قريبة من واسط[1] وهى مذكورة على الخرائط الحديثة بأنها تقع بين واسط والحلّة[2].

إن الأراضى التى يمرّ بها نهر سورا فى منطقة النيل ذات ضياع وعمارات وقرى[3] وكان الحجّاج قد أحيا الأرض التى تقع على نهر النيل[4]. وكان بالقرب من المدينة جسر وصفه ابن جبير بأنه كان كثير الزحام حتى أنه خلال وجوده غرق كثير من الناس والدواب فى الماء عند عبورهم عليه[5]. وأشار ابن الوردى الى وجود قرى ومزارع كثيرة وغنية حول النهر[6]. فالمنطقة كانت عامرة، فضلاً عن وقوعها على طريق الحُجّاج، فقد عبر ابن جبير جسرها بعد خروجه من الحلّة. وقد ظلّ نهر النيل موجوداً ووصف أنه كثير المياه الى فترة متأخرة[7].

---

۱. الذهبى: المشتبه، ص۱۰۸.

۲. أنظر: خارطة لسترنج: بلدان الخلافة، ص۹۷؛ سوسة: وادى الفرات، ص۲۱۲؛ طه الهاشمى: مجلة المجمع العلمى العراقى، لسنة ۱۹۵۴م.

۳. البلاذرى: فتوح، ص۲۹۰؛ قدامة: ص۲۳۳؛ سهراب: ص۱۲۵.

۴. البلاذرى: فتوح، ص۲۹۰.

۵. ابن جبير: الرحلة، ص۱۹۰.

۶. ابن الوردى: خريدة العجائب، ص۳۹.

۷. ابن جبير: ص۱۹۰؛ ابن الأثير: الباهر، ص۲۶(سنة ۵۱۷هجرية).

تشتهر النيل بكثرة النخيل[١]. وكثرة المواشى والأغنام[٢] غير أنها يكثر بها البعوض "ومن أجله يلزم الناس الكلل نهاراً وليلاً"[٣]. مما يدل على أن المنطقة كانت كثيرة المياه والأهوار والآجام.

إن أرض النيل فى الوقت الحاضر ريفية يكثر فيها النخيل، ولم يبق منها غير أثر واحد هو تل النيليات الذى يقع فى شرقى الحلّة، وقد عثرت مديرية الآثار القديمة فى الفترة الأخيرة على بقايا قنطرة، ولعلها قنطرة الماسى التى تقع بالقرب من النيل[٤]. فضلاً عن وجود آثار هنا وهناك عثر عليها الرحّالة الأجانب الذين زاروا المنطقة نظير لايارد ولوفتس فى منتصف القرن التاسع عشر وجيبسون Gibbson وهرتزفيلد Herzfeld فى العقد الأول من القرن العشرين، منها قنطرة النيل المشهورة وبقايا نهر النيل ومعمل طابوق وقبر وآثار تدل على صناعة الفخار. كما أن الباحث عامر عجاج قام بزياراتٍ ميدانية لمنطقة النيل للعثور على بقايا وآثار للمدينة التى أخضعها لدراسة الماجستير بإشرافى وعثر على كتل صخرية مكونة من ست دعائم مبنية بالآجر والجص بقايا دعائم القنطرة. وعثر على آثار قد تشير الى وجود معمل للأدوات الحديدية وموضع ربما لسكّ النقود، وعلى قطع نقدية ترجع الى العصر الإيلخانى[٥].

ص: ٢٦٤

---

١. ابن الجوزى: ج٩، ص١٤.

٢. أنظر: ابن الجوزى: ج٨، ص٢٩؛ ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

٣. الصابى: الوزراء، ص٣٠١.

٤. لقد وصف موسيل موقع النيل حالياً بأنها خرائب العصيبة Asiba على شط النيل القديم الذى يبعد ٢٠ كم شرقى Kweres (بابل) Musil, op. ct. ٢٧٠ وعن قنطرة الماسى أنظر: سهراب: ص١٢٥.

٥. ينظر: رسالة الماجستير غير المطبوعة، جامعة بابل، ٢٠٠٣م، بإشراف الدكتور عبد الجبار ناجى.

وبالقرب من النيل تقع بعض القرى والمواضع التابعة لها، أمثال قيلويه[1] والأميرية[2] والمنقوشية[3] وقصر سنداد[4]. ونهر مارى الذى يقع فمه عند النيل[5] وزاقف[6] والمباركية[7].

ولذلک يمكن أعتبار مدينة النيل المركز الرئيسى للمزيديين قبل نشوء الحلّة. وقد أدت دوراً بارزاً فى حياتهم السياسية، إذ أنها شغلت فترة طويلة من إمارتهم، منذ سنة ۳۸۷هـ الى سنة ۴۹۵هـ إلا أن المعلومات عنها قليلة حتى أن ابن جبير لم يصف المدينة ودورها، وأسواقها، كما هو الحال فى وصفه الحلّة أو الكوفة.

---

۱. ياقوت: البلدان، ج۴، ص۲۱۷.

۲. نفس المصدر: ج۱، ص۳۶۵.

۳. نفس المصدر: ج۴، ص۱۷۱.

۴. العمرى: مسالک الأبصار، ج۱، ص۲۲۹.

۵. ياقوت: البلدان، ج۴، ص۸۴۴.

۶. نفس المصدر: ج۲، ص۹۰۸.

۷. ابن الأثير: الباهر، ص۲۶.

الجامعين[1]

من الواضح أن الجامعين مثنى لكلمة جامع، لهذا يبدو أن أصل موضع الجامعين كان جامعاً ثم بُنى الآخر. وقد ذكر البلاذرى أن خالد القسرى حفر نهراً سمّاه نهر الجامع وأتخذ بالقرية قصراً بأسمه[2]، ولما كان هذا النهر فى منطقة الكوفة، فربما كان الجامع المذكور قريباً منها أيضاً. ويذكر اليعقوبى ألتقاء جيش المأمون بأبى السرايا فى موضع يُقال له الجامع بين بغداد والكوفة[3]. وفى سنة ١٩٦هـ وجّه الأمين جيشاً الى قصر ابن هبيرة لأن عامله على الكوفة قد بايع المأمون وقال لقائديه "إن سلكتما الطريق الأعظم لم يخف ذلک عليهما ـ يعنى قوّاد المأمون الموجودين فى قصر ابن هبيرة ـ ولكن أختصروا الطريق الى فم الجامع فإنه موضع سوق ومعسكر فإنزلاه وبيتاهما إن أردتما ذلک.. فوجها الرجال من الياسرية الى فم الجامع"[4]. وهذا يدل على أن الجامع قريب من قصر ابن هبيرة، ويُحتمل أن يكون هذا الجامع هو الذى سُمّى بعدئذٍ بالجامعين. وكان قرية لها سوق ومعسكر غير أنه لم يكن على

---

١. أورد المسعودى رواية عن محمد بن هشام الكلبى عن أبيه قال: "وكانوا ـ ملوک النبيط ـ من ملوک الطوائف وكانوا بأرض العراق مما يلى قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين" مروج، ج٢، ص١٣٤. ويبدو أن راوية هـذا الخبـر أراد تحديد منطقة نفوذ ملوک النبيط فى العراق فأطلق عليها الأسماء الموجودة فى زمنه، والرواية تبين أن الجامعين موجود خلال القرنين الثانى والثالث للهجرة. وعن الجامعين أنظر أيضاً: الدكتور صالح أحمد العلى: منطقـة الكوفـة، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٢. البلاذرى: فتوح، ص٢٨٦.

٣. اليعقوبى: تاريخ، ج٢، ص٥٤٣.

٤. الطبرى: م٣، ص٨٥٧.

الطريق العام. وقد ذكر سهراب أن نهر سورا يمر بالجامعين المحدث والقديم[1]. فالجامع القديم هو ما تبين سابقاً، أما الحديث فيقع ـ كما يبدو من الرواية ـ الى الشمال من الجامع القديم لأن النهر يمر به أولاً. ولعل سهراب قصد بالجامع القديم ما كان موجوداً قبل زمنه.

وروى المسعودى أن أبا مسلم الخراسانى من أهل البرس أو النرس والجامعين[2]. مما يدل على أنهما يقعان متقاربين فى نفس المنطقة، وأنتساب أبى مسلم للجامعين يعنى أنها موجودة فى القرن الثانى للهجرة. فى حين أنه لم يرد ذكر لوجود الجامعين فى هذا القرن فى الروايات السابقة. ويُحتمل أن المسعودى سأل الناس عن مولد أبى مسلم، ولا بدّ أنهم قالوا أن أبا مسلم ولد فى هذا الموضع الذى سُمّى الآن ـ القرن الرابع للهجرة ـ بالجامعين. بهذا فإن روايته لا تعنى أنها تمثل القرن الثانى أو الثالث للهجرة.

من كل هذا نستخلص وجود جامع قديم فى هذه المنطقة يرجع الى القرن الثانى أو الثالث، ثم أنشأ جامع حديث.

لم يتردد ذكر الجامعين فى الفترة البويهية حينما أقام القرمطى الدعوة لعضد الدولة بها[3]. وسيطر عليها أحد وجوه القرامطة سنة ٣٧٥هـ [4]. وفى سنة ٣٨٧هـ ضمن المقلد العقيلى بعض المدن من السواد من بينها

---

١. سهراب: ص١٢٥؛ أنظر عن الجامعين كتاب: Alam p. ٧٧_Hudud al وأيضاً: صالح العلى: منطقة الكوفة، ص٢٣٢.

٢. المسعودى: مروج، ج۶، ص۵۹.

٣. محمد بن عبد الملک الهمدانى: تكملة، ص۴۸۳؛ وهو أبو بكر محمد بن على بن شاهويه القرمطى.

۴. الروذراورى: ص١٠٩.

الجامعين[1]. وأجتمع فيها دبيس بن مزيد وقرواش بن المقلّد سنة ۴۱۷هـ [2]. وكانت لنور الدولة دبيس المزيدى[3]. وربما بقى حتى سنة ۴۹۵هـ عندما أتخذ صدقة مدينة الحلّة بالجامعين وسكنها.

يتضح من كل ما تقدم أن دور الجامعين يظهر فى العصر العباسى وقد تعرضت المدينة لهجمات القرامطة. ثم أصبحت لها أهمية إقتصادية، فقد ضمن بعض أمراء بنى عقيل حمايتها لقاء مبلغ من المال. وقد سكنها المزيديون فى بيوتٍ عربية[4] وفى القرن الخامس تعرضت الجامعين لهجمات قبيلة خفاجة المتكررة[5] مما يبين أتساع أهميتها.

ذكر المقدسى بأن الجامعين إحدى مدن الكوفة[6]. وهى تقع غربى نهر سورا كما قال سهراب[7]. أو غربى نهر الفرات كما قال ياقوت[8]. كما أن هناك فى بعض الأدلة التاريخية ما يؤيد ذلک الموقع، ففى سنة ۴۴۶هـ/۱۰۵۴م هجم بنو خفاجة على الجامعين وكان نور الدولة دبيس معسكراً على شرقى الفرات بينما كان بنو خفاجة على القسم الغربى منه. وكان

---

۱. نفس المصدر: ص۲۹۳؛ ابن الأثير: ج۹، ص۴۷.

۲. ابن الأثير: ج۹، ص۱۳۲ ـ ۱۳۳.

۳. نفس المصدر: ج۹، ص۱۳۳؛ ابن خلدون: تاريخ، م۴، ص۱۰۱۵ ـ ۱۰۶۶.

۴. ابن الجوزى: ج۹، ص۱۳۲؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۱۳۱.

۵. ابن الأثير: ج۹، ص۱۳۲، ۲۲۴؛ ابن خلدون: م۴، ص۵۹۶، ۱۰۱۵.

۶. المقدسى: ص۵۳، ۱۱۴؛ وتوجد جامعين أخرى من مدن سامراء، ص۵۴.

۷. سهراب: ص۱۲۵؛ ابن حوقل: صورة، ق۱، ص۲۳۳.

۸. ياقوت: البلدان، ج۳، ص۳۲۳؛ مراصد الإطلاع، ج۱، ص۳۷۰.

دبيس ينتظر مساعدة البساسيرى فلما وصلت إليه عبر الفرات وحارب خفاجة وأجلاهم عن الجامعين[١].

ولقد أعتبر الأصطخرى الجامعين منبراً صغيراً[٢]. وقال ابن حوقل أنها مدينة[٣]، فى حين ذكر ياقوت أنها كورة وجعل الحلّة قصبةً لها[٤]. وروى صاحب مراصد الإطلاع بأنها بلدة كبيرة نزهة[٥]. ومع غموض مثل هذه التعبيرات إلا أنها قد ترجع الى التبدلات الإدارية والحضرية الذى طرأت على المدينة بعد أن أسس المزيديون الحلّة.

وللجامعين طسوج تسقيه الأنهار المتفرعة من نهر سورا الأسفل[٦]. وقد ذكر الإصطخرى بأنه كان حول الجامعين رستاقاً عامراً خصباً جداً[٧]. وأضاف ابن حوقل على قول الإصطخرى بأن هذا الرستاق يحاذى نواحى المدائن[٨]. وقد يكون ابن حوقل مبالغاً فى أعطائه هذه الحدود الواسعة للمنطقة التى تشغلها الجامعين، غير أنه على العموم يشير الى أنها كانت كبيرة فى القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد.

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٢٤؛ وكذلک ص١٣٢؛ بينما وضعها كل من لاسنر وسوسة على الجانب الشرقى، أنظر بالتتـابع: Hilla)_EI(٢) (al رى الفرات، ص٢١٢.

٢. الأصطخرى: مسالک، ص٨٧؛ ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٣. ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٣٣.

٤. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣.

٥. ابن عبد الحق: مراصد، ج١، ص٣٠٧.

٦. سهراب: ص١٢٥.

٧. الأصطخرى: مسالک، ص٨٧.

٨. ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

الحلّة

لقد أشرنا فى الفصل السياسى الى أن هناک بعض الشکوک فى قصة بناء الحلّة من قبل صدقة بن مزيد وکذلک فى سنة بنائها، وسبب هذه الشکوک تعود الى وجود عددٍ من الروايات التاريخية والجغرافية التى تردد فيها ذکر الحلّة قبل تأسيسها المتعارف عليه فى سنة ۴۹۵هـ/۱۱۰۱م. وفى الحقيقة أن السبق فى إظهار مثل هذه التناقضات يعود الى الأستاذ جورج مقدسى فى بحث نشره فى سنة ۱۹۵۴م[۱]. ومن الممکن إعطاء فکرة عامة عن الخطوط الرئيسة التى جاءت فى تلک المقالة. فقد درس الأستاذ مقدسى الرواية المتعلقة ببناء الحلّة من قبل صدقة والواردة فى بعض المصادر الحديثة[۲] وتوصل الى أن ياقوت الحموى هو المصدر الأساسى لتلک الرواية، ثم أنه بيّن تلک التناقضات الموجودة فى روايتين رواهما ياقوت فى معجمه. ففى الأولى ذکر ياقوت أن صدقة أوّل من عمّر الحلّ ونزلها فى محرم سنة ۴۹۵هـ [۳]، أما فى الرواية الثانية فإنه عندما کان يتحدث عن الحويزة نسب تأسيس الحلّة الى دبيس بن مزيد وليس الى صدقة[۴] ويستمر مقدسى فى التحرى عن مثل هذه الإختلافات فدرس بعض مصادر أخرى مثل الشرح الموجود فى حاشية ابن حوقل

---

۱. George Makdisi: 'Notes on Hilla and the mazyadids in Medieval Islam, in JAOS (۱۹۵۴) pp. ۲۴۹ ـ ۲۵۹.

۲. أمثال:

Lestrange: Lands of the Eastern Caliphate, p. ۷۱. Ober ـ meyer: Die Landschaft, p. ۳۰۷.

Lane ـ Poole: The mohammadan Dynasties, p. ۱۱۹. Karaba ـ cek: Beitrage zur Geschichte der Mazjaditen p. ۷۸.

۳. ياقوت: البلدان، ج۲، ص۳۲۲.

۴. ن.م. ج۲، ص۳۷۱ وما بعدها.

للمؤلف المجهول، وكذلک ما جاء فی نزهة القلوب للمستوفی القزوینی. ثم الروایات التاریخیة عند ابن الجوزی وابن الأثیر والمتعلقة ببناء الحلّة. إن النتیجة الرئیسة التی حاول مقدسی أن یتوصل إلیها هی أن تأسیس الحلّة لم یکن فی سنة ۴۹۵هـ بل أقدم من ذلک ویعود الی فترة دبیس الأول ولکنها تمتعت بشهرةٍ کبیرة فی زمن صدقة. وأرانی أتفق بصورة عامة مع أغلب النقاط التی جاء بها صاحب المقالة المذکورة، بل وأستطیع أن أُضیف عدداً آخراً من الروایات التاریخیة التی ورد فیها أسم الحلّة قبل تأسیسها، ولکن فی الوقت ذاته سوف أناقش بعض النقاط الأخری المُثارة فی تلک المقالة. فمثلاً ذکر ابن الجوزی فی سنة ۴۸۰هـ/۱۰۸۷م عندما خرج مرسوم بإبطال لبس الیهود الغیار فی بلاد ابن مزید، خرج الفقهاء الی حلّة دبیس بن علی[۱]. وروی ابن الأثیر فی سنة ۴۰۸هـ/۱۰۱۷م أن المقلد بن أبی الحسن أخا دبیس أراد الإمارة لنفسه فسار مع الأتراک وکبسوا دبیساً فی النعمانیة ثم نهبوا الحلّة[۲]. وفی سنة ۴۲۰هـ/۱۰۲۹م ذکر ابن الأثیر أیضاً أن نور الدولة دبیساً هو صاحب الحلّة والنیل، ثم یُعقب ابن الأثیر علی هذا بقوله ولم تکن الحلّة بُنیت ذلک الوقت[۳]. وبالإضافة الی ابن الجوزی وابن الأثیر فإن البنداری یذکر فی حوادث سنة ۴۵۱هـ/۱۰۵۹م أن البساسیری هرب الی حلّة دبیس[۴]. ویُلقب الذهبی فی سنة ۴۷۹هـ/۱۰۸۶م منصور بن دبیس بن علی

---

۱. ابن الجوزی: ج۹، ص۳۸.

۲. ابن الأثیر: ج۹، ص۱۱۴.

۳. ابن الأثیر: ج۹، ص۱۴۰.

۴. البنداری: ص۱۷.

بأنه صاحب[1] الحلّة والنيل. والأهم من هذا هو ما أورده ابن الوردى إذ قال: "صدقة هو الذى بنى الحلّة بالعراق" قال المؤلف تقدم ذكر الحلّة قبل وجود صدقة فكيف يكون هو الذى بناها[2]. فالغموض الذى نواجهه الآن فى مسألة بناء الحلّة لم يكن جديداً بل إن ابن الأثير وابن الوردى قد فطنا إليه قبلنا. والواقع أن هناك إحتمالين لتفسير هذا الإلتباس، الأول هو كما رآه مقدسى على أن الحلّة كانت موجودة قبل صدقة وقبل التاريخ المتعارف عليه، ٤٩٥هـ، وأن صدقة لم يبنى المدينة بل عمّرها فى تلك السنة[3]. والتعمير لا يعنى البناء وإنما يُفهم منه أنها كانت موجودة إلا أن صدقة جدد الدور والمبانى فيها سيما وأن لفظة الحلّة تعنى مساكن ومنازل جماعة ما[4]، وكثيراً ما أورد المؤرخون إصطلاح "حلّة بنى فلان" أو "حلل العرب" والمقصود بها مجموعة من الخيم الخاصة بسكنى القبائل. فالحلّة قد تكون موجودة فى زمن دبيس الأول وتسمى حلّة أيضاً. وأن دبيساً كما لاحظنا فى الفصل السياسى كان مستقراً فى النيل إلا أنه فى الوقت ذاته كانت له السيطرة على الجامعين التى تطورت فيما بعد الى الحلّة. ومن المُحتمل أنها أتخذت فى زمن دبيس مكاناً آخراً لبيوت قبيلة بنى أسد العربية[5] فسُميت أيضاً بحلّة بنى مزيد جنباً الى أسمها الجامعين. ويتعلق بهذه النقطة شئ

---

١. الذهبى: تاريخ (مخطوطة فى المتحف البريطانى ٥٠ .Or) ورقة ١٧٠ (أ).

٢. ابن الوردى: تتمة المختصر، ج٢، ص١٩.

٣. عن بناء الحلة أنظر: ابن الجوزى: ج٩، ص١٣٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١؛ ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص١٨٣؛ الذهبى: المشتبه، ج١، ص١٦٨.

٤. أنظر: ابن الجوزى: (مادة ـ حلل) ج١٣، ص١٧٤.

٥. ابن الجوزى: ج٩، ص١٣٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.

آخر مهم هو أن الأستاذ مقدسى خلال تحليله رواية ياقوت التى يقول فيها: "إن صدقة هو أول من عمّر الحلّة ونزلها وكانت منازل آبائه الدور من النيل"[1]، فقد ترجم هذه الجملة الأخيرة بأن دور المزيديين كانت مبنية من نبات النيل، وردّ على قول Karabacek الذى أعتبر الدور والنيل أسمين لمكانين مختلفين[2]. أما ما يبدو لى فهو أن قصد ياقوت هو أن صدقة قبل أن يتخذ الحلّة كان آباؤه يسكنون فى النيل، تلك المدينة التى أتخذها المزيديون فى بداية أمرهم عاصمة لهم، فالجملة تكون "وكانت منازل آبائه الدور فى النيل" بدلاً "من النيل".

والإحتمال الآخر حول هذا الموضوع هو أنه قد يكون من قبيل السبق التاريخى أو سحب التاريخى الى الوراء، فعندما يذكر ابن الجوزى، أو ابن الأثير أو البندارى بعض الحوادث المتعلقة ببنى مزيد فى الفترة السابقة لتأسيس الحلّة أى سنة ٤٩٥هـ فإنهم يذكرونها ضمن تلك الحوادث وكأنها موجودة آنذاك، وهذا يرجع الى أن هؤلاء المؤرخين كانوا يعاصرون فترة كانت فيها الحلّة موجودة ومشهورة وفى رأيى أن هذا الأحتمال أضعف من الأحتمال السابق.

---

١. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.

٢. أنظر: Makdisi: Notes on Hilla p. ٢٥٣.

فالحلّة إذن أخذت موقع الجامعين، وتقع غربى الفرات، كما تقدم فى وصف ابن جبير وآخرين[١]. وتقع مدينة الحلّة بالقرب من بابل ومقابلة لها[٢]، وحسب قول بنيامين التطيلى أنها تبعد خمسة أميال عن بابل[٣]. وقد أصبح يمرّ بها الطريق التجارى وطريق الحُجّاج من بغداد الى الكوفة. وهى تبعد عن بغداد قديماً حوالى ٦٠ ميلاً[٤]، أما الآن فإنها على بعد ١٠٥كم تقريباً.

والحلّة مستطيلة الشكل[٥]، وذكر ابن جبير أن لها سوراً إلا أنه لم يبق منه خلال زيارته لها فى القرن السادس للهجرة/الثانى عشر للميلاد غير "حلق من جدار ترابى مستدير"[٦] ويبدو أن بناءه لم يكن متيناً، وقد بناه صدقة عندما عمّر الحلّة[٧].

فكان موضع الحلّة قديماً "أجمّة يأوى إليها السباع"[٨] إلا أن سكنى بنى مزيد فى

---

١. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩. وأنظر حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥؛ ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢؛ القلقشندى: صبح، ج٤، ص٣٣٦. وروى السمعانى (ص١٨٢ب) أنها تقع على طرف الفرات. أنظر أيضاً ابن الأثير: اللباب، ج٣، ص٣٣١. بينما ذكر الجغرافى الفارسى المستوفى القزوينى (Nuzhat al. Qulub, p. ٤٧) أن نهر الفرات يقسم المدينة الى قسمين، وأغلب البيوت على الضفة الغربية، وهناك بيوت قليلة على الجانب الشرقى. ووضع Le Strange الحلة على الشاطئ الشرقى لنهر سورا. أنظر: The Lands, p. ٧١. وجعلها Lasner على الفرات. أنظر: El. (٢) (Hilla).

٢. حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٣. فى الترجمة العربية لرحلة بنيامين أخطاء كثيرة لذلك أعتمدنا على الترجمة الأنكليزية: Benjamin: The Itinerary (tr. By Asher) p. ١٠٦ـ ١٠٧.

٤. جاء فى مجلة المشرق أن الحلة تبعد عن بغداد بحوالى ٦٠ فرسخاً، ولعل الكاتب أراد بها ٦٠ ميلاً. أنظر: مجلة المشرق لسنة ١٩٥٦م، ص٤٥٤.

٥. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩؛ ابن بطوطة: الحلة، ص٢٢٠.

٦. ابن جبير: ص١٨٩؛ ياقوت: البلدان: ج٢، ص٣٢٢.

٧. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٦.

٨. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.

الجامعين وتعميرهم الحلّة حول مرتبتها الحضرية حتى أصبحت مدينة كبيرة فيها مساكن جميلة ودور فاخرة[1]. وسُمّيت أيضاً الفيحاء وكذلک زورة بابل[2].

ومن خلال أوصاف بعض الجغرافيين والمؤرخين يتبين لنا أن الحلّة كانت كثيرة الأنهار[3]. وكان لها جسر ضخم معقود على مراكب كبار متصلة[4]. ولعل السبب فی جعله بهذه المتانة والضخامة يرجع الى كثرة الزحام والمرور عليه، خاصةً وأن المدينة تقع على طريق القوافل، كما أن النهر الذى كان يمرّ بها كان صالحاً للسفن[5]. وللحلّة أسواق دائمة البيع والشراء[6]، وحافلة بالصناعات الضرورية والمرافق المدنية[7]. ولهذا فقد قصدها التجّار وأصبحت من أفخر البلاد حسبما روى الرحّالة المسلمون[8]. كما كانت تعتبر كالمحطة التى يتجمع فيها الحُجّاج قبل أن يذهبوا الى الكوفة ثم مكة[9]. وأمتازت أيضاً بكثرة الخيول العربية الأصيلة[10].

---

۱. ن.م.

۲. أنظر مجلة المشرق لسنة ۱۹۵۶م، ص۴۵۴.

۳. أنظر: ابن القلانسی: ذيل، ص۱۵۹؛ سبط ابن الجوزی: مرآة، ج۸، ص۲۶ ـ ۲۷.

۴. ابن جبير: الرحلة، ص۱۸۹؛ ابن بطوطة: ص۲۲۰.

۵. ابن جبير: ص۱۹۰.

۶. حاشية ابن حوقل: صورة، ج۱، ص۲۴۵.

۷. ابن جبير: ص۱۸۹؛ ابن بطوطة: ص۲۲۰.

۸. ياقوت: البلدان، ج۲، ص۳۲۲؛ ابن بطوطة: ص۲۲۰.

۹. أنظر: ابن الجوزی: ج۱۰، ص۲۲۲؛ ابن جبير: صفحات ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲؛ ياقوت: البلدان، ج۳، ص۸۶۳؛ ابن الأثير: ج۱۱، ص۶۰.

۱۰. أنظر: ابن الجوزی: ج۹، ص۲۱۸و ج۱۰، ص۱۲؛ ياقوت: البلدان، ج۶، ص۳۵۸؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۲۲۵؛ سبط ابن الجوزی: ج۸، ص۹۱.

وكانت الحلّة مزدحمة السكان[١] لأنها تقع فى منطقة خصبة، ولأنها محطة رئيسة فى الطريق من بغداد الى الكوفة. كما سكنها اليهود[٢]، وحسب قول الرحالة بنيامين التُطيلى أن عددهم يُقارب ١٠ آلاف يهودى، وكان لهم أربع كنائس[٣].

تقع بالقرب من الحلّة مواضع وقرى، بعضها تابعٌ لها، مثل الصروات[٤]، والقنطرة أو حصن بشير[٥]، والمشترک[٦]، والنيل[٧]، وسورا[٨] وشوشة[٩]، والمهاجرية[١٠]، وبر ملامة (بئر ملاحه)[١١]، والغامرية[١٢]. ولكننا لا نعرف موقع أغلب هذه الأماكن من المدينة الأم.

لقد حافظت الحلّة على أهميتها منذ سنة ٤٩٥هـ فى الوقت الذى تناقصت فيه أهمية المدن الأخرى أمثال بابل وسورا وقصر ابن هبيرة. ولا شک أن لموقعها الجغرافى أثراً فى

---

١. حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٢. ابن الجوزى: ج٩، ص٣٨؛ Benjamin: The Itinerary, p. ١٠٦.

٣. أنظر: Rogers op. cit, vol. I p. ٨٧.

٤. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٣٨٣.

٥. ابن جبير: ص١٩١.

٦. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٥٣٧.

٧. ن.م. ج٤، ص٨٦١؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٤١٣.

٨. ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤.

٩. الهروى: الإشارات، ص٧٦؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٣٣٥.

١٠. الحسينى: غاية الأختصار، ص٣٣.

١١. ياقوت: البلدان، ج١، ص٥٩٤؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

١٢. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٧٦٩.

إستمرار أهميتها، وتركز القرى والمواضع بالقرب منها وحولها، وازدحام السكان فيها. لذلک كان للمزيديين فى تأسيسهم الحلّة تأثير واضح فى أغلب التبدلات العمرانية فى عدد من مدن منطقة الفرات الأوسط.

الأهمية الإقتصادية للمنطقة

لقد نشأت إمارة المزيديين فى منطقة أشتهرت بخصوبتها، وبظهور عدّة مراكز حضارية فيها منذ أقدم الأزمنة[١]. حتى لقد أعتقد البعض أنها هى المقصودة بـ(جنة عدن)[٢].

وهى منطقة مستوية، يرويها نهر الفرات والترع الآخذة منه، وفيها بعض الإنخفاضات والمستنقعات[٣] الناجمة عن تغير مجرى الأنهار، أو نتيجةً لفيضانها وغمرها المناطق المنخفضة[٤]. وفى المنطقة بعض الكثبان الرملية والمرتفعات، وأغلبها بقايا مدنٍ أثرية[٥].

وقد أعتمد السكان فى الرى والزراعة على الأنهار التى تجلب أيضاً مواد غرينية صالحة للتربة فتساعد على نمو النباتات[٦].

---

١. عن المدن الحضارية الموجودة فى المنطقة أنظر: مجلة سومر: مقالة Robert, M. Adams م١٤ لسنة ١٩٥٨م ص١٠؛ البرازى: مستل من مقالة فى مجلة كلية الآداب لسنة ١٩٦٢م، ص٢٧٣.

٢. من جنة عدن الى عبور نهر الأردن، ولكوكس، ص٨.

٣. عن وصف أرض المنطقة أنظر: إبراهيم شريف: الموقع الجغرافى، ج١، ص١٥، ٢١؛ Barazi: The Al ـ Geography of Agriculture, p. ٧١ـ٧٣.

٤. فهناک المستنقع البابلى القديم الذى يشمل مساحة واسعة منها، إبراهيم شريف: المصدر السابق، ج١، ص٢٩.

٥. طه الهاشمى: مفصل جغرافية العراق، ص٤٤٨؛ سوسة: فى رى العراق نهر الفرات، ج١، ص٣٠؛ مجلة سومر: م١٤، ص١٠١.

٦. Ionides: The Regime of the Rivers Euphrates and Tigris p. ٣٠. Rogers, op. cit, vol. ١p. ٢٨١

وتربة منطقة الفرات الأوسط غنية بالمواد العضوية والمعدنية[١]، والجيرية[٢] وفيها نسبة عالية من الملح الذى يُساعد على نمو النباتات[٣]، وفيها مواد طينية وصلصالية[٤].

أنهار المنطقة

نهر الفرات[٥] هو العمود الرئيسى لهذه المنطقة، وكانت تتفرع منه عدّة فروع، فبعد مروره بنهر كوثى بثمانية عشر ميلاً ينقسم الى فرعين يسمى الأول سورا الأعلى والثانى العلقمى[٦]. ومن الأنهار الصغيرة المتفرعة من الفرات فى هذه المنطقة نهر الخندق ونهر سوق أسد ونهر الفرات العتيقة[٧] كما يتفرع من الفرات نهر البداة[٨].

وفى الأقسام الوسطى والشرقية يوجد نهر سورا الأعلى، وهو نهر واسع[٩] ويمر بمدينة قصر ابن هبيرة[١٠] ويأخذ منه نهر سورا الأسفل الذى يمر ببابل والجامعين

---

١. MacBean: The soil understanding in IRAQ p. ٢٩

٢. Barazi, op. cit, p. ١١١

٣. Buringh: Soils and Soil, p. ١٥٠

٤ Barazi, op. cit, p. ١١١

٥. عن نهر الفرات أنظر: ابن رستة: ص٩٤؛ ابن خرداذبة: ص١٧٤؛ قدامة: ص٢٣٤؛ المسعودى: مروج، ج١، ص٢١٥؛ سهراب: ص١٢٤؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٠، ١٢٤؛ الأصطخرى: ص٨٥؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٨٦١؛ العمرى: مسالک، ج١، ص٨٠؛ القلقشندى: صبح، ج٤، ص٣٩٩.

٦. أنظر: قدامة: ص٢٣٣؛ المسعودى: التنبيه، ص٤٧؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص٩٣ــ٩٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٠١.

٧. ابن الفقيه: ص١٧٥؛ أبو الفداء: تقويم، ص٣٠٥.

٨. ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦؛ سهراب: ص١٢٥.

٩. سهراب: ص١٢٤.

١٠. نفس المصدر والصفحة.

ویصبّ فی نهر البداة المتفرع من الفرات[۱] ومن نهر سورا الأعلی یتفرع أیضاً نهر الصراة العظمی الذی یمر بمدینة النیل ـ ویُحتمل أنه نهر سورا الأعلی نفسه ـ وبعد أن یجتازها یصبح أسمه نهر النیل الذی یصب فی دجلة[۲] وهناک أنهار أخری تتفرع من سورا مثل نهر أبی رحا الذی یمر بمدینة قصر ابن هبیرة[۳]. ونهر صراة جاماسب الذی یمر بمدینة[۴]النیل. فضلاً عن وجود أنهار صغیرة کثیرة تتفرع من نهر سورا وهی تشبه الترع والجداول الصغیرة[۵]. ویتفرع من نهر سورا الأسفل نهر آخر یسمی نهر النرس الذی یمر بالحارثیة وحمّام ابن عمر ویصب فی نهر البداة المتفرع من الفرات أسفل الکوفة[۶].

ومن الأنهار الصغیرة الأخری، نهر السیب بالقرب من قصر ابن هبیرة[۷] ونهر سنداد[۸]. ونهر أیا أو أبا وسمّاه الطبری أوا ویقع بین الکوفة وقصر ابن هبیرة[۹]. ونهر قورا الذی تقع علیه قریة سورا[۱۰]. ونهر مارا الذی یقع فمه عند النیل[۱۱]. ونهر بشیر ویقع فی شرقی الحلّة[۱۲].

---

۱. نفس المصدر والصفحة.
۲. نفس المصدر والصفحة؛ مراصد الإطلاع، ج۳، ص۱۴۱۳؛ شیخ الربوة: ص۱۱۳.
۳. سهراب: ص۱۲۴.
۴. نفس المصدر والصفحة.
۵. نفس المصدر: ص۱۲۴ـ۱۲۵.
۶. المسعودی: مروج، ج۲، ص۱۱۵؛ سهراب: ص۱۲۴.
۷. أبو الفداء: تقویم، ص۲۹۵ـ۲۹۶.
۸. الطبری: م۳، ص۱۹۰۲، ۱۹۶۲؛ یاقوت: البلدان، ج۳، ص۱۶۴؛ العمری: مسالک، ج۱، ص۲۲۹.
۹. الطبری: م۳، ص۱۸۵۸؛ الخطیب البغدادی: ج۱، ص۵۷؛ یاقوت: البلدان، ج۱، ص۷۰.
۱۰. یاقوت: البلدان، ج۴، ص۸۴۳.
۱۱. نفس المصدر: ج۴، ص۸۴۴؛ مراصد الإطلاع، ج۳، ص۱۴۰۵.
۱۲. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۲۲۸.

الطرق التجارية ـ التجارة

تمر بمنطقة الفرات الأوسط طرق رئيسة، وقد نمت بعض محطاتها فصارت مدناً. والطريق الرئيسى هو طريق بغداد ـ الكوفة، وهو من أربع مراحل[١].

١ـ المرحلة الأولى: من بغداد الى جسر نهر كوثى[٢]، وهو سبعة فراسخ (٢١ ميلاً)[٣] وتكون كوثى المحطة الرئيسة فى هذه المرحلة، وهى على الأكثر قريبة من الجسر، لأنه يمثل همزة الوصل جغرافياً، ومنطقة بيع وشراء من الناحية الإقتصادية.

٢ـ المرحلة الثانية: من جسر نهر كوثى الى مدينة قصر ابن هبيرة والمسافة تبلغ خمسة فراسخ (١٥ ميلاً) فبعد أجتياز المسافر جسر نهر كوثى يمرّ بموضعٍ يعرف بزيقيا[٤] الذى يبعد ستة أميال عن الجسر، ومنه الى القصر والمسافة بينهما (٩) أميال[٥]. وهذا يعنى أن القصر هو

---

١. قسّم اليعقوبى الطريق الى ثلاث مراحل الأولى من بغداد الى قصر ابن هبيرة وتبلغ مسافتها ٢١ فرسخاً، والثانية من القصر الى سوق أسد وتبلغ مسافتها ٦ فراسخ، والثالثة من سوق أسد الى الكوفة وتبلغ ١٢ فرسخاً. البلدان، ص٣٠٨.

٢. وهى أثنان كوثى الطريق وكوثى ربا، والأخيرة تعتبر مدينة إبراهيم الخليل (ع)، ويقال أنه طرح بها النار. البكرى: معجم، ج٤، ص١١٣٨؛ المقدسى: أحسن، ص١٢١ــ١٢٢، ١٣٠؛ الأصطخرى: ص٨٦؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٥؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٣١٧.

٣. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٢٥؛ قدامة: ص١٨٥؛ المقدسى: ص١٣٤؛ ابن رسته: ص١٨٢؛ ابن حوقل: المسالك، ص١٥٨. وعن هذا الطريق أنظر: Sprenger: Die post_und Reis ـ und (١٨٦٤) erouten des Orients p. ١١, ١٢.

٤. وهى قرية قريبة من الحلة ومن أعمال الكوفة. البلاذرى: أنساب، ج٥، ص٢٩٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٦٠٨، ج٤، ص٣٣١.

٥. ابن خرداذبة: ص١٢٥؛ قدامة: ص١٨٥؛ ابن رسته: ص١٨٢؛ وقال ابن حائك الهمدانى فى صفة جزيرة العرب أن المسافة بين بغداد والقصر ١٢ فرسخاً، ص١٨٣.

المحطة الرئيسة فى هذه المرحلة[1].

٣ـ المرحلة الثالثة: من قصر ابن هبيرة الى سوق أسد كما ذكر اليعقوبى أو الى حمام ابن عمر[2]، وصف المقدسى. والطريق ستة فراسخ (١٨ ميلاً)؛ وحمام ابن عمر هو المحطة الرئيسة فى هذه المرحلة ويقع قرب الجامعين.

٤ـ المرحلة الرابعة: من سوق أسد، أو حمام ابن عمر الى الكوفة. والمسافة بينهما أثنا عشر فرسخاً (٣٦ ميلاً) فبعد خروج المسافر من محطة المرحلة الثالثة تصادفه عدّة قرى ومواضع منها اليعقوبية والقناطر[3] وشاهى[4] الى أن يصل الى الكوفة.

يتبين من كل ما تقدم ذكره أن كثيراً من المناطق والمحطات فى الطريق[5] تقع، فى منطقة الفرات الأوسط. فقصر ابن هبيرة من المحطات المهمة فيها، وهو أكبر مدينة بين بغداد

---

١. يقع غربى الفرات فى طسوج الفلوجة السفلى ويُنسب الى عبد الله القسرى وفيه نهر بإسمه. أنظر: البلاذرى: فتوح، ص٢٨٦؛ اليعقوبى: البلدان، ص٣٠٩؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٩٣، ٨٦١.

٢. فى هذه المرحلة توجد عدة مواضع نظير جسر سورا وذمار حسبما قال المقدسى، ويبدو أنه أراد المذار الذى يقع بين واسط والبصرة. ياقوت: البلدان، ج١، ص٦٠٣؛ ج٤، ص٤٦٨. وحمام ابن عمر إحدى مدن الكوفة ويبعد عن الجامعين مسافة ١٨ ميلاً. انظر: سهراب: ص١٢٤؛ المقدسى: ص١١٤؛ الطبرى: م٢، ص٩١٠، ٩٥٧، ١١٢٥.

٣. جمع قنطرة وتقع قرب الكوفة، وهى قريبة من شاهى. أنظر: الطبرى: م١، ص٣٣٧٦، م٣، ص٩٧٧؛ المسعودى: مروج، ج٦، ص٢٠٠؛ ياقوت: ج٤، ص١٨٠.

٤. شاهى وليس (ساهى). قال اليعقوبى أنها بين الكوفة وبغداد، تاريخ، ج٢، ص٦٠٨؛ وهى قريبة من الكوفة. ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص٢٤٠.

٥. جعل اليعقوبى طول الطريق (٩٠) ميلاً، البلدان، ص٣٠٨؛ وابن رستة (٩٦) ميلاً، ص١٨٢؛ وابن خرداذبة (٩٣) ميلاً، ص١٢٥؛ وقدامة (٨٧) ميلاً، ص١٨٥؛ بينما جعله الهمدانى (٨٢) ميلاً، ص١٨٣. وقد رجّح موسيل ما أورده الهمدانى. Musil, op. cit, p. ٢٤٥ ومع أن الهمدانى قدم قياسات خطوط الطول والعرض، غير أنه لا يمكن الأخذ بها.

والكوفة[۱]. وفيه أسواق جيدة[۲].

ثم تأسست الحلّة التى أخذت مكانة القصر فى الأهمية. فأصبح الطريق يمرّ بها لهذا فقد قصدها التجّار[۳]. وأصبحت فيها أسواق نشطة ودائمة البيع والشراء[۴].

والى جانب هذا الطريق البرى يوجد طريق نهرى يربط بغداد بالحلّة. قال ابن جبير أن الحلّة تقع على الفرات الذى وصفه بأنه: "نهر كبير زخار، تصعد فيه السفن وتنحدر"[۵] ولعل السفن تصل الى بغداد عن طريق الأنهار المتفرعة من الفرات والتى تمر ببغداد وتصب فى دجلة مثل نهر عيسى.

وهناک بعض الطرق الفرعية التى تربط منطقة الفرات الأوسط بغيرها من البلاد مثل الطريق الذى يربط المنطقة عبر الشام[۶] وكذلک يوجد طريق آخر من الهند الى البصرة ومنه الى الحلّة ثم الى بغداد[۷].

الزراعة

لمنطقة الفرات الأوسط أهمية فى أنتاج المواد الغذائية لتموين أهلها، وإمداد سكان بغداد

---

۱. ابن حوقل: صورة، ق۱، ص۲۴۳.

۲. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص۱۲۱.

۳. ياقوت: البلدان، ج۲، ص۳۲۳.

۴. ابن حوقل: صورة، ق۱، ص۲۴۵. عن الحاشية.

۵. ابن جبير: الرحلة، ص۱۹۰؛ ابن الأثير: ج۱۰، ص۲۱۴؛ ابن كثير: ج۱۲، ص۱۸۲، ۱۸۵.

۶. ابن الجوزى: ج۸، ص۱۲ (سنة ۴۱۴هـ).

۷. تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملک المنصور، ص۵۱. جاء فى الأصل الحيلة خطئاً.

فی الظروف الحرجة والأزمات بهذه المواد. ویمکن أستنتاج ذلک من فترات أخری، ففی سنة ۶۵۶هـ عندما أرتبکت الأوضاع فی بغداد علی أثر غزو هولاکو والتتر للعاصمة کان "أهالی الحلّة والکوفة والسیب یحملون الأطعمة الی بغداد فإنتفع الناس بذلک"[۱] وفی سنة ۶۸۴هـ حمل أهل الحلّة الغلّة والخبز الی بغداد[۲]، والراجح أن هذه المنطقة کانت بمثابة ریف بغداد تموّن بغداد قبل هذا منذ زمن المزیدیین. إذ أنه فی سنة ۵۵۶هـ طالبت قبیلة بنی خفاجة برسومها من التمور من الحلّة والکوفة[۳]. مما یدل علی کثرة أنتاج هذه المنطقة لمثل هذه المحاصیل.

ومما یوضح کثرة أنتاج هذه المنطقة مقدار ضمان بعض المدن فیها، ففی القرن الرابع للهجرة مثلاً کان ضمان أعمال الکوفة وقصر ابن هبیرة وباروسما الأعلی والأسفل فی کل یوم سبعة آلاف دینار وفی کل شهر زیادة ستة آلاف دینار[۴]. وکان ضمان الحلّة سنة ۵۱۵هـ کل یوم ألف دینار وفرساً[۵] وهذا یصوّر أهمیة المنطقة من الناحیة الإقتصادیة.

وذکر ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر قائمة حاصلات منطقة الفرات الأوسط وکمیة

---

۱. ابن الفوطی: ص۳۳۱.

۲. نفس المصدر، ص۴۴۷.

۳. ابن الأثیر: ج۱۱، ص۱۱۲.

۴. الصابی: ص۱۴. کانت قیمة الدینار متغیرة، ثم أن النقود نفسها عدیدة الأصناف. ولکن فی حوالی القرن الخامس والسادس للهجرة کان الدینار یساوی عشرة دراهم. أنظر: ابن الجوزی: ج۹، ص۲۳۵.

۵. ابن الأثیر: ج۱۰، ص۲۲۵.

الإنتاج[1] وهی تُلقی ضوءاً علی أنتاجها وحاصلاتها الزراعیة. فمجموع أنتاج طسوج بابل وخطرنیة ـ وهما قلب البلاد المزیدیة ـ من الحنطة ۳۰۰۰ کرّ ومن الشعیر ۵۰۰۰کرّ[2]، وکان الطسوج یشتمل علی ۱۶ رستاقاً[3] و ۳۸۷ بیدراً، وبمقارنة أنتاج هذا الطسوج بغیره من طساسیج أستان البهقباذ الأعلی، یتبین مقدار أنتاجه العالی بالنسبة لتلک الطساسیج وهی تبین أن أهم محاصیل المنطقة، الحنطة والشعیر، ویُزرع الأرز فی طسوجی سورا وبربیسما[4] لکثرة المیاه والمستنقعات فیهما.

إن فی قائمة ابن خرداذبة تناقضاتٍ فی کمیة الإنتاج وأماکن الزراعة، وقد یرجع ذلک الی خطأٍ فی النسخ. ففی طسوج الفلوجة العلیا ـ الذی یقع بین الحلّة والکوفة ـ خمسة عشر رستاقاً وکان عدد البیادر ۲۴۰ بیدراً فی الوقت الذی کان فیه حاصل الطسوج من الحنطة (۵۰۰ کرّ) ومن الشعیر (۵۰۰ کرّ)[5] بینما نُلاحظ فی طسوج الفلوجة السفلی عدد الرساتیق (۶) والبیادر (۷۲) ومع ذلک کان أنتاجه (۲۰۰۰ کرّ) من الحنطة و(۳۰۰۰ کرّ) من الشعیر. وفی طسوج سورا وبریسما الذی یشتمل علی (۱۰) رساتیق و(۲۶۵) بیدراً کان أنتاجه من الحنطة (۷۰۰ کرّ) أو (۱۵۰۰ کرّ) کما قال قدامة، ومن الشعیر (۲۴۰۰ کرّ) أو (۴۵۰۰ کرّ) کما قال قدامة. فلا یمکن أن یکون أنتاج منطقة مساحتها قلیلة، وعدد أماکن جمع المحصول فیها قلیلة أیضاً، أکثر من أنتاج الفلوجة العلیا ذات المساحة الواسعة نسبیاً. فمن المُحتمل أن

---

۱. أنظر قائمة أنتاج أستان البهقباذ الأعلی، ص۱۹۸.

۲. الکرّ یساوی ۷۲۰ صاعاً. الخوارزمی: مفاتیح، ص۴۴؛ والکرّ یساوی ۶۰ قفیزاً. ابن منظور: (مادة کرر).

۳. الرستاق: (کل موضع فیه مزارع وقری ولا یقال ذلک للمدن کالبصرة وبغداد... وهو أخص من الکورة والأستان) یاقوت: البلدان، ج۱، ص۴۱.

۴. ابن خرداذبة: ص۱۰؛ قدامة: ص۲۳۷.

۵. ابن خرداذبة: ص۱۰؛ قدامة: ص۲۳۷. والبیدر هو المکان الذی یُداس فیه الحبوب.

هناک خطأً فی العدد کأن یکون (۲۵۰۰ کرّ) من الحنطة ومثلها من الشعیر أو (۱۵۰۰ کرّ) لکلٍ من المحصولین. غیر أننا لم نجد مصدراً آخراً یذکر المحاصیل الزراعیة وتوزیع أنتاجها علی مراکز المنطقة، وکمیة أنتاجها، مثل ما قدّم لنا ابن خرداذبة وقدامة لکی نستطیع مقارنة ذلک علی الأقل.

ومن مناطق زراعة القمح، بالإضافة الی ما ذکره ابن خرداذبة فی قائمته هی البهقباذات وکوثی[۱].

وکانت أکثر مناطق زراعة القمح، مشهورة بزراعة الشعیر، وهذا یعنی أن الأرض التی تزرع حنطة یوجد فیها شعیر کذلک.

یُزرع الأرز، بالإضافة الی سورا وبریسما، فی السیبین[۲] الأعلی والأسفل اللذین یُعتبران من طسوج سورا عند قصر ابن هبیرة[۳]. وفی منطقة البطائح[۴] کما یُزرع من الحبوب السمسم والقطن فی البهقباذات ـ الأعلی والأوسط والأسفل ـ وکوثی[۵].

---

۱. البلاذری: فتوح، ص۲۷۱؛ الطوسی: تهذیب الأحکام، ج۴، ص۱۲۰.

۲. الصابی: ص۲۵۸.

۳. یاقوت: البلدان، ج۳، ص۲۰۸.

۴. المقدسی: أحسن التقاسیم، ص۱۱۹.

۵. البلاذری: فتوح، ص۲۷۱.

وأشتهرت سورا بزراعة البقل[١] والكوفة فى الباقلاء[٢]. وفى البهقباذات توجد الخضروات والمقاثى[٣]. ويوجد فى مدينة النيل مزارع كثيرة[٤]. والراجح أن ذكر الخضروات يأتى مع المزارع والبساتين، فعندما يُقال عن المدينة الفُلانية ذات مزارعٍ كثيرة، يعنى أنها تحتوى على خضرواتٍ مختلفة.

ويكثر النخيل فى الحلّة حتى أن دورها كانت بين حدائقه[٥]. وقد شجّع صدقة بن مزيد زراعة البساتين[٦] فيها. وهناك بعض الروايات التى تبين كثرة النخيل فى هذه المنطقة، ففى سنة ٦٥٣هـ هبّت ريح قوية وقعت نتيجتها ثلاثة آلاف نخلة من نخل الكوفة ومن نخل السيب، وأُغرقت حوالى سبعين ألف نخلة[٧]. وتزرع فى البهقباذات وكوثى أشجار النخيل[٨]. وفى سنداد يوجد نوع من النخل المنبق[٩] وكذلك يُزرع النخيل فى النيل[١٠].

أما أنواع التمور فقد ذكرنا النخيل المنبق، وفى الكوفة يوجد الترسيان وهو طيب[١١]

---

١. البقل: كل عشبة تنبت فى بزر ولم تنبت من أروقة باقية، أبو حنيفة الدينورى: النبات، ص٦٣؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢١٤.

٢. الثعالبى: لطائف المعارف، ص٢٣٧.

٣. المقاثى: نوع من الخضروات ومفرده القثاء. البلاذرى: فتوح، ص٢٧١؛ أخوان الصفا: ج٢، ص١٦١.

٤. القرمانى: أخبار الأول، ص٤٩٠.

٥. ابن جبير: ص١٨٩؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

٦. ابن الجوزى: ج٩، ص٢٣٦.

٧. ابن الفوطى: ص٢٧٧.

٨. البلاذرى: فتوح، ص٢٧١.

٩. الهمدانى: صفة، ص٢٣١.

١٠. ابن الجوزى: ج٩، ص١٤.

١١. الجواليقى: المعرب، ص٣٣٨.

والمشان والسايرى[1] والهيرون آزاذ[2]، ويوجد أيضاً قصب العنبر[3] وهو نوع من التمر اليابس[4].

لقد شجّع عضد الدولة سنة ۳۹۶هـ زراعة النخيل وأشجار الفواكه الأخرى[5]، ويُقال أن أشجار الفواكه كالنارنج وأشجار الأترج[6]، دخلت العراق من الهند بعد الثلاثمائة[7]. وقد أشتهرت قرية بشير التى تقع قرب الحلة بكثرة الأشجار والفواكه[8]. وأشتهرت بابل بزراعة الكروم وكانت تتصف بالجودة، وقد عُمِلَ منها الخمور[9]. وكانت سورا كثيرة الأعناب[10] والرمّان الجيد[11]. وتزرع الكروم أيضاً فى البهقباذات[12].

كانت الآجمّة التى تقع قرب الحلّة من المراعى المهمة لكثيرٍ من الحيوانات، لاسيما وأن

---

۱. ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، ج۲، ص۲۲۰.

۲. نفس المصدر: ج۲، ص۲۲۱.

۳. نفس المصدر والصفحة.

۴. ابن منظور: (مادة قسب).

۵. مسكويه: تجارب، ج۲، ص۴۰۵.

۶. قال أبو حنيفة الدينورى أن الأترج كثير ببلاد العرب وأنه يغرس غرساً، وأن شجرته تبقى تحمل عشرين سنة. وحملها مرة واحدة فى السنة ومنها الحلو والحامض، النبات، ص۴۰.

۷. المسعودى: مروج، ج۲، ص۴۳۸.

۸. ابن جبير: الرحلة، ص۱۹۱.

۹. ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، ج۱، ص۲۶۰.

۱۰. الشابشتى: ص۴۶؛ المقدسى: ص۱۱۷؛ ياقوت: ج۱، ص۴۴۷، ج۳، ص۱۸۵.

۱۱. الكلينى: الكافى، ج۶، ص۳۵۴.

۱۲. البلاذرى: فتوح، ص۲۷۱.

المنطقة تشتهر بكثرة المواشى من أغنامٍ وأبقار[1] وفيها أيضاً القصب[2] الذى يدخل فى صناعة الحصران وبيوت البدو. كما أن هناك ضروباً من النباتات التى تعتبر غذاءً للحيوانات كالحلفاء[3] كما يوجد البردى كذلك[4].

ومن الأخطار التى تهدد الزراعة ـ خاصةً الحبوب ـ الجراد، الذى يأكل الحاصل، فقد سبب هجوم الجراد الغلاء فى عدة سنوات مثلاً سنة ٣١١هـ و ٣٤٨هـ [5] و ٤٦٥هـ [6] و ٤٦٨هـ [7]. وكان الناس يصطادونه ويأكلونه[8] وقد حاول الفلاحون مكافحته بضرب الطبول والأبواق[9] وهى طريقة قليلة الجدوى.

وقد كانت الأسمدة الحيوانية تستعمل فى زراعة البقول والخضروات[10] والفواكه[11]. وأستعملت الأبقار والجواميس[12] للحراثة وسقى الأرض. والمنجل للحصاد[13] والمساحى للحرث[1] ص: ٢٨٨

---

١. أنظر: التنوخى: الفرج، ص٢٩٠ ـ ٢٩١؛ ابن الجوزى: ج٨، ص٢٩، ج٩، ص٣٠.

٢. أبو يوسف: الخراج، ص١٠٣؛ ابن الجوزى: ج١٠، ص٢٧.

٣. الجاحظ: الدلائل والأعتبار، ص٢٥.

٤. نفس المصدر والصفحة.

٥. ابن الأثير: ج٨، ص٤٩، ١١٠.

٦. ابن الجوزى: ج٨، ص٢٧٨.

٧. نفس المصدر: ج٨، ص٢٩٧.

٨. التنوخى: الفرج، ص٣٢٢.

٩. الدورى: تاريخ العراق، ص٥٠. عن ابن العبرى.

١٠. الجاحظ: الدلائل، ص٢٥.

١١. ياقوت: الأدباء، ج٥، ص٣٠٦.

١٢. الدمشقى: الإشارة الى محاسن التجارة، ص٣٨.

١٣. الثعالبى: خاص الخواص، ص٦٤.

والحبال[٢] لربط الحيوانات بعضها ببعض أو لسحب المياه. والهيب لحفر الأرض[٣].

ملحق قائمة ابن خرداذبة وقُدامة بن جعفر

لبعض الطساسيج المهمة فى منطقة الفرات الأوسط

ت	الطسوج	الرساتيق	البيادر	الحنطة	الشعير	الورق
١	بابل وخطرنية	١٦	٣٨٧	٣٠٠٠ كرّ	٥٠٠٠ كرّ	٣٥٠٠٠٠ درهم
٢	الفلوجة العليا	١٥	٢٤٠	٥٠٠ كرّ	٥٠٠ كرّ	٧٠٠٠٠ درهم
٣	الفلوجة السفلى	٦	٧٢	٢٠٠٠ كرّ	٣٠٠٠ كرّ	٢٨٠٠٠٠ درهم
٤	النهرين	٣	١٨١	٣٠٠ كرّ	٤٠٠ كرّ	٤٥٠٠٠ درهم
٥	سورا وبريسما	١٠	٢٦٥	٧٠٠ كرّ	٢٤٠٠ كرّ	١٠٠٠٠٠ درهم
			قُدامة	١٥٠٠ كرّ	٤٥٠٠ كرّ	٢٥٠٠٠٠ درهم

ابن خرداذبة: ص١٠ قدامة بن جعفر: ص٢٣٦

---

١. إخوان الصفا: ج١، ص٣٨٣؛ ياقوت: الأدباء، ج١، ص٨٥.

٢. ياقوت: الأدباء، ج١، ص٨٥؛ سماها الطلق ومعناها الحبال. أنظر: ابن منظور: (مادة طلق).

٣. التنوخى: نشوار المحاضرة، ج١، ص٨٦.

الصناعة

تعدّ المنسوجات من الصناعات المهمة فى منطقة الفرات الأوسط فكانت مدينة قصر ابن هبيرة "كثيرة الحاكة واليهود"[١]. وفيها (فى القرن الخامس الهجرى) سوق المغزل كان ضمان نصفه سبعمائة دينار سنوياً، وضمان النصف الآخر ألف دينار سنوياً[٢]. وهذا يدل على أهمية صناعته وكثرة المحلات ومن يشتغل بها.

أما الحلّة فقد وصفها ابن جبير بقوله: "حفيلة جامعة المرافق المدنية والصناعات الضرورية"[٣] ومن المُحتمل أن صناعة المنسوجات والغزل والحياكة لتى أشتهرت بها مدينة القصر قد أنتقلت إليها. وهناك بعض الروايات التى تبين وجود الأقمشة فى الحلّة وقد دخلت ضمن الضريبة المفروضة على المزيديين، ففى سنة ٥٢٣هـ ألتزم دبيس بأن يُعطى الخليفة مقداراً من المال وقماشاً[٤]. كما يُحتمل أن تكون هذه الأقمشة مستوردة.

ومن منسوجات هذه المنطقة "المناديل القصرية"[٥]. كما توجد الثياب النرسية المعروفة

---

١. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٢١.

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ـ١٢٤؛ عن الهلال بن المحسن الصابى.

٣. ابن جبير: ص١٨٩؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

٤. الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص٣١ـ٣٢. وأنظر أيضاً ابن الأثير: ج٩، ص٦٤؛ ابن خلدون: م٤، ص١٠٠٠.

٥. المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٢٨.

بالخطرنية[1] نسبةً الى خطرنية الواقعة بالقرب من بابل. وأشتهرت الكوفة بنسيج الخمر والريط الكوفية[2]، والفوط وهى نوع من الملابس يلبسها الحمّالون وهى عبارة عن إزار مخططة[3].

ومن المُحتمل أن الثياب اليهودية[4] التى يتردد ذكرها فى كتاب الشيبانى يُقصد بها ما يُنسج فى قصر ابن هبيرة.

وأشتهرت الكوفة بصناعة العطور كالبنفسج ودهن الورد[5]، وفى الحلّة يوجد من العطور المسک والعنبر[6] وهما من العطور المستوردة. وتصنع فى بعض مدن المنطقة الخمور[7] قبل الفترة المزيدية، مثل سورا وبابل. كما ذُكر وجود الخمر فى الحلّة[8]. إلا أننا لا نعلم هل يُصنع فيها أم يُستورد من مناطقٍ أخرى. وقد وردت بعض الروايات التى تُشير الى وجود الصياغة

---

١. المسعودى: مروج، ج۶، ص۵۹. سماها الثياب النرسية، وكذلک البراقى: تاريخ الكوفة، ص۱۹۱. بينما ذكرها الجواليقى: ص۳۳۷؛ وابن منظور: (مادة نرس) على أنها الثياب النرسية نسبة الى نهر النرس. وكذلک راجع صالح العلى: بحث الأنسجة فى مجلة الأبحاث، لسنة ۱۹۶۱م، ج۴، ص۵۸۵. وأنظر أيضاً" Serjeant: 'Katerial for a history of Islamic textiles up to the Mongol conquest' in Ars Islamica (۱۹۴۲) p. ۸۶.

٢. الأغانى، ج۳، ص۴۵؛ أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء، ج۱، ص۶۰.

٣. ابن منظور: (مادة فوط)، ج۹، ص۲۴۸.

۴. الشيبانى: الجامع الكبير، ص۱۵۳، ۲۴۳.

۵. الثعالبى: لطائف المعارف، ص۱۶۹.

۶. ابن الجوزى: ج۹، ص۳۰؛ ابن كثير: ج۱۲، ص۱۳۱.

٧. عن الخمور أنظر: البكرى: معجم ما أستعجم، ج۱، ص۲۸۰؛ الأغانى، ج۲، ص۳۵۵، ج۱۳، ص۳۲۸؛ الشابشتى: ص۴۶؛ ابن قتيبة: المعانى الكبير، ج۱، ص۴۶۴؛ وهذه المصادر قديمة إلا أنه توضح لنا وجود الخمر فى بعض المواضع فى منطقة الفرات الأوسط. وكذلک ياقوت: البلدان، ج۱، ص۴۴۷، ج۳، ص۱۸۵.

٨. سبط ابن الجوزى: مرآة، ج۸، ص۱۰۲، ۱۰۹.

وبعض المهن المتصلة بصناعة التحف والهدايا، فمثلاً من جملة الحاجات التى أخذها السلطان جلال الدولة ملكشاه من صدقة بن مزيد خمسمائة قطعة من الفضة وألوان من التماثيل[1]. وفى الحرب بين صدقة والسلطان سنة ٥٠١هـ طلب أحد أبناء صدقة من أبيه أن يستعطف السلطان بحمل التحف والأموال[2]. وكان عند أمراء بنى مزيد الجواهر[3]. ومع أن هذه الروايات فردية لا تعطى الدليل الجازم على وجود مثل هذه الصناعات فى الحلّة، غير أن وجود الفضة والذهب والجواهر والتحف تدل على وجود مهنة الصياغة، لاسيما أن مدينة الحلّة محطة تجارية.

ومن كل ما ذُكر نستنتج أن لمنطقة الفرات الأوسط أهمية إقتصادية بارزة قبل مجئ المزيديين، وعندما سيطر هؤلاء على المنطقة لم يعملوا على إضعاف تلك الأهمية، بل على العكس فقد أثروا فيها تأثيراً إيجابياً ودافعاً وعملوا على تنشيطها، على الرغم من إنشغالهم بالأمور السياسية التى كانوا يهدفون منها الى تثبيت إمارتهم وتمكين سلطة حكمهم وتوسيع مناطق نفوذهم.

---

١. ابن كثير: ج١٢، ص١٣١.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٦.

٣. سبط ابن الجوزى: ج٨، ص٢٦ـ٢٧، ٢٨.

الفصل السابع

التشيّع فى حلّة بنى مزيد

المبحث الأوّل: دور الحلّة ومنطقتها فى حركة التشيّع

علينا تشخيص عدّة أمور أساسية فى البحث حول دور مدينة الحلّة ومنطقتها فى حركة التشيّع خلال المدة التى ولدت فيها الإمارة المزيدية الأسدية ثم تطورت وتوسعت حتى منتصف القرن السادس الهجرى/الثانى عشر للميلاد:

١ـ تحديد دور مدينة الحلّة التى تأسست فى نهاية القرن الخامس الهجرى من قبل الأمير المزيدى المشهور صدقة بن منصور، ملک العرب، تحديد عام إذ لا يعنى عدم وجود دور للحليين أو سكان منطقة الحلّة فى التشيّع قبل تأسيس المدينة؛ فالحلّة مركز إدارة بنى مزيد بعد التأسيس غير أنها كانت أيضاً مركزاً إدارياً لمنطقة واسعة ضمّت الكثير من المدن والبلدات والقرى الكبيرة الجامعة والقرى الصغيرة وما الى ذلک من مراكز حضرية. فعلى سبيل المثال أسس المزيديون إمارتهم أولاً فى مدينة النيل الواقعة على نهر النيل. ومدينة

النيل كانت هى الأخرى تشرف على ريف واسع وخصب يمتد من الجهة الغربية الى الكوفة وباديتها وشرقاً الى واسط وإقليم كسكر وجنوباً الى بطائح واسط وبطائح الكوفة وشمالاً الى نهر الملك القريب من بغداد. وعندما تأسست الحلّة ورثت هذه السِعة الإدارية أيضاً. ولهذا ليس صحيحاً تحديد الدور هذا لمدينة الحلّة دون الأخذ بنظر الأعتبار هذه المنطقة الكبيرة والفسيحة التى تميزت بنمطها الزراعى وبكثرة المزارعين وكانت مدنها وقراها مأهولة بالسكان. ولقد أسهم أهالى هذه المنطقة إسهاماً فعالاً فى حركة التشيّع على المذهب الإمامى قبل تأسيس الحلّة بكثير سواء كان هذا الإسهام سياسى أو عقيدى.

فمدينة النيل حاضرة المزيديين أرتبط أسمها أرتباطاً زمانياً ومكانياً بنهر النيل الذى كما يراه البلدانيون المسلمون قد أُحتفر أو كرى أو أُعيد حفره من قبل الحجّاج الثقفى والى العراقين البصرة والكوفة. وإزاء هذا الافتراض فإن بعض البلدانيين يرون فى نهر النيل على أنه نهر قديم أقدم من الفترة الأموية أو فترة الحجّاج. وكان يستمد مياهه من نهرٍ معروف أسمه الصراة أو بالأحرى صراة جاماسب. وبكرور الأيام تحول مجرى النهر المغذى للنيل ففقد صلاحيته للنقل والمواصلات والرى وجفّت مياهه تدريجياً الى أن أضحى جافاً قبل أو خلال العصر الأموى. وأن الحجّاج الثقفى الذى أخذ على عاتقه إعادة أستصلاح الأراضى الشاسعة من البطائح وتحويلها الى أراضٍ صالحة للزراعة والأنتاج فقد وجّه أهتمامه الى

إقليم كسكر القديم والغنى إقتصادياً والى إعادة أحتفار نهر النيل وكريه ليسترد مياهه وعافيته فى إرواء منطقة زراعية فسيحة[1].

وبغية توضيح الخصائص الجغرافية والحضرية للتفرعات النهرية لمنطقة النيل والحلّة وتأثيرها على توزيع المراكز الحضرية وعلى كثافة السكان وتوزيعهم، نأتى على ذكر نص قدامة بن جعفر فى كتابه (الخراج وصناعة الكتابة) إذ يقول: "إن نهر الفرات بعد تجاوزه مدينة الأنبار ينقسم الى نهرين، الأول منهما يسير بأتجاه مدينة الكوفة وهو ما يعرف بنهر العلقمى أما الآخر فيستمر مستقيماً ويعرف بنهر سورا. وهذا النهر يمرّ بموضع سورا المشهور جداً ثم يمرّ بمدينة النيل وما يتصل بها من قرى ومواضع فيسقى أراضى الكثير من أعمال السواد"[2]. فوصف قدامة يبين بجلاء قِدَم نهر النيل ومدينة النيل والمنطقة المحيطة بهما، إنها منطقة زراعية مأهولة.

وفى هذه المنطقة مدن ومواضع أدت أدواراً مهمة فى التشيّع منها قرية بربيسما ومطير آباذ والأميرية والمزيدية والسيب الأعلى والسيب الأسفل والسيب الأوسط والطفوف وقوسان أو قسين وقرية نهر سابس وقصر ابن هبيرة والجامعين وكوثى وأبو حطب والنجمى أو النجمية وسورا وبابل والنرس وقليدية وكان أهلها من الشيعة الإمامية، فعلى سبيل المثال

---

١. ينظر عن عملية كرى النهر: الزهرى: أبو عبد الله: كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨م، ص٢٤٩؛ سهراب أو ابن سرابيون: عجائب الأقاليم السبعة، كذلك التوضيح القيّم الذى أبداه المرحوم الدكتور مصطفى جواد على هامش صفحة ٥٥ من كتاب ابن الفوطى، كمال الدين: تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب.

٢. الخراج وصناعة الكتابة، شرح: د. محمد حسين الزبيدى، بغداد، ١٩٨١م، ص١٥٥.

يصف ياقوت الحموى النعمانية التى كانت تعدّ عملاً من أعمال الزاب الأعلى فى المنطقة بأن: "أهلها كلّهم شيعة"[1]. كذلک وردت صفة كل من أهالى موضع كوثى وأبى حطب أنهم شيعة. وأن أهالى النجمية أو النجمى كانوا من أتباع آل البيت. إنّ الهدف من هذه الإشارات هو التوضيح بأن منطقة الفرات الأوسط قد شهدت دوراً متميزاً فى حركة التشيّع فى العراق كيف لا يكون هذا وهى تضم المدينتين المقدستين النجف الأشرف وكربلاء. فيذكر النسابة المعروف ابن عنبة الحسنى مثلاً أن فى قرية بربيسما القريبة من الموضع القديم قصر ابن هبيرة علويون منهم من يرجع نسبه الى بنى ذريق الذين أستوطنوا بالقرب من مشهد القاسم بن الإمام موسى بن جعفر٨. يضاف الى توزيع الكثير من مشاهد ومزارات ومراقد الأئمة أو أبنائهم أو من آل البيت الأطهار فى هذه المنطقة. ومجرد تفقد أسماء المدفونين على طول الطريق الزراعى من مركز الحلّة الى موضع الحمزة سيلاحظ الزائر أسماء الكثير من قبور آل البيت ذكوراً وإناثاً وسيساعد على فهم الأرتباط الروحى بين أهالى هذه المنطقة الزراعية الواسعة والتشيّع وبين حبهم لأئمة أهل البيت. ومن الجانب الآخر فعند تفقدنا قبور وأضرحة أبناء الأئمة وذويهم عبر الطريق العام من الحلّة الى النجف سيؤكد ذلک الأستنتاج المتعلق بأتساع دائرة التشيّع وأتباع الأئمة من الأهالى كما أنها تدلل على أهمية هذه المزارات فى التوزيع الجغرافى للشيعة فى الحلّة[2]، فقد ذكر أن مدينة النيل قد أحتضنت مقام الإمام موسى

---

١. معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٤.

٢. يراجع مؤلف السيد حيدر موسى الحسينى (المزارات)، ومحمد حرز الدين: مراقد المعارف، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.

بن جعفر الكاظم٨ والمقام هنا له كرامة وقدسية عند السكان الذين أختاروا السكن الى جوار هذا الأثر الدينى المقدس[١]. وكان يتبع النيل (المدينة) مزارع وقرى كثيرة وقد نسب إليها العديد من العلماء والشعراء[٢]. ومن بين هذه الشخصيات الشيعية المشهورة التى كان لها علاقة بالإمام أبى عبد الله٧ ـ ابن أبى عمير تلميذ أبان بن عثمان الأحمر وابن أبى يعفور ومعلى بن خنيس. فيذكر فى الرواية أنهم كانوا على أتصال بالإمام وفى إحدى المرات أستفسروا منه عن ذبائح اليهود هل يحلّ أكلها؟ وهذه إشارة صريحة على تطور التشيّع فى النيل وأرتباط علمائها بأئمة أهل البيت[٣]. وهناک فى قرية مطير آباذ مقام للإمام موسى بن جعفر٨[٤]. فضلاً عن أن القرية كان موضعاً لسكنى بنى مصابيح وهم من السادة العلويين ويعرفون بآل الحطب ويرجع نسبهم الى زيد الشهيد٧[٥].

وقرية قوسان وهو أسم للقرية والنهر وهى من قرى النيل ورد ذكرها فى تاريخ ثورة المختار بن أبى عبيد الثقفى، إذ وقف أهلها مع المختار ضد الأمويين وضد مصعب بن الزبير[٦]،

---

١. ينظر: الهروى، أبو الحسن: كتاب الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: يورديل، دمشق، ١٩٥٣م، ص.٨.

٢. البراقى، السيد حسين: عقد اللؤلؤ والعقبان فى تحديد أرض كوفان، تحقيق: د. حسن الحكيم و د. على المظفر، النجف، ١٤٢٢هجرية/ ٢٠٠١م، ص٥٧.

٣. الطوسى، أبو جعفر محمد بن الحسن: أختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشى، طهران، ١٣٤٨ هجرية، ص٢٤٨.

٤. الهروى: المصدر السابق، ص٨٠.

٥. ابن عنبة: عمدة الطالب، ص٢٦٠.

٦. البلاذرى، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، (بالأوفست، مكتبة المثنى، بلا تاريخ) ج٥، ص٢٥٨؛ الطبرى، أبو جعفر: تاريخ الرسل والملوک،

ويُنسب الى قوسان شخصياتٍ شيعية بارزة نظير الحسن بن جعفر بن على القوسانى الرئيس وفخر الدين أبو نصر القوسانى الذى تسلم وظيفة ناظر الحلّة[1]. وفضلاً عن مدينة النيل وقراها هناك قرى ومواضع تقع ضمن منطقة الحلّة والكوفة أمثال السيب الأعلى التى كانت مأهولة بالسكان وكان لصدقة بن منصور دار فيها عرف بدار السيب[2]، وشهدت هذه القرية حركة علوية ضد العباسيين. إذ ثار فيها يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن على بن الحسين٨ فى سنة ٢٥٠هـ وأورد مؤلف العيون والحدائق المجهول أن يحيى بن عمر ثار أولاً فى الكوفة ثم أنتقل الى سوادها وألتحق به جمعٌ من أنصاره من الزيدية ومن قبائل الطفوف والسيب وبعد ذلک أنتقلت ثورته الى ناحية سورا[3]. فالراجح أن أهالى هذه المنطقة الممتدة من الكوفة شرقاً الى سورا والسيب كانوا شيعة قبل أن تؤسس مدينة الحلّة بأكثر من قرنين.

وحسب قول البلدانيين أن النعمانية كانت خلال عهد إمارة بنى مزيد تابعة لأعمال الزوابى (جمع زاب) ووصفت بكثرة الخيرات والمزروعات، وأن لها قرى ورساتيق زراعية. وصفها ياقوت الحموى بكون أهلها كانوا كلهم شيعة[4]. ونلحظ أن الهروى يميل الى القول بأن مقام

---

١. ابن الفوطى: تلخيص، ج۴، قسم ١، ص۶۵، ج۴، قسم ٣، ص٣٨٠.

٢. أبو البقاء بن نما الحلى: المناقب المزيدية، تحقيق: د. صالح درادكة و د. محمد عبد القادر خريسات، عمان، ١٩٨۴م، ص۵١.

٣. العيون والحدائق فى أخبار الحقائق: تحقيق: نبيلة عبد المنعم و د. فيصل السامر، بغداد، بدون تاريخ، ص۴۴٨.

۴. ينظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج۵، ص٢٩۴؛ وعن المنطقة: اليعقوبى، محمد بن واضح: البلدان، ص٣٢٢.

الإمام موسى بن جعفر٨ كان فى النعمانية[١]. ونهر سابس، النهر والموضع، كان من أعمال سورا ووصف المكان بأنه مشتبک العِمارة. وينسب الى سابس أحمد بن هبة الله بن محمد الحسنى النهر سابسى وكان من أجلّ النقباء ومن أشراف الطالبيين فى الكوفة[٢]، ويذكر أن قبر الإمام القاسم بن الإمام موسى الكاظم٧ يقع فى أرض سورا وهو موضع مهم يقع بالقرب من النيل. والمعروف أن سورا كانت من أعمال الحلّة السيفية. وذكر العلامة ابن طاووس قصة حول قيّم مشهد أمير المؤمنين٧ ترجع الى سنة ٥٠١هـ خاطب الإمام بشأن كشف الغمة عن أهالى سورا بسبب ما حلّ بهم من غلاء وشحّة فى المواد الغذائية قائلاً فى دعائه وأسترحامه:ـ أنه قد خدم المشهد لمدة مائة سنة ويطلب شفاعة الإمام ومساعدته للأهالى[٣]، ويوجد فى هذه المنطقة أيضاً مرقد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الذى أستشهد فى باخمرا سنة ١٤٠هـ [٤]. وفى سورا، حسب قول ابن عنبة الحسينى، بقية من آل عمر بن الحسن الأفطس من العلويين، وبين المدائنى الذين أتخذوا موضع الوقف (وقيل القف) الذى كان يقع قرب سورا. وقد ذكر ابن عنبة عوائل علوية أخرى قد سكنت سورا أمثال بنى الخالصى[٥].

---

١. الإشارات، ص٨٠.

٢. غرس النعمة، محمد بن هلال الصابى: الهفوات النادرة، تحقيق: صالح الأشتر، طبعة أولى، دمشق، ١٩٦٧م، ص٤٥.

٣. النقيب غياث الدين السيد عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ): فرق الغرى فى تعيين قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب٧، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٨هـ ص١٢٨.

٤. المسعودى، أبو الحسن على: التنبيه والإشراف، بيروت، ١٩٦٠م، ص٣٤١.

٥. عمدة الطالب، صفحات ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٧٢، ٢٧٨؛ كركوش، يوسف: تاريخ الحلّة، طبعة أولى، النجف، ص٧.

والحديث هنا يشمل أيضاً قصر ابن هبيرة الموضع الذى أسسهُ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أيام حكم مروان بن محمد. وعلى الرغم من أن القصر قد آل الى الخراب ـ نقصد الموضع ـ بحدود منتصف القرن الخامس الهجرى وقبيل تأسيس الحلّة وأن كثافة سكانه قد قلّت لكن هناك من بقى فى الموضع ومن بين هؤلاء آل زيد الأطروش بن الحسن بن الحسين من أعقاب زيد بن على7 إذ أتخذوه سكناً[1] كما سكنه أيضاً قوّام الدين عبد الله بن أبى القاسم الأسدى القصرى[2]. ووصفت كوثى وأبو حطب أنهما من المواضع الشيعية الإمامية، ويقع فيها ضريح للإمام على7 وضريح أم الويلاد أو الأولاد. وتعرّض كتاب الحوادث الجامعة الى موضع يقع فى المنطقة يعرف بقبة النجمى ولعله القبة المقصود بها هى قبّة الشيخ أبى البقلى فى ناحية النجمية وهى قرية تابعة لقوسان وقد وصف أهلها بأنهم فقراء ومن الصالحين. وحسب قول مؤلف الحوادث أن رجلاً ظهر فى هذه القرية وأدعى أنه نائب عن صاحب الزمان[فإجتمع أهل الناحية حوله وأتبعوه[3]. والملاحظ أنه حادث يعكس لنا أن الأهالى المزارعين فى قرية النجمى كانوا من أتباع أهل البيت ومن الشيعة الإمامية. وفى هذه الناحية يوجد أيضاً عدّة مشاهد شيعية أخرى مثل مشهد الشمس ومشهد أبناء إدريس. والمناسب قوله أن الداخل الى الحلّة بأتجاه النجف يجد لوحة تؤشر شمالاً الى مشهد ردّ الشمس.

تقسيمات الحلّة وتوابعها

---

١. العمرى النسابة، نجم الدين أبو الحسن على بن محمد: المجدى فى أنساب الطالبيين (قم المقدسة، ١۴٠٨هـ) ص١۶١.

٢. الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى، ص٧٩٩.

٣. الحوادث، ص۴٧٩.

ولما كنا قد تعرضنا فى أعلاه الى القرى والمراكز الحضرية التى كانت تقع ضمن منطقة الحلّة الواسعة أصبح لزاماً تسميتها وتشخيصها وذلک لأنها قرى زراعية ومنتشرة حول المزارات والمشاهد العلوية الأمر الذى يعكس الكثافة السكانية للتشيع فى الحلّة قبل وأثناء قيام الإمارة المزيدية. فأغلب هذه المنطقة مقسمة الى بهقباذات، والبهقباذ كما مرّ ذكره فى الفصل الرابع يُقصد به الأرض الخيرة أو الأرض الخصبة[1]. وكان كل بهقباذ يضم عدداً من الطساسيج، الأراضى الزراعية، فالطساسيج التابعة للبهقباذ الأعلى هى: طسوج بابل وطسوج خطرنية وطسوج الفلوجة العليا والسفلى وطسوج النهرين وطسوج عين التمر[2]. أما البهقباذ الأوسط فيضم طسوج سورا وطسوج بربيسما وباروسما[3]. فضلاً عن هذا فقد كانت مدينة الحلّة تشرف إدارياً على قرى ومواضع الصروات، وحصن بشير، والمشترک، والأميرية والمنقوشية وزاقف والقنطرة وشوشة والمهاجرية وبر ملاحة أو بئر ملاحة والغامرية والمزيدية وهذه جميعها كانت مرتبطة بالنيل قبل تأسيس الحلّة.

وكانت مدينة بابل قبل تأسيس الحلّة تضم كل من عقر بابل القريبة من كربلاء، وشالها وقدومى والدير ونفر وأجمة البرس والقف وباجوا. وكما مرّ ذكره فإن مشهد القاسم بن الإمام

---

١. الدينورى، أبو حنيفة: الأخبار الطوال، نشر كراتشكوفسكى، بريل، ليدن، ١٩١٢م، ص٦٨؛ اليعقوبى، أحمد بن واضح: تاريخ، نشر هوتسما، بريل، ليدن، ١٨٨٣م، ج١، ص٢٠٢.

٢. ابن خرداذبة، أبو القاسم: المسالک والممالک، نشر دى خويه، بريل ـ ليدن، ١٨٨٩م، ص٨؛ قدامة بن جعفر: الخراج، ص٣٣٦.

٣. ابن خرداذبة: ص٨.

موسى بن جعفر٨ كان فى سورا، فيقول السيد مهدى القزوينى أن القاسم كان فى سورا وكان معروفاً خلال فترته بأسم نهر الجربوعية وهو من أعمال الحلّة السيفية[١]، وبالقرب من سورا كانت هناك عدة قرى مثل القف وباجوا وبنورا وشانيا وغطط ويقع قرب قصر ابن هبيرة وتحاذيه الى غرب كربلاء. ويقع بالقرب من مدينة النيل قرى ومراكز حضرية أخرى مثل قيلوبة والأميرية والمنقوشية السابقة الذكر وقصر سنداد ونهر مارى وزاقف المذكورة سلفاً والمباركية.

وجميع هذه القرى والمراكز الحضرية أراضٍ زراعية يقطنها الفلاحون الفقراء وكانوا من الشيعة الإمامية قبل أن يؤسس المزيديون إمارتهم. وحسب أوصاف ياقوت الحموى أن هذه القرى أخرجت عدداً من العوائل العلمية نظير عائلة السورانى التى كما يقول عنها العلامة محبوبة رحمه الله أتجه عدد من علمائها على أثر تأسيس الحوزة العلمية من قبل شيخ الطائفة أبى جعفر الطوسى الى جوار الإمام على٧ فى النجف[٢]. ومن علماء سورا المشهورين الحسين بن على السورانى موضعاً والحربى سكناً، والحسين بن هبة الله بن رطبة السورانى. وقد أتى الدكتور حسن عيسى الحكيم فى بحثه القيّم (مراكز العلم فى قرية سورا) على ذكر العديد من هؤلاء العلماء والشيوخ[٣]، كما أنّ الدكتور الحكيم قد أتى على ذكر العلماء الذين تخرجوا فى قرية برس ووردت تسميتها بأجمة البرس فمنهم من صنّف كتباً عن أئمة أهل

---

١. ابن عنبة: العمدة، ص٢٨٤؛ البراقى: تاريخ الكوفة، ص١٩٠ عن العلامة مهدى القزوينى.

٢. ماضى النجف، ج٢، ص٣٦٩.

٣. مراكز العلم فى الحلة قرية سورا، المنشور فى جريدة الجنائن، عدد ٥، ٢٠٠٠م.

البيت أمثال الشيخ رجب البرسى مؤلف كتاب (مشارق أنوار اليقين فى أسرار أمير المؤمنين) وصنّف مجموعة شعرية فى مدح آل البيت:[1]. وشهرت قرية السيب التى كانت (دار السيب) لصدقة المزيدى تقع فيها بالعالم الشيخ شمس الدين السيبى[2].

للوصف الذى ذكره الرحالة ابن بطوطة أهمية قصوى بالنسبة الى موضوع البحث فهو يذكر بعد رحلته من الكوفة أنه نزل مع القافلة فى بئر ملاحة (ذكرت أيضاً بر ملاحة) من قرى الحلّة التى تبدلت مرتبتها الحضرية عند زيارة ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى الى بلدة حسنة تقع بين حدائق ونخيل. وقد نزل ابن بطوطة خارج بر ملاحة. ويعقب على سبب عدم دخوله بر ملاحة ما نصّه: "وكرهت دخولى لها لأنّ أهلها روافض". وعند الصباح غادر بر ملاحة مع القافلة الى مدينة الحلّة التى وصفها بأنها كانت كبيرة ثم يعقب قائلاً: "وأهل هذه المدينة كلها إمامية أثنا عشرية"[3]. ويذكر أن هناك مشهداً لصاحب الزمان وقصته: "أن محمد ابن الحسن العسكرى (عج الله فرجه) دخل ذلک المسجد (يقصد المشهد) وغاب فيه وأنه سيخرج وهو الإمام المنتظر عندهم"[4]، وهذه القصة لا تتفق مع ما ورد عن الغيبة الكبرى للإمام[فى سامراء، ويُحتمل أن ابن بطوطة أستفسر عن معنى صاحب الزمان فذكر له غيبة الإمام فألحقها بمشهد صاحب الزمان. ومهما يكن فإن وصف ابن بطوطة يعكس طبيعة

---

١. ينظر: مراكز العلم فى الحلة/قريتا برس وهرقل، جريدة الجنائن، عدد ٣٧، لسنة ٢٠٠١م.

٢. المجلسى، محمد باقر: بحار الأنوار، طهران، ١٩٨٩م، ج١٠، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

٣. رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصر، ١٩٥٨م، ج١، ص١٣٨.

٤. رحلة، ج١، ص١٣٩.

مجتمع الحلّة ومنطقتها على أنهم شيعة إمامية.

بنو مزيد والتشيّع

سبقت الإشارة الى كون القبائل العربية التى نزحت صوب الفرات الأوسط من الشيعة الإمامية، صحيح أن بعضها أبّان ثورة البساسيرى فى سنة ٤٥٠هـ قد تأثر بدعوة مؤيد الدين داعى الدعاة الفاطمى فأعلنوا ولاءهم للخليفة الفاطمى فى مصر ومن بينهم بنى مزيد، مع أن ولاءهم هذا لم يكن عقيدياً، فقد ظلّ المزيديون مترددين فى الدخول فى دعوة مؤيد الدين والواضح أنهم لم يدخلوا فى صراع سياسى مسلح ضد الخليفة العباسى. وفيما يتعلق بأرتباطهم الروحى والمذهبى فقد بقى المزيديون على ولائهم لآل البيت الأطهار ليس فى نظر أهالى الفرات الأوسط فحسب بل فى نظر الخليفة العباسى والأمراء البويهيين. ومع كون البويهيين شيعة زيدية أو إمامية، فإن الشيعة فى المنطقة وفى واسط وبغداد والسلطة العباسية كانوا ينظرون الى أمراء بنى مزيد على أنهم شيعة وأنهم المدافعين عن حقوقهم وشؤونهم وحلِّ مشاكلهم. وفى عدّة مناسبات أضطر الخليفة العباسى الى أن يستنجد بالمزيديين بهدف تهدئة الأوضاع الأمنية المرتبكة فى العاصمة، ففى سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م وقعت فتنة طائفية بين السُنّة والشيعة فى واسط، كان من نتائجها نهب السنّة محلات الشيعة والزيدية، فشكّل وجهاء الشيعة وزعمائهم وفداً قصدوا على بن مزيد فى النيل مستغيثين به وطالبين النجدة

والمساعدة[1] على الرغم من هيمنة البويهيين على السياسة والجيش، فإن أهالى واسط لم يقصدوهم وفضّلوا الإستعانة بالمزيديين. الحالة التى تعكس بوضوح سعة نفوذهم وسلطة على بن مزيد أولاً ولكونه صار المعوّل عليه فى المنطقة والمناطق المجاورة أمثال واسط، وكذلک الأكثر أهمية أعتراف الأهالى بزعامة على الشيعية وكونه راعياً لهم. وتكررت الحالة فى سنة ۴۴۳هـ/۱۰۵۱م فيذكر ابن الأثير أن فتنة مذهبية وقعت فى هذه المرة ليس فى واسط إنما فى بغداد وأندلعت الفتنة بين السُنّة والشيعة، وأحرق السُنّة بعض الأضرحة المقدسة عند الشيعة. فلما وصلت هذه الأخبار الى مسامع دبيس بن على غضب غضباً شديداً وأندفع سريعاً بقطع الخطبة من على مساجد النيل وتوابعها بأسم الخليفة القائم، وأتسعت دائرة قطع الخطبة فى أعمال الفرات الأوسط. يقول ابن الأثير: "وقاده غضبه الى قطع الخطبة فى أعماله". ولم يكتف بذلک إنما عاتب القائم مشيراً فى عتابه الى عدم قدرة الخليفة على المحافظة على الأمن والضرب على أيدى المسببين لحادث الحريق[2]. فمجريات هذا الحادث وما تركه من آثار عند الأمير المزيدى يعكس مدى أرتباطه العقيدى الإمامى وأنه الحامى المؤثر للشيعة فى بغداد وإن كان الخليفة نفسه قد أظهر بالفعل ضعفه أزاء هذا العمل المروّع. والواقع أن الخليفة العباسى قد فقد فى هذه الفترة أى قدرة فى حماية الشيعة أو فى ضبط الأمن والنظام فضلاً عن تشجيعه ومساعدته إثارة الفتن الطائفية وذلک بميله الى جانبٍ من

---

۱. ابن الجوزى، أبو الفرج: المنتظم فى تاريخ الملوک والأمم، طبعة المعارف، حيدر آباد، ۱۳۵۸هـ ج۷، ص۲۸۳؛ ابـن الأثير، أبو الحسن على: الكامل فى التاريخ، القاهرة، ۱۲۹۰هـ ج۹، ص۱۱۱؛ الذهبى، شمس الدين: العبر فى خبـر من غبر، تحقيق: فؤاد سيد، الكويت، ۱۹۶۱م، ج۳، ص۹۶.

۲. الكامل فى التاريخ، ج۹، ص۲۲۴.

المجتمع البغدادى ضد الآخر. ولهذا فقد عاتبه على بن مزيد على تساهله وعدم سيطرته على الأحداث.

وينبغى علينا عدم التقليل من موقف دبيس بن على من الدعوة الفاطمية، فالأدلة التاريخية تشير الى أن دعمه للبساسيرى كان بسبب شيعيته وأنه دخل فى مصاهرة مع البساسيرى الشيعى الولاء. وإذا ما تتبعنا علاقة دبيس بداعى الدعاة الفاطمى الذى أبلغه أن الخليفة الفاطمى قد أسبغ على دبيس لقب (سلطان ملوک العرب سيف الخلافة صفى أمير المؤمنين) يتبين بجلاء أنه كان يمثل قوة فاعلة ومؤثرة، فلقب سلطان ملوک العرب أكثر نفوذاً وهيمنة من لقب ملک العرب. حقيقة أن الخليفة الفاطمى كان يهدف من وراء الألقاب هذه تشجيع زعماء القبائل العربية على مواقفهم المؤيدة للفاطميين، ولكن اللقب من جهة ثانية له أبعاد دينية وسياسية واضحة. وهذا ما تدعمه الرواية الآتية التى وقعت فى سنة ۴۷۸هـ عندما توفى منصور والد صدقة، فقد أوفد الخليفة نقيب العلويين الى صدقة يُعزيه بوفاة والده[۱]. فإيفاد مسؤول علوى كبير فى بغداد للتعزية تؤكد دون شک على المكانة الكبيرة التى يحتلها المزيديون فى نظر الشيعة، فالأمير صدقة لم يعمل فى هذه الفترة بالذات وهو يرث الإمارة على فرض نفوذه وهيمنته على المنطقة، كالحالة التى سيظهرها فى السنوات اللاحقة، ولكن

۱. ابن الأثير: الكامل، ج۱۰، ص۵۶.

الإمارة نفسها قد برهنت للخلافة العباسية أنها إمارة مؤثرة سياسياً ودينياً لذلک سعى الى كسب ودّها وجانبها.

ففى سنة ۴۸۲هـ/۱۰۸۹م عندما أندلعت فتنة مذهبية أخرى فى بغداد بين السُنّة والشيعة فى عهد السلاجقة الأتراک الذين كانوا يميلون الى جانب السُنّة، نهب السُنّة يساعدهم الجنود الأتراک المحلات الشيعية وسُفكت الكثير من الدماء وذلک ناتج عن قتل الناس. ومما زاد فى الطين بلّة أن السُنّة تجاوزوا بقتلهم أحد العلويين الوجهاء. فالمفروض على الخليفة التدخل ومعاقبة المعتدين لكنه لم يحرک ساكناً إنما أمر بمكاتبة سيف الدولة صدقة طالباً منه إرسال مساعدة عسكرية للسيطرة على الوضع فى بغداد، فأسرع صدقة بتجهيز حملة عسكرية سلّم قيادتها الى أبى الحسن الفاسى الذى تحرک سريعاً فأمر بنقض بيوت الذين قتلوا العلوى وحلق شعور الجميع عقاباً لما فعلوه عدا من كان من الأشراف أو من الجنود. فضلاً عن هذا فإن القائد أستعمل القوة فى قتل قوم من المعتدين ونفى آخرين وبذلک سيطر على الموقف فهدأت الفتنة[1]. فمراسلة الخليفة صدقة يعكس ضعفه وعجزه وخروج السلطة من يده أو أنه لم يرغب فى الضرب على أيدى القتلة وبذلک يكون هدفاً فى نظر السُنّة. ولكن هذه الحادثة تبين عدم قدرته على ضبط الأمن فإعترف بزعامة صدقة لكونه الشخصية القوية سياسياً وأنه الحامى المؤثر لشؤون الشيعة فى بغداد. هذه المواقف الشيعية من قبل المزيديين عامة وصدقة بشكلٍ خاص قد جعله هدفاً للحاقدين والحُسّاد فإعتماداً على قول كل من ابن الجوزى وابن الأثيرً فأن العميد أبى جعفر البلخى المقرّب من الخليفة فى بغداد،

---

۱. ابن الجوزى: المنتظم، ج۹، ص۴۸؛ ابن الأثير: الكامل، ج۱۰، ص۶۵.

أراد أن يُفسد العلاقة بين الخليفة وصدقة فأتهم صدقة بأنه كان على مذهب الباطنية. ويُقصد بذلک الإسماعيلية لأن الإسماعيليين أصحاب قلعة الموت قد أخافوا وسببوا الذعر للساسة من سلاجقة أو ممن يتعاون معهم أولئک الذين يلحقون الأذى بالشيعة عامة، وأتهمه أيضاً بأنه يشجع على سبِّ الصحابة فى جميع أعماله المزيدية الإدارية. ووجد هؤلاء المؤرخون أن هذا الأتهام غير صحيح فعقّب ابن الأثير بقوله: "إن صدقة ليس إسماعيلياً إنما كان شيعياً"[1]، هذه مجموعة من النصوص التاريخية التى أوردها ابن الجوزى وابن الأثير وهما مؤرخان قد أستقيا معلوماتهما عن هذه الحقبة من القرن الخامس الهجرى من تاريخ الصابى كما ألمحنا فى الفصل الأول. ودون شک فإن الصابى وابنه محمد غرس النعمة، قد أدليا بمعلوماتٍ أخرى عن علاقة بنى مزيد بشيعة بغداد والمدن الأخرى. كذلک فإن الأمراء بالتأكيد كانوا محافظين على أحترامهم وقدسيتهم وزياراتهم لأضرحة آل البيت فى النجف الأشرف وكربلاء. والدليل على ذلک أحترام شيعة بغداد لهم وتوجههم الى النيل أو الحلّة لعرض أوضاعهم فى بغداد. فضلاً عن ذلک فإن جميع أمراء بنى مزيد كانوا من المشجعين والداعمين للحركة الفكرية فى النيل أو الحلّة بإحتضانهم الشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء. كل ذلک يدعم الرأى بأن الإمارة المزيدية قد أعطت حركة التشيّع فى منطقة الفرات الأوسط قوةً وفاعلية. وحق الشاعر صفى الدين الحلّى الطائى السنبسى أن يقول فى بنى مزيد ودورهم الرائد فى التشيّع:

---

١. المنتظم، ج٩، ص٢٣٦؛ الكامل، ج١٠، ص١٦٥.

ما حلّة ابن دبيس إلا للقلب منها مداد كحصنِ حصينِ وقرّةً للعيونِ
جاءت ً بماءٍ معينِ كأنه طور سينِ[1]
إن أصبحالماء غوراً وحولها سور طينِ

وأمتدح الشاعر ابن الهبّارية دبيس بن على مسلطاً الضوء على دوره الدينى العقيدى فقال:

ثم دبيس ودبيس غرّة حب الذراع ذو سجايا حرّة

كم قد حيا (وربما حمى) ببأس نفس مرّة رمنابر الإسلام والأسرّة[2]

ولا بد من أن نأتى على شعر الشاعر المزيدى مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد المشهور بالبلبل الصدّاح وهو ينشد لآل بيت الرسول[9] تعكس عمق إيمانه الشيعى الإمامى:

وتمسكى بحبال آل محمدِ ما عشت لا بحبائل الشيطانِ

فهم الحياة لكل قلب ميت وهم الممات إذا ألتقى الجمعانِ

همُ الطريقُ لمن تبصّر بالهدى والبارد السلسال للظمآنِ

---

١. أبـــو المحاســـن عبـــد العزيـــز بـــن ســـرايا الطـــائى: الـــديوان، بيـــروت، دار صـــادر، ١٩٦٢م، ص١٨٠.

٢. الصادح والباغم، طبعة ثانية، بغداد، ١٣٤٣هـ، ص٩، ٢٠.

وهم الأدلة للذين يحبهمُ والواصلين بهم الى الرحمنِ[1]

كذلک فمن المهم الإشارة الى الشاعر النيلى المشهور الحسين بن أحمد ابن الحجّاج النيلى المتوفى سنة ۳۹۱هـ فكان معاصراً للأمراء المزيديين الأوائل مزيد وابنه على وللسيدين الرضى والمرتضى وكان شيعياً إمامياً. أنشد ابن الحجّاج فى مدح الإمام على۷ وآل البيت الأطهار: أبيات منها:

قد تيقنتُ أنهمُ [آل البيت] ينقلونى من يدى مالكٍ الى رضوانِ

ومن شعره قصيدته الفائية الرائعة التى يقول فيها:

يا صاحب القبّة البيضاء على النجفِ من زار قبركَ واستشفى لديک شفى

زوروا أبا الحسنِ الهادى فإنكمُ تحظون بالأجرِ والإقبال والزُلفِ

زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن يزره بالقبرِ ملهوفاً لديه شُفى

وقُل سلامٌ من الله السلامُ على أهل السلام وأهل العلمِ والشرفِ

۱. عارف تامر: مقالة عن الشاعر فى مجلة المشرق، لسنة ۱۹۵۶م، ص۴۷۸.

إنى أتيتکَ يا مولاى تشفعُ لى مستمسکاً بحبـــال الحقِّ بالطرفِ

راجٍ بأنک يا مولاى تشفعُ لى وتُسقنى من رحيق شافى اللهفِ

لأنّک العروة الوثقى فمن علقت بها يداه فلن يشقى ولم يخفِ

وإنّک الآيةُ الكبرى التى ظهرت للعارفين بأنواعٍ من الطُرفِ[1]

وأنجبت مدينة النيل الشاعر والأديب سعد بن أحمد بن مكى المتوفى سنة ۵۶۵هـ وله شعر كثير فى مدح آل البيت:.

وعلى الرغم من ظهور العديد من علماء وفقهاء الإمامية فى القرن السادس الهجرى قبل نهاية عهد الإمارة المزيدية إلا أن المدينة تطورت فى نهاية القرن السادس والقرن السابع الهجريين على وجه الخصوص الى مركز مهم من مراكز علماء الإمامية سواء كان ذلک فى الدرس والبحث أم فى التأليف فى الشؤون الفقهية. ولا أدل على ذلک الإشارة الى الفقيه المتكلم شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين بن البطريق الأسدى الحلّى المتوفى سنة

۱. القمى، الشيخ عباس: الكنى والألقاب، مطبعة العرفان، صـيدا، ۱۹۵۸م، ص۴۴۵؛ شـبّر، جـواد: أدب الطـف وشـعراء الحسين، مطبعة الصادق، بيروت، ۱۹۸۰م، ج۲، ص۱۰۶؛ السودانى، عبد الله: الشعر العربى فى ظل الإمارة المزيديـة ۴۰۳ ـ ۵۴۵هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ۱۹۹۹م، ص۱۴۴.

٦٠٠هـ الذى خلّف آثاراً ومؤلفات فى الحديث والفقه والكلام كان بعضها محل درس وقراءة من العلماء[١]. وأن مؤلفات التاريخ والرجال الإمامية قد أتت على ذكر الكثير من علماء الحلّة وفقهائها الإمامية وإسهاماتهم العلمية والتعليمية. وصرنا نسمع عن عوائل حلّية شهرت فى الفقه أو الأدب أو التدريس كعائلة السورانى وآل نمّا الحلّى وآل إدريس العجلى الحليين وغيرهم[٢]. والملاحظ أن علماء حليين قد غادروا الحلّة لتوسيع دائرة الفقه الإمامى الى بغداد، وقد أحتضنتهم العاصمة قبيل الغزو المغولى وأسهموا فى الحركة العلمية على الرغم من أن مدارس بغداد وأهمها المستنصرية قد أحتوت أقسام المذاهب الأربعة دون أن يكون للمذهب الإمامى الذين يتبعونه الكثير من الناس من الأعلام والفقهاء والأدباء والشعراء أى أهتمام. والملاحظ إن المستنصر العباسى بالنظر لعدم وجود شيوخ جديرين لتدريس المذهب المالكى وفقهه فتح باب الإعارة العلمية، فجلب شيخاً مالكياً مع جميع أخوته وأفراد عائلته من مصر الى بغداد لتعليم المالكية، لكن هذا العاهل العباسى الهاشمى لم يعترف بمذهب آل بيت النبوة فى أن يدرس فى مدرسته. مع أنه وآبائه يعلمون علم اليقين أن شيخ الطائفة أبا جعفر الطوسى كان فى بغداد وأضطر على مغادرتها نحو النجف الأشرف ليضع حجر الأساس لأول حوزة علمية الى جوار مرقد الإمام على٧[٣].

---

١. ينظر: ابن حجر العسقلانى: لسان الميزان، بيروت، ١٩٧١م، ج٦، ص٢٤٧؛ الخوانسارى: روضات، ج٢، ص١٨٠.

٢. ينظر: محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضى النجف وحاضرها، النجف، ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٦٥؛ د. هادى أحمد كمال الدين: فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية فى الحلة (بغداد ـ ١٩٦٢م).

٣. ينظر عن العلماء الإمامية فى بغداد: ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب، تحقيق: د. مصطفى جواد (دمشق، ١٩٦٧م) ج٤، ص١٥٦؛ آل ياسين، د. محمد مفيد: الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى، بغداد ت ١٩٧٩م.

المبحث الثانی: الحیاة الفکریّة فی الحلّة المزیدیّة

إن موضوع الحیاة الأدبیة فی الحلة خلال الفترة المذکورة من المواضیع الواسعة التی تتطلب بحثاً فی المجالات الأدبیة المتعددة. لذا سوف نقتصر فی هذه الصفحات علی دراسة جانب واحد من تلک الجوانب الکثیرة ألا وهو الشِعر مع الإشارة الی أدباء وفقهاء وعلماء الحلّة عاصمة المزیدیین.

أولاً: الشعر والشعراء

من المعروف أن الشِعر أدی دوراً بارزاً فی تصویر الأحداث التاریخیة من تاریخنا العربی قبل الإسلام وبعده، وکذلک فی تثبیت وتصحیح الروایات التأریخیة وإعطائها قوة وحیویة، فهو یعتبر من المصادر الأساسیة لدراسة تاریخ أی فترة ولاسیما الفترة الجاهلیة والفترة الإسلامیة الأولی. فقد کان للشِعر أثرٌ عمیق فی نفوس أفراد القبیلة فی الجزیرة العربیة فتراهم فی حروبهم یرتجزون الأبیات الحماسیة ویقولون الشِعر المناسب. وکان هذا الشِعر، سواء أکان کثیراً أم قلیلاً، یشکل واحداً من الأسس التی تقوم علیها روایة أیام العرب، فالشعر أما أن تتخلل الحادثة التاریخیة أو ترد فی نهایتها حسب الدور الذی أداه راویة تلک الأبیات. وقد وضّح البروفیسور جبّ علاقة هذه الأبیات الشِعریة بمثل تلک الحوادث والروایات التاریخیة فقال: إنّ الراوی إذا نسی ما یتخلل روایته من أشعار فإن ذلک قد یؤدی الی ضیاع تلک الروایات، فی حین تخلّد روایات تاریخیة مختلفة نتیجة لإحتوائها علی مثل هذه

الأبيات الشِعرية[1]. ولذلک نجد أن الشِعر كان مصدراً غنياً بالنسبة للمؤرخين والإخباريين والنسّابين واللغويين لِما أحتواه من معلوماتٍ ثمينة تفيدنا فى مجالاتٍ متعددة. ولتوضيح هذه الأهمية بصورةٍ أكثر لا مندوحة لنا من الإستشهاد بقول ابن فارس: (الشِعر ديوان العرب، وبه حُفظت الأنساب وعُرضت المآثر وعنه تعلمت اللغة...[2]).

وقد أحتل الشِعر السياسى مكانة عالية منذ الفترة الجاهلية إذ أتخذه العرب سلاحاً ماضياً لا يقل أثراً عن السيف فى محاربة بعضهم البعض الآخر وتتجلى هذه الصورة بوضوح فى الفترة الأموية عندما كانت الأرستقراطية العربية المتمثلة فى البيت الأموى الحاكم تصارع طِوال مدة سيطرتها البالغة حوالى ثمانين سنة أحزاباً وأتجاهات سياسية ودينية وقبلية من أجل الإبقاء والمحافظة على سلطتها، ومن أجل تبرير أعمالها. فلهذا أستخدم الأمويون دُهاة العرب للأمور الإدارية والسياسية، وأشهر الشعراء للوقوف بوجه أعدائهم وللمدافعة عن مصالحهم بمدحهم وبثّ الدعاية المؤيدة لهم. ولقد صرف الأمويون أموالاً طائلة لدعم هذا الجهاز الدعائى، وكان خلفاؤهم وولاتهم يُغدقون بأعطياتهم وجوائزهم على الشعراء لتحقيق أغراضهم. وفى الوقت الذى غلب فيه الطابع السياسى على شِعر شعراء فى هذه الفترة ـ أى الأموية ـ نراه يصبح أقل شأناً فى الفترة العباسية وهذا يرجع الى أسبابٍ عدّة منها: ـ أن الحاجة الى مثل هذا الشِعر أصبحت قليلة، وأن السيادة والسلطة لم تعدّ قائمة على أساسٍ قبلى، وأن النفوذ الفارسى أصبح واضحاً فى الأمور الإدارية والإجتماعية والإقتصادية، ولذا

---

١. Gibb: Studies on the civilization of Islam (١٩٦٢) p. ١٠٩، وقد تُرجم الى اللغة العربية (دراسات فى الحضارة الإسلامية)؛ السودانى: الشعر العربى فى ظل الإمارة المزيدية، (رسالة دكتوراه غير منشورة).

٢. السيوطى: المزهر فى علوم اللغة (نشر أحمد جاد المولى ورفاقه) جزء ٢، ص ٤٧٠.

نجد أتجاهات الشِعر العباسى تتسع وتتعدد لإتساع المجالات الإجتماعية والإقتصادية وفى الوقت ذاته لمسنا أيضاً ميلاد أتجاهات شعرية أخرى ملائمة للتطور الذى طرأ على المجتمع آنذاک. غير أن الدولة العباسية التى ثبتت ركائزها بصورةٍ فعلية زمن الخليفة المنصور لم تعدّ دولة مترامية الأطراف منذ حوالى نهاية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد فصاعداً، بل أصبحت متجزئة الى أوصالٍ متعددة تُحكم من قِبَل إماراتٍ وتكويناتٍ سياسية بعضها مستقل أستقلالاً ذاتياً عن السلطة المركزية فى بغداد وبعضها الآخر أستقل أستقلالاً كلياً. وكان لا بد أن يرافق هذا الأستقلال السياسى فى أغلب الأحيان أستقلال فكرى ومنافسة مع خليفة بغداد فى مجالاتٍ شتى. وفى هذا الوقت بالذات نرى الشِعر يظهر من جديد مستعيداً نشاطه السابق كى يشارک فى هذا الميدان، ميدان المنافسة والصراع السياسى والفكرى على حدٍّ سواء. ففى العراق مثلاً ظهرت إمارات محلية متعددة قادتها قوى عربية قبلية مثل الحمدانيين والعقيليين فى الموصل ومثل المزيديين فى الحلّة. وقد أعطى أمراء هذه الإمارات العربية فرصاً واسعة لشعراء ذلک العصر كى يتوافدوا على قصورهم وينشدوا الشِعر بحضرتهم ليُظهروا بصورةٍ رئيسية صفاتهم الحميدة من كرمٍ وشجاعة ومروءة، وليفتخروا بأمجاد قبائلهم فى الجاهلية والإسلام وما لعبت من أدوارٍ فى الأحداث التاريخية التى مرّت بها الأمة عبر القرون الماضية.

والشِعر العربى بالإضافة الى كونه قد سطّر الأحداث المهمة والكثيرة والمواقف الحاسمة فى التاريخ العربى، فهو مرآة حيّة لتصوير الذوق العربى ورقّة طبائعه وواقعية تفكيره، ففيه نجد مادة علمية تاريخية قد توضح ما جاءت به الكتب التاريخية من روايات عن بعض

الحوادث وقد تخالفها. والشِعر ليس مصدراً من مصادر كتابة التاريخ حسب بل مصدر يُعتّد به أيضاً فى القضايا الجغرافية والطبوغرافية والإقتصادية فضلاً عن تصويره للحياة الإجتماعية.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة يجدر بنا أن نذكر أن بنى مزيد ينتسبون الى قبيلة بنى أسد بن خُزيمة التى نزحت من الجزيرة العربية فى فترات قديمة. وقد شارک بنو أسد فى الفتوحات العربية الإسلامية، ونزلوا أطراف الكوفة، كما سكن قسم آخر منهم الكوفة نفسها فقد كان لهم خطة ومساجد فيها[1]. وشاركوا أيضاً فى الأحداث السياسية التى وقعت فى التاريخ الإسلامى خلال القرون الأول والثانى والثالث بعد الهجرة[2] ولهذه القبيلة بطون عديدة أشهرها بنو دودان الذين يرجع المزيديون إليهم وكان المزيديون شيعة إمامية.

لم تكن الفترة التى ظهر فيها بنو مزيد، وأعنى بذلک القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة، فترة واضحة إذ أن المصادر التى بين أيدينا وبصورة خاصة ابن الجوزى وابن الأثير قصروا أحاديثهم المفصلة على النواحى العسكرية بينما أهملوا الجوانب الأخرى كالحالة الإجتماعية والأدبية والإقتصادية. ومع هذا فإنه يمكن القول بأن المزيديين مثلوا طابعاً خاصاً تميزوا به عن غيرهم فهم موجة من البدو أمتازوا بقوتهم ونشاطهم العسكرى فنجحوا فى تأسيس إمارة واسعة فى منطقة الفرات الأوسط وبنوا مدينة الحلّة. وبفضل ما أمتاز به

---

١. أنظر: أبا الفرج الأصفهانى: الأغانى، دار الكتب المصرية، ج١١، ص٢٥٢.

٢. أعتقد أن الدكتور على جواد الطاهر قد خلط بين بنى مزيد وبين دبيس حين قال بأن المزيديين سكنوا خوزستان. والأصح أن بنى دبيس الذى يرجع نسبهم الى بنى أسد أيضاً نزحوا من خوزستان. أنظر: على جواد الطاهر: الشِعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى (بغداد ١٩٥٨) ج١، ص٥١.

أمراؤهم من جرأة وشجاعة أستطاعوا أن يضموا مناطق عديدة لإمارتهم التى أستمرت فترة طويلة من ٣٨٧هـ الى ٥٥٨هـ/٩٩٧ـ١١٦٢م. والأهم من هذا فإن بنى مزيد ظلوا على بداوتهم ولم تتمكن بغداد بحضارتها ومدينتها من أن تتغلب على هذا الطابع البدوى، كما وأنهم حاولوا أن يبرزوا العاصمة وسلطتها من الناحيتين السياسية والأدبية. ولقد عاصر المزيديون قوتين أجنبيتين كبيرتين فرضتا سيطرتهما السياسية على العراق لمدةٍ طويلة وهما البويهيون والسلاجقة.

أنتعشت الحياة الأدبية فى عهد بنى مزيد فكان الأمراء يحبون الشِعر وبعضهم شارك فى هذا المضمار، ولقد قدم الحلّة ومدح الأمراء كثير من الشعراء والأدباء. هذا بالإضافة الى أن الحلّة عاصمتهم أنجبت عدداً غير قليل من الشعراء والأدباء والكُتّاب.

وكان من البديهى أن تنتعش مثل هذه الحركة فى الحلّة إذ أن الأمراء المزيديين بصورةٍ عامة أتصفوا بالكرم والشجاعة والوفاء والضيافة وهذا كله كان دافعاً لكى يتقاطر الشعراء من جهة ودافعاً قوياً أيضاً لمدح أولئک الأمراء من جهةٍ ثانية. فمنذ أبتداء الإمارة المزيدية فى منطقة الفرات الأوسط أنبرى الشاعر مهيار الديلمى يقول القصائد الطوال فى مدح الأمراء الأوائل أمثال على بن مزيد وثابت بن على بن مزيد وغيرهم[1] ففى إحدى قصائده التى يمدح بها علياً وكان آنئذٍ فى مدينة النيل وتتكون من (٥٢) بيتاً، تضمنت الإفتخار بدور فعالية قبيلة بنى أسد منذ الجاهلية وهو يبدؤها بهذا البيت الحماسى فيقول:

هب من زمانک بعض الجدّ للعب وأهجر الى راحة شيئاً من التعبِ

١. مهيار الديلمى: الديوان (طبعة أولى، القاهرة ١٩٤٥) ج١، ص١٨، ١٦٦، ٣٠٥ ـ ج٢، ص٢٣٧ ـ ج٤، ص١٠١.

ثم ذلک بمدح علی بعددٍ من الأبیات الجیدة والتی فیها:

قُل للأمیر، ولو قلت السماء به مفضوحة الجود، لم تظلم ولم تحب
أعطیت مالک، حتی ربّ حادثة أردت فیها الذی تعطی فلم تصبِ[1]

والواقع أن هناک بعض الأدلة التاریخیة التی تشیر الی الصفات الحمیدة التی کان یتمتع بها علی بن مزید، من ذلک مثلاً ما قام به فی سنة ۴۰۲هـ/۱۰۱۱م حینما بذل أموالاً کثیرة للسلطة البویهیة من أجل إطلاق سراح رئیس قبیلة خفاجة وعدداً آخر من الأسری[2]، علی الرغم من أن علاقته بهذه القبیلة لم تکن وثیقة وحسنة. ومما لا شک فیه أن علیاً، وهو فی بدایة أمره کان لا بدّ أن یعتمد علی وسیلة دعائیة کالشِعر لإظهار صفاته وفضائله بین القبائل العربیة الأخری القاطنة فی المنطقة من جهة وبالنسبة للسلطة المرکزیة من الجهة الأخری.

الذی یبدو لدارس حیاة هؤلاء الأمراء أنهم أعتادوا علی تقدیم الأموال الی مهیار الدیلمی سنویاً، کما أن لبعضهم (أمثال أبی القوام ثابت بن علی والمفرج بن علی وأبی الحملات شبیب بن حمّاد بن مزید) مکاتبات ومقارضات شعریة مع ذلک الشاعر. یقول مهیار الدیلمی فی رسالة بعث بها الی شبیب یعاتبه علی تأخر رسمه من المال لسنة ۴۱۹هـ/۱۰۱۸م، وفی نفس الوقت یعاتبه علی تغافله عن مقابلة قصائده التی سبق أن بعثا إلیه. والقصیدة تتکون من (۴۸) بیتاً نذکر منها:

---

۱. نفس المصدر: ج۱، ص۱۸ ـ ۲۱.

۲. ابن الأثیر: الکامل فی التاریخ (القاهرة ۱۲۹۰هـ) جزء ۹، ص۸۸.

ولم نعرف غلاماً مزيداً ينادیه السماح فلا يجيب
فـمـالـک يا شـبيب ـخلاک ذمـ تجف وعندک الضرع الحلوب؟[1]

والأمير دبيس بن على (حكم من سنة ۴۰۸ـ۴۷۴هـ/۱۰۱۷ـ۱۰۸۱م) هو الآخر قد أهتم بالشِعر وأغدق العطايا والأموال الكثيرة على الشعراء حتى قال عنه ابن الأثير عند وفاته أنه (ما زال ممدوحاً فى كلّ زمان مذكوراً بالتفضل والإحسان ورثاه الشعراء فأكثروا[2]) وقال ابن خلدون (ورثاه الشعراء بعد وفاته بأكثر مما مدحوه فى حياته[3]) وأشتهر دبيس بالأخلاق الحميدة وكان كريماً مضيافاً، ومما يؤيد ذلک ذهاب بعض الشخصيات إليه إما إلتجاءً أو هرباً من السلطة أو ضيافة، ومنهم الشرابى صاحب البطيحة[4] والبساسيرى، وسعدى بن أبى الشوک[5] والوزير ابن جهير[6] وآخرون.

---

۱. ديوان مهيار: ج۱، ص ۱۱۴ ـ ۱۱۵.
۲. الكامل فى التاريخ، ج ۱۰، ص ۴۴.
۳. تاريخ (دار الكتاب اللبنانى، ۱۹۵۹ ـ ۶۱)، ج۴، ص۵۹۸.
۴. ابن الأثير: الكامل، ج۹، ص۱۳۴.
۵. ن.م. ص۲۰۰.
۶. ن.م. ج۱۰، ص۲۱.

وقد جاء ذكر دبيس بن على على لسان الشاعر ابن الهبّارية فى أرجوزته المعروفة بالصادح والباغم التى أهداها بصورةٍ خاصة الى الأمير المزيدى المشهور صدقة بن منصور[1] وذلک فى إحدى مقاطع هذه الأرجوزة عند تعرضه للأمراء الذين سبقوا صدقة. وفى هذه الأبيات اظهر ابن الهبارية شجاعة دبيس ومروءته فى تقديم المساعدة لقرواش العقيلى صاحب الموصل فقال:

ثم دبيس ودبيس غرة رحب الذراع ذو سجايا حرّة
كم قد حيى ببأس نفس مرّة منابر الإسلام والأسرة[2]

وبعد وفاة دبيس فى سنة ۴۷۴هـ/۱۰۸۱م تولى الإمارة المزيدية أبنه منصور الذى وصف بأنه رجل ورع كثير الصدقة والصِلات[3]، وأنه كان فاضلاً قرأ على جماعة من أهل العلم فبرع بذكائه[4].

وقال ابن الأثير أن نظام الملک الوزير المشهور حينما سمع بموته قال (مات أجلّ صاحب عمامة[5]). والمهم فى هذا المجال أن هذا الأمير كان يُجيد صياغة الشِعر وقد وصلتنا أبيات متفرقة منسوبة إليه.

---

۱. أنظر: ذكرت معلوماتٍ أخرى عن هذه الأرجوزة ضمن الفصل.
۲. ابن الهبارية: الصادح والباغم (ط۲ بغداد ۱۳۴۳هـ) ص۹ ـ ۲۰.
۳. ابن الأثير: المصدر السابق، ج۱۰، ص۵۵؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج۱۲، ص۱۳۰.
۴. ابن الأثير: المصدر السابق، ج۱۰، ص۵۵.
۵. ن.م.

ووصف بعض المؤرخين شِعره بأنه حسن. ومن شِعره هذان البيتان اللذان أوردهما كل من العماد الأصبهانى وابن الأثير إذ يصوّر فيهما المروءة البدوية والإفتخار بمبدأ الدفاع عن المستجيرين فيقول:

فإن أنا لم أحمل عظيماً ولم أقد لهاماً ولم أصبر على فعل معظّمِ
ولم أجر الجانى وأمنع حوزه غُداة أنادى للفخار وأنتمى[1]

وله أبيات أخرى يرثى فيها صديقاً له، وفى هذه الأبيات تتمثل براعة صياغته فى تصوير فلسفة الحياة والموت والتسليم للقدر إذ يقول:

فإن كان أودى حذفنا ونديمنا أبو مالک فالنـائبات تنوبُ
فكل ابن أنثى لا محالة ميت وفى كل حى للمنون نصيبُ
ولو ردَّ حزن أو بكاء لهالک بكيناه ما هبت صبا وجنوبُ[2]

---

١. العماد الأصبهانى: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم الشام) ج٢، ص٢٦٢ ـ ٢٦٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٥.

٢. ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٥؛ ابن كثير: البداية، ج١٢، ص١٣٠.

ولم تفت المنصور مناسبة أخرى عبّر فيها عن فخره بقبيلته وشجاعته وتلک هی عندما أستنجد به مسلم بن قريش العقيلی صاحب الموصل ولكن الأمير المزيدی لم تساعده ظروفه فی تلک اللحظات فی أن يُلبی نداء مسلم وقد عاتبه مسلم، فيما بعد، بقصيدةٍ على تباطئه فی نجدته ومساعدته، فبادر منصور الى الإعتذار وتبيان الأسباب الرئيسة التی وقفت دون تنفيذ ما أراده مسلم، وكان مطلع قصيدته:

أيا مهدی المديح وأیّ شیء أجلُّ من المديح إلى يهدی

ومنها:

ولو أنی جريت على أختياری قددت إليكم الفلوات قدا
لتعلم أن بـــيت بنی على لكم وبكم يعدّ إذا استعدا[1]

ص: ۳۲۲

---

۱. العماد الأصبهانی: خريدة (قسم الشام)، ج۲، ص۲۶۲ ـ ۲۶۴.

إن الصفات الحميدة التى تحلى بها الأمير منصور صارت موضوعاً تغنى به الشعراء حيث مدحه عدد منهم، ومن بينهم أبو يوسف الإسفرائينى الشاعر والأديب. إذ قال فيه هذه الأبيات:

أيا شجرات النيل من يضمن القرى إذا لم يكن جار الفرات ابن مزيدِ
إذا غاب منصور فلا النور ساطع ولا الصبح بسّام ولا النجم مهتدى[1]

وتقلّد زمام الأمور بعد وفاة منصور أبنه ذائع الصيت سيف الدولة صدقة "ملک العرب". والأمير صدقة هو الذى وسّع رقعة الإمارة التى أصبحت فى عهده تضم البطائح والبصرة وعانة وهيت وتكريت بالإضافة الى منطقة الفرات الأوسط. ومن الجدير بالملاحظة أنه فى فترة إمارة صدقة الممتدة من سنة ۴۷۸هـ/۱۰۸۵م حتى ۵۰۱هـ/۱۱۰۷م ظهرت ثلاث كتل سياسية فى العراق تصارعت فيما بينها من أجل تثبيت سيطرتها وأستحواذها على السلطة، وتلک هى كتلة الخليفة العباسى فى بغداد وكتلة السلطان السلجوقى ثم كتلة صدقة بن مزيد. ولم تتحدد مجالات هذا الصراع عسكرياً وسياسياً فقط بل تعدته الى النواحى الأدبية أيضاً.

وصف الأمير صدقة بأنه كان كريماً وعفيفاً وفيه نجدة ومروءة. وخير من صوّر أخلاقه

---

۱. ياقوت الحموى: معجم الأدباء (القاهرة ۱۹۲۳ ـ ۱۹۳۰م) ج۶، ص۳۴۳.

وفضائله هو أبو البقاء هبة الله صاحب المناقب المزيدية إذ قال أنه كان "يغترف من بحر جوده فقير العرب والغنى ويقيم فضله قريبهم والقصى[١]". وقال أيضاً أنه كان يصرف على الصِلات العارضة والمطابخ حوالى ستين ألف دينار[٢]، وأنه كان يمتلك داراً فى بغداد أهداها إليه الخليفة فصارت ملجأ لكل طريد وشريد[٣]. وللشاعر ابن التلميذ الطبيب المعروف قصيدة يصف فيها هذه الدار ومطلعها:

يا بانياً دار العُلى ملئتها لتزيدها شرفاً على كيوانِ[٤]

وصوّر بعض المؤرخين صدقة بأنه بأنه كان يقرأ الكتب ولكنه لا يُحسن الكتابة[٥]،وتوجد لديه خزانة كتب عامرة تحوى ـ كما قيل ـ ألوف المجلدات[٦].

ولقد مدح هذا الأمير عدد كبير من الشعراء من بينهم محمّد بن خليفة بن محمّد السنبسى ـ الذى أقام فى الحلّة عند صدقة. وكان هذا الشاعر كما قال القفطى، مجوداً مغزلاً ولألفاظه حلاوة[٧]،

---

١. أبو البقاء: المناقب المزيدية فى أخبار الملوك الأسدية (مخطوط فى المتحف البريطانى رقم ٢٣٢٩٦ .Or مجلـد ٢، ورقة ١٧٧ ـ أ ـ

٢. ن.م. ورقة ١٥٨ ـ أ ـ

٣. ن.م. ورقة ١٤١ ـ أ ـ ١٤١ ـ ب ـ ١٤٢ ـ أ ـ

٤. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (بيروت ١٩٥٦م) ج٢، ص٢٩٤.

٥. ابن كثير: البداية، ج١٢، ص

٦. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٠٩.

٧. القفطى: المحمدون من الشعراء (مخطوط مصوّر فى مكتبة كلية الآداب ـ رقم ٩٠٨٤) ورقة ١٠٩ وقد طبـع الكتـاب طبعتين أعتمدت على تلك المحققة من قبل حسن معمرى ١٩٧٠م، ص٣٠٣.

وقد أختص بخدمة الأمير صدقة. وله قصائد عدّة من بينها تلک التى يمدح فيها صدقة بمناسبة ما قام به من مثل رائع فى فک أسرى بنى عقيل ونسائهم من أيدى الأتراک، يقول فيها:

كما أحرزت شكر بنى عقيل بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الأتراک طراً بشهبٍ فى حوافلها أزورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر عظيمٌ لا تقاومـه البحار[1]

ويذكر ياقوت الحموى أن مطارحة شعرية جرت فى مجلس صدقة بين هذا الشاعر وشاعر آخر يُدعى أبو الجوايز مقدار بن المختار المطاميرى وكان أيضاً فى خدمة الأمير صدقة. قال السنبسى:

فو الله ما أنسى عشيـة ودّعوا ونحن عجالى بين غادٍ وراجعِ
وقد سلمت بالطرف منها فلم يكن من السر لولا حجرة فى المدامعِ
ورحنا وقد روّى السلام قلوبنا ولم يجر منا فى خروق المسامعِ
ولم يعلم الواشون ما دار بيننا من السر لولا حجره فى المدامعِ

ويُقال أن صدقة طرب كثيراً لهذه الأبيات غير أن المطاميرى لم يستحسنها. فلما سأله صدقة فيما إذا كان بإمكانه أن يُنشد أحسن منها أجاب نعم ثم أنشد مرتجلاً:

---

١. ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٩؛ ابن كثير: ج ١٢، ص ١٢٦.

ولما تناجوا بالفراق عذوبة رموا كل قلب مطمئن برايع
وقمنا فمبد أنة أثر أنة[1] تقُّوم بالأنفاس عوج الأضالع
مواقف تدمى كل عشواء ثرة[2] صدوف الكرى إنسانها غير هاجع
أمنا بها الواشين أن يلهجوا بنا فلم نتهم إلا وشاة المدامع

فإستحسنها صدقة وأغدق على الشاعر جوائز ثمينة[3].

وللأمير صدقة نظّم محمّد بن على بن صالح أبو يعلى الشريف العباسى ابن الهبّارية كتابه الصادح والباغم.

قال ابن خلكان أنه ألّفه على طريقة كليلة ودمنة فى ألفى بيت وبعثه بيد ولده الى الأمير سيف الدولة، وقد منح سيف الدولة ابن الهبّارية الجوائز وأجزل له العطاء وأرجوزة ابن الهبّارية تشتمل على أمثال وحِكم[4]، وقد أبتدأها بقوله:

---

١. معجم الأدباء، ج۴، ص۵۶۳؛ وقد أورد كل من الكتبى (فوات الوفيات ج۲، ص۴۰۳) والصفدى (الوافى بالوفيات ج۲، ص۴۸) صدر هذا البيت بشكلٍ آخر حيث قالا: وقمنا فمبد أنه أثر أنة.

٢. وهنا أيضاً ذكر كل من الكتبى (ج۲، ص۴۰۳) والصفدى (ج۲، ص۴۸) البيت بشكل آخر فقالا مواقف تدمى كل عبراء ثرة خروق الكرى إنسانها غير هاجع

٣. أنظر ياقوت: معجم الأدباء، ج۴، ص۵۶۳.

۴. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (مطبعة السعادة بمصر ۱۹۴۸) ج۴، ص۸۰؛ ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، ج۲، ص۱۹؛ حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (۱۹۴۱) ج۲، ص۱۰۶۹. وعن ابن الهبّارية أنظر أيضاً: الدكتور على جواد الطاهر، ص۱۲۵ ـ ۱۴۵.

عملته لسيد الملوكِ وموئل الملهوف والصعلوكِ
بحر الندى ربُّ الأيادى والمننِ شمس العُلا نور الهدى أبى الحسنِ
المزيدى الأسدى صدقةَ ومن إذاً كذّب مدح صدقةِ[1]

ومن الشعراء الآخرين الذين شاركوا فى حلبة سيف الدولة الأدبية الشاعر أفضل الدولة الأبيوردى[2] صاحب الديوان المعروف بأسمه. وفى هذا الديوان قصائد عديدة فى مدح صدقة والأفتخار بقبيلة بنى أسد. ويُحدثنا ياقوت الحموى رواية مفادها أن الأبيوردى عند زيارته الحلّة كان فى نيته مدح صدقة بقصيدة جميلة مطلعها:

ومن أى عطفيک ألتفت تعطفت عليک به الشمس المنيرة والبدرِ

والظاهر أن صدقة لم يُعر الأمر أهتماماً وطلب من الأبيوردى تأجيل ذلک لأنه كان منشغلاً آنئذٍ بأمورٍ عسكرية ضد السلطة المركزية فى بغداد. علماً بأنه أرسل إليه ٥٠٠ دينار وثلاثة أفراس وثلاثة عبيد هدية بمناسبة قدومه الحلّة. وقد أعتبر الأبيوردى هذا الأمر إهانة له لذلک رفض الهدايا وقرّر أن يترک الحلّة مبدّلاً قصيدته المذكورة الى أخرى يهجو فيها الحلّة ومطلعها:

---

١. أنظر: الصادح والباغم (ط٢ بغداد ١٣٤٣هـ) ص٩ ـ ١٠، ص٢٠، ١٠٨؛ وهناک طبعات أخرى متعددة لكتاب الصادح والباغم وإن أول طبعة كانت فى القاهرة، ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦.

٢. عن الأبيوردى أنظر: على جواد الطاهر، ص١٠٦ ـ ١٢٣.

أبابل لا واديک بالخير مفعمُ لراج ولا ناديک بالرفد آهلُ
لئن ضقت عنى فالبلاد فسيحةٌ وحسبک عاراً أننى عنک راحلُ

ويذكر ياقوت أن صدقة حينما علم بخبر الأبيوردى ركب بنفسه إليه وأعتذر منه[1] إن هذه الرواية وغيرها توضح الرابطة الوثيقة بين صدقة والشاعر الأبيوردى من جهة وكذلک أهتمام صدقة بالشعراء والأدباء من جهةٍ ثانية، ولاسيما وأن الأمير كره أن يكون موضوعاً للهجاء فتشوه سمعته وتتناقص شهرته.

وهناک شاعر آخر هو البندنيجى والشاعر محمّد بن حيدر بن عبد الله البغدادى[2] والشاعر المكين بن الأقفاصى الذى نظّم قصيدة فى رثاء صدقة مطلعها:

ديار بأرض الجامعين[3] وبابل غدت من بنىعوف عوافى المنازلِ[4]

---

١. معجم الأدباء، ج۶، ص۳۵۶ ـ ۳۵۸. وعن قصائد الأبيوردى فى بنى مزيد أنظر ديوان الأبيـوردى (لبنـان ١٣١٧هـ) صفحات ١٣٤ ـ ١٣٧، ١٩٨، ٣١١ ـ ٣١٣، ٣٣٤ ـ ٣٣٥، ٣٥٨ ـ ٣٦٠.

٢. أنظر العماد الأصبهانى: خريدة (قسم العراق) جزء ٢، ص٢٢٠.

٣. أعتبر المقدسى الجامعين إحدى مدن الكوفة، وهى تقع غربى نهر الفرات (أنظر: أحسن التقاسيم فى معرفـة الأقـاليم، ص٥٣؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٣) والحقيقة أن الحلة التى بُنيـت سـنة ۴۹۵هـ أخـذت موقـع الجامعين.

۴. العماد الأصبهانى: خريدة (قسم الشام) ج٢، ص٣۶٠.

كما أن هناک شاعراً هو ابن الخازن الذی قال قصيدة جيدة رثی فيها صدقة ومطلعها:

العيش فی الدنيـا کرقدة حالمِ وکأنما الإنسان طيف خيالِ
کم آملين سرت بهم خيل المنی فتعثرت بحبائل الآجالِ[1]

إن هذه الکثرة من الشعراء والأدباء الذين شارکوا فی إظهار صفات سيف الدولة صدقة (وکان بعضهم کما رأينا علی أتصالٍ دائم به وقائم علی خدمته) تدل دلالة واضحة علی أن هدف صدقة الرئيس من وراء هذا الإعلان والإعلام هو أظهار نفوذه وکرمه ومکانته الأدبية والإجتماعية وحبّه للشِعر والشعراء، وکذلک ليبّز ما کان يحتله کل من الخليفة العباسی والسلطان السلجوقی من مکانةٍ فی هذا المجال ويوجه الأنظار الی مدينة الحلّة بأعتبارها عاصمة الأدب الجديدة. فضلاً عن أمراء بنی مزيد ظلوا عرباً ملتصقين بماضيهم ومآثرهم.

وفی الوقت ذاته فإن هناک عدداً من الشعراء أتخذوا جانباً عدائياً بالنسبة لصدقة وأبرزهم الشاعر إبراهيم بن عثمان الغزی[2] صاحب الديوان المعروف به. ويبدو أن الغزّی زار الحلّة غير أنه لم يُعجب بها فکتب قصيدة يهجوها ويهجو صدقة. قال:

أنا فی الحلّة الغُداة کأنی علوی فی قبضة الحجّاجِ
بين عرب لا يعربون حديثنا طبعهم خارج عن المنهاجِ
وصدور لًا يشرحون صدوراً شغلتهم عنا صدور الدجاجِ[3]

---

۱. الحسينی: أخبار الدولة السلجوقية (لاهور ۱۹۲۳) ص۸۱.

۲. عن الغزی أنظر: علی جواد الطاهر: الشعر العربی، ص۱۷۸ ـ ۱۸۴.

۳. أنظر: ديوان الغزی (مخطوط فی مکتبة الإمام الحکيم فی النجف الأشرف، تحت رقم ۲۷۲) ورقة ۴۰؛ کذلک ياقوت، معجم الأدباء، ج۲، ص۳۲۳.

وكان من شدة كره الغزّى لصدقة أنه نظّم قصيدة يمدح فيها السلطان السلجوقى ويهنئه بمقتل صدقة ومنها:

أقام بأرض بابل مستبداً يراسله الإمام فلا يُدين[1]

ومن المؤسف حقاً أن المصادر لا تساعدنا فى معرفة السبب الحقيقى الذى حدا بالغزّى أن يقف هذا الموقف ألأن الأمير صدقة تجاهله حينما أتى الحلّة ولم يمنحه الجوائز أم لأنه كان موالياً للسلاجقة بسبب عصبيته السُنيّة. بينما كان صدقة والمزيديون من الشيعة الإمامية، والظاهر أن السبب الأول هو الراجح إذ أن الشاعر نفسه يُلمّح فى القصيدة ذاتها حيث يقول: "شغلتهم عنا صدور الدجاج"، وكذلک فى الأبيات التالية:

أجب بحر العفاة فلى سؤال وأنت بكل منقبة قمين
أترضى أن يُقال الصدر يرحى بجعجعة وليس لها طحين
وليس أشک انک بحر جودٍ ولكن ما لمنتظر يقينِ[2]

ثم لا بدّ لنا ونحن أوشكنا على نهاية الحديث عن علاقة صدقة بالشعراء أن نشير الى ما

---

١. ديوان الغزى، ورقة ١٤٧ ـ ١٤٨.

٢. ن.م. ورقة ١٤٨ ـ ١٤٩.

قاله الشاعر السنبسى معللاً هجرته من مدينة الحلّة بعد مقتل الأمير صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م. يقول هذا الشاعر:

قالوا هجرت بلاد النيل وأنقطعت حبال وصلک عنها بعد أعلاقِ
فقلت أنى وقد أقوت منازلها بعد ابن مزيدٍ من وفد وطرّاقِ

ومنها أيضاً:

وكيف أشتاق أرضاً لا صديق بها إلا رسوم عظام تحت أطباقِ[1]

إن السنبسى يكاد يكون مبالغاً فى قوله بأنه رحل عن الحلّة بعد موت صدقة وذلک لعدم وجود من يخلفه فى أهتمامه بالشِعر وتشجيعه الشعراء والأدباء، فلقد خلّف صدقة أبنه دبيس، وكان محبّاً للشِعر والأدب أيضاً. ولقد وصفه بعض المؤرخين بأنه كان كريماً وشجاعاً[2] وله هواية أدبية حيث ذكر بعضهم أنه قال الشِعر. فمما أورده ابن خلكان نقلاً عن ابن المستوفى فى كتابه المفقود (تاريخ إربل) بعض الأشعار المتبادلة بين دبيس وأخيه بدران. ويُقال أن بدران أرسل بعض الأبيات الشعرية التى يُعبّر من خلالها عن توجعه وحنينه الى بلده الحلّة، وتلک الأبيات هى:

١. ياقوت: معجم البلدان (ليبزج ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠) ج٤، ص٨٦١.
٢. ابن خلكان: المصدر السابق، ج٢، ص٣١.

ألا قل لمنصور وقل لمسيب وقُل لدبيس أننى لغريبِ
هنيئاً لكم ماء الفرات وطيبه إذا لم يكن لى فى الفرات نصيبِ

فأجابه دبيس بهذه الأبيات:

ألا قُل لبدران الذى حنّ نازعاً الى أرضه والحر ليس يخيبُ
تمتع بأيام السرور فإنما عذار الأمانى بالهمومِ يشيبُ
ولله فى تلك الحوادث حكمةٌ وللأرض من كأس الكرام نصيبُ[1]

كما أورد سبط ابن الجوزى عدداً آخر من الأبيات الشعرية الجميلة التى قالها دبيس وقد نقلها عن العماد الأصبهانى صاحب كتاب خريدة العصر منها:

إن الليالى للأنام مناهلُ تطوى وتبسط بينها الأعمارُ
فقصارهن مع الهمومِ طويلةٌ وطوالهنّ مع السرورِ قصارُ[2]

١. ن.م. ج٢، ص٣٢؛ وقد أورد أشعاراً أخرى فى الصفحة ذاتها.
٢. مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (حيدر آباد ـ الهند ١٩٥١ ـ ١٩٥٢) ج٨، ص١٥٥.

ولقد مدح دبيساً أكثر الشعراء من بينهم حيّص بيص، وزايدة بن نعيم المعروف بالمحفوف القُشيرى[1]. كما أن أبا محمّد الحريرى صاحب المقامات المشهورة ذكره مادحاً كرمه فى المقامة التاسعة والثلاثين والمُسماة بالمقامة العُمانية[2]، وقد خلع عليه دبيس (الخلع السَنية والجوائز الهنية ما عجز عنه الوصف وكلَّ عنه الطرف[3]).

وكما ان السنبسى أختصّ بخدمة صدقة وقال فيه القصائد الكثيرات فإن حيّص بيص كان شاعر دبيس الخاص، وقال فيه وفى بعض قوّاده القصائد مبرّزاً صفات دبيس الحميدة من كرمٍ وشجاعة. وقد أورد هذه القصائد العماد الأصبهانى فى خريدته[4].

ومن بين تلك القصائد واحدة مدحه فيها وأورد العماد منها بيتين فقط هما:

إنى لأفكر فى عُلاكَ فأنثنى حيران لا أدرى بمـاذا أمدحُ
إن قلتُ ليث كنت أقتل سطوةً أو قلت بحر ندى فكفك أسمحُ[5]

---

١. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١١.

٢. الحريرى: مقامات الحريرى (باريس ١٨٤٧) ج٤، ص٢٧ ـ ٢٨.

٣. الشريشى: شرح مقامات الحريرى (ط١، ١٩٥٣) ج١، ص٢٩ ـ ٣٠.

٤. أنظر العماد الأصبهانى: الخريدة (قسم العراق) ج١، ص٢٢٤ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٦٦ ـ ٢٦٨، ٣٣٧ ـ ٣٣٩. وعن حيّص بيص راجع كتاب: د. على جواد الطاهر: المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

٥. العماد الأصبهانى: المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

وله أيضاً قصيدة رثاء عبّر فيها تعبيراً واقعياً عن حزنه العميق وكان قد قالها بعد سماعه نبأ مقتل دبيس من قِبَل السلطان السلجوقى ومطلعها:

هبنى كتمت لواعج البرحاء فمن المكتم عبرتى وبكائى

ومنها:

طرق النعى فلم يكن لى مسمعُ يصغى الى المكروهة الروعاءِ
وطفقت أتهم الحديث كغيره من سائر الأخبار والأنباءِ[1]

وبمقتل دبيس أخذت الإمارة المزيدية تفقد الكثير من قوتها وشهرتها حتى صارت الحلّة وبقية المناطق التى كانت تابعة لبنى مزيد سابقاً تحت سيطرة السلطان السلجوقى، وقد رافق هذا الأنهيار السياسى للإمارة أنكماش فى دورها من الناحية الفكرية أيضاً. فالمؤرخون والكُتّاب الآخرون لا يحدثوننا بشئٍ مهم عن علاقة الأمراء الذين أعقبوا دبيساً بالشعراء والأدباء.

وما دمنا بصدد موضوع الشِعر فى فترة بنى مزيد فلا مندوحة لنا من ذكر الشاعر المزيدى مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد. فقد ولد هذا الأمير فى

---

١. ن.م. ج١، ص٣٣٧ ـ ٣٣٩.

الحلّة سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م فى الوقت الذى كان على بن دبيس أميراً للمزيديين فى الحلّة وتوفى فى بلدة مصياف فى سوريا سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[١]. ولموهبة هذا الأمير الشعرية ورقّة أسلوبه كان يُلقّب بالبلبل الصدّاح[٢]. ولقد خلّف لنا ديواناً شعرياً يحتوى على أربعين قصيدة تتضمن الحنين والبكاء على الأطلال والمديح والغزل والخمريات والحكم والوصف والإفتخار بمشاركة قبيلة بنى أسد فى حرب الصليبيين وأشعار أخرى فى شرح بعض المبادئ الإسماعيلية ومما يروى أن هذا الشاعر كان يقوم بخدمة الأمير راشد الدين شيخ الجبل[٣].

ذكر الأستاذ على المير ملّحم محمود فى مقالة له نشرت فى مجلة العرفان[٤] عن مزيد، أنه يحتفظ بهذا الديوان، ولكننا لم نسمع حتى الآن فيما إذا كان هذا الديوان قد نُشر أم لا؟

ومن الجدير بالذكر ونحن بصدد الحديث عن شاعرية مزيد أن نذكر له بعض نماذج من شعره، فقد قال قصيدة يصوّر فيها حنينه الى الحلّة منها:

ذكر الأحبة بالطريق أهاج لى شوقاً وقد يزداد شوق الذاكرِ
ومرابع بالجامعين عهدتها تزهو بغيلان لها ومآزرِ
من كل فاتنة اللحاظ إذا رمت يا للرجال من اللحاظ الفاترِ[٥]

---

١. أنظر مقالة لعارف ثامر فى مجلة المشرق لسنة ١٩٥٦، ص٤٥٤ ـ ٤٥٥.

٢. نفس المصدر، ص٤٧٣.

٣. أنظر عن حياة راشد الدين الملقب شيخ الجبل ودوره السياسى فى كتاب B. Lewis: The Assassins (١٩٦٧) p. ١١٠.

٤. على المير ملحم محمود، مجلة العرفان، كانون الثانى، ١٩٦٠م، مجلد ٤٧، ص٤٣٧.

٥. عارف ثامر: مجلة المشرق، ص٤٦٤.

ومن غزلياته هذه الأبيات:

أما والهوى لوعندها بعض ماعندى لما هجرت لكنما وجدها وجدى
لها جسد بالوهم يدنو وقلبها على لينه أقسى منالحجر الصلدِ[1]

ويبدو أن الأمير مزيد كان يميل الى فرقة الإسماعيلية فهو أولاً كان مرتبطاً بزعيم الإسماعيليين راشد الدين ثم أن له قصائد فى مدحه وفى شرح بعض المبادئ الإسماعيلية فمن قصيدة ميمية فى مدح راشد الدين يقول:

يا راشد الدين يا سيدى أنت الإمـام وبدر التمامِ
وأنت الذى قد أرشدتنا وخلعتنا من طريق الظلامِ[2]

وهو يقول أيضاً:

وتمسكى بحبال آل محمّد ما عشت لا بحبائل الشيطانِ
فهم الحياة لكل قلبٍ ميتٍ وهم المماتِ إذا التقى الجمعانِ
وهم الطريق لمن تبصّر بالهدى والبارد السلسالِ للظمآنِ
وهم الأدلة للذين يحبهم والواصلين بهم الى الرحمنِ

---

١. ن.م. ص۴۵۶.

٢. على المير ملحم: مجلة العرفان، مجلد ۴۷، ج۵، ص۴۳۸.

وفيها أيضاً يوضح عقيدة الإسماعيلية فى العالم السفلى والعلوى فيقول:

وهو القريب وكل قرب مبعدِ وهو البعيد وكل بعد دان
وهو الموحد والموحد فى الورى سبب الوجود وماله من ثانٍ[1]

وله قصيدة أخرى يقول فيها:

وكن واثقاً بأيام الزمان تجبک الغصون بأثمارها
وكاشف مكنونها بالورى جهاراً وعالم أسرارها
فهل ساطح أرضها غيره ومجرى المياه بأنهارها
ومرسى الجبال ومجرى البحار وفلک تسير بتيارها
وسامى السماء بأبراجها ومزهى السحاب بأمطارها؟[2]

دور الحلّة فى الحياة الأدبية:

تميزت مدينة الحلّة ـ بعد أن أتخذها الأمير صدقة بن مزيد عاصمة له فى سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م دون غيرها من مراكز منطقة الفرات الأوسط بعدة مزايا أهمها:

١ـ الإزدهار الإقتصادى: إذ أنها نافست كلاً من مدينة الكوفة وقصر بن هبيرة المدينتين

---

١. عارف ثامر: مجلة المشرق، ص٤٧٨.

٢. ن.م. ص٤٧٩.

القديمتين اللتين كانتا مسيطرتين على الطريق التجارى وطريق الحاج الآتى من بغداد. فصارت الحلّة هى المركز الرئيس لتجمع الحُجّاج قبل ذهابهم الى مكة ثم أنها أصبحت سوقاً رائجة للتجّار لاسيما أن المنطقة بصورةٍ عامة كانت غنية من الناحية الزراعية أيضاً[1].

٢ـ الأنتعاش الأدبى والفكرى: إذ أن الأمراء المزيديين، كما لاحظنا فى السابق شجعوا الشعراء والأدباء وأغدقوا عليهم الهدايا والأموال. وبذلک أجتذبت الحلّة عدداً من هؤلاء إذ كانوا يتقاطرون على قصور الأمراء. ومن البديهى أن تهئ مثل هذه الحركة الأدبية ظروفاً مشجعة لأدباء وشعراء منطقة الفرات الأوسط ومدينة الحلّة بالذات كى يسهموا فى مثل هذه المجالات.

وقد زودتنا بعض المصادر بأسماء عدد من الشعراء والأدباء والفقهاء الحليين المشهورين، وقد عاش هؤلاء خلال هذه الفترة التاريخية. وأخصّ بالذكر منهم على سبيل المثال محمّد بن على بن أحمد أبا عبيد الله الحلّى المعروف بابن حميدة والمتوفى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م. قال عنه ياقوت الحموى أن له معرفة جيدة فى النحو واللغة[2]. ومحمّد بن أحمد بن حمزة بن جيا الملقب بأبى الفرج وهو شاعر كاتب، أثنى عليه ياقوت بقوله أنه كان نحوياً ولغوياً فطناً وقد توفى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٢م. ولأبن جيا هذا باعٌ فى الشِعر أعترف به كلٌ من القفطى والصفدى، فقد قال القفطى عنه بأن ابن جيا له شِعر جيد وترسل حسن[3]. وأورد ياقوت والقفطى جملة من شعره، فمن قصيدته الغزلية ذكرا الأبيات التالية:

---

١. عن الحالة الإقتصادية فى الحلة ومنطقة الفرات الأوسط أنظر: (الفصل الخاص بالحياة الإقتصادية).

٢. معجم الأدباء، ج٧، ص٤٠ ـ ٤١.

٣. ن.م. ج٦، ص٣٦١.

حتام أجرى فى ميادين الهوى لا سابق أبداً ولا مسبوقِ
ما هزنى طرب الى رمل الحمى إلا تعرض أجرع وعقيقِ

ومنها:

فكأن جفنى بالدموع موكل وكأن قلبى للجوى مخلوقِ[1]

وقد عبّر الصفدى عن أعجابه بابن جيا حين قال: (لم يكن مثله فى العراق فى الترسل والأدب والنظم الحسن[2]) ثم أورد له بعض الأبيات الغزلية التى يقول فيها:

أما والعيون النجل تصمى نبالها ولمع الثنايا كالبرق تخالها
ومنعطف الوادى تأرج نشره وقد زار فى جنح الظلام خيالها[3]

وأنجبت الحلّة فى هذه الفترة الشاعر والنحوى على بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلّى والمُكنى بأبى الحسن. ولقد تحدث ابن خلكان عن شميم الحلّى قائلاً: (كان أديباً فاضلاً خبيراً بالنحو واللغة وأشعار العرب وقد أحسن الشِعر[4]). توفى شميم فى

---

١. معجم الأدباء، ج٦، ص٣٦١؛ المحمدون من الشعراء (مخطوط) ورقة ١٢ ب ـ ١٣ أ. والمطبوع (ت. حسن معمـرى) ص٥١. وهناك أختلاف فى ورود عدد من الكلمات فى كل من معجم الأدباء والمحمدون من الشعراء.

٢. الوافى بالوفيات (ت ديدرنيغ ١٩٤٩) ج٢، ص١١٣؛ ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٦، ص٣٦١.

٣. الصفدى: المصدر السابق، ج٢، ص١١٢ ـ ١١٣.

٤. وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦. أنظر عن شميم أيضاً ياقوت: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٩؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٥، ص٤.

٦٠١هـ/١٢٠٤م.

ومن الشعراء والأدباء الآخرين على بن على بن منصور أبو القاسم المؤدب الشاعر[١] وأبو المعالى محمد بن على بن فارس الذى قال عنه الصفدى بأنه شاعر اجتدى بالشِعر وكتب عليه ببغداد[٢] والحلّة، والشاعر الأعمى بدر بن جعفر بن عثمان الأميرى الذى يُنسب الى قرية الأميرية من قرى مدينة النيل[٣]. وهناک أيضاً هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب الأديب والنحوى[٤]، والحسين بن هبة الله أبو عبد الله المعروف بابن رطبة وكان من أهالى سورا من قرى الحلّة.وابن رطبة هذا له معرفة بالأدب وقد ذهب الى بغداد وجالس أبا محمد بن الخشاب وأخذ عنه ثم عاد الى الحلّة[٥]. والفصيح بن على بن عبد السلام بن عطا وهو من أهالى سورا أيضاً ويصفه ابن النجّار بأنه كان أديباً فاضلاً ويقول

١. ابن الدبيثى: ذيل تاريخ بغداد (مخطوط فى المجمع العلمى العراقى ٤٤/م) ورقة ١٤٨ب.

٢. الوافى بالوفيات (ت هلموت ريتر ١٩٦٢) ج١، ص١٦٩ وما بعدها.

٣. الصفدى: نكث الهيان فى نكت العميان، ص١٢٤.

٤. القفطى: انباه الرواة فى أنباه النحاة (القاهرة ١٩٥٥) ج٣، ص٣٥٧.

٥. ابن الدبيثى: المصدر السابق، ورقة ٢٠٠ أ.

الشعِر[1].ومن بين أدباء الحلّة المشهورين أيضاً هناک الحسين بن على بن نمّا أبو عبد الله بن أبى القاسم[2]، وعلى بن على بن منصور أبو القاسم الخازن وهو أخو نصر بن الخازن كان مؤدباً للصبيان[3].

ثانياً: علماء الحلّة الإماميّة وفقهاؤها:

للعلامة الخوانسارى رحمه الله فى مؤلفه القيّم (روضات الجنات) مقولة لا بد من استحضارها فى هذا الميدان إذ يقول: "أن الحلّة كانت قديمة التشيّع وخرج من علمائها الكثير من الفحول، وأن مزاراتهم فيها مشهورة"[4]. وعلى وفق هذا الوصف القيّم لا عجب القول بأن الحلّة قد أصبحت بعد أُفول نجم الإمارة المزيدية مدينة علمية أدبية بعد أن كانت زمن المزيديين عاصمة السياسة أو بالأحرى القرار السياسى. والمعروف أن أهالى الحلّة قد أفلحوا بواسطة الموفد العلمى الرفيع المستوى الذى وفد على هولاكو مع ثلّة من العلماء والأسر الرفيعة لإقناعه بعدم غزو الحلّة، وما حدث بعد غزو هولاكو بغداد إذ توجه أهالى الحلّة لنجدة أخوتهم فى العاصمة وإمدادهم بالمواد الغذائية ونهدوا الى شراء الكتب التى كانت معرضة للتدمير. فقدّم هؤلاء خدمةً علمية كبيرة وذلک

---

١. أنظر تاريخ ابن النجار (مخطوط فى المجمع العلمى العراقى، ورقة ١٣٤ ب).

٢. ابن الدبيثى: المصدر السابق، ورقة ١٩٤ (ب).

٣. ابن أبى عذيبة: إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون (مخطوط فى المجمع العلمى العراقى) ورقة ١٥٠.

٤. روضات الجنات فى أصول العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، قم، ج٢، ص٢٧٠.

بحفاظهم على التراث الإسلامى وبإخضاع هذه الكتب الى البحث والدرس الأمر الذى ساعد على تطوير مدرسة الحلّة العلمية والفقهية وإرساء دعائم المذهب الإمامى سوية مع أختها المدينة الأساس فى علوم الإمامية ومركز الإشعاع الحوزوى مدينة الإمام على٧ النجف الأشرف.

فقد ذكر مؤرخو الرجال والمؤرخون أسماء وإسهامات عدد كثير من المفكرين والفقهاء والعلماء الذين أنجبتهم الحلّة الفيحاء. ولعله من المناسب ذكره على بن نصر بن هارون المطهر الملقب بأبى الحسن. وكان أديباً وسمع الحديث وحفظ القرآن[١]. ومحمد بن عبد اللطيف بن التعاويذى[٢]. وأبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن الكال. ووصف ابن الكال هذا نخبة من المؤرخين على أنه شيخ فاضل نشأ بالحلّة ورحل الى بغداد فقرأ القرآن بالقراءات على عدد من العلماء[٣]. ومحمد بن معد بن على بن رافع العلوى الذى سكن بغداد وروى الحديث فيها[٤].

ولم تقتصر مشاركة الحلّة على الناحية الأدبية بل أنها أنجبت أيضاً طائفة من الفقهاء

---

١. ابن الدبيثى: المصدر السابق، ورقة ١٩۴ (ب).

٢. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة، المنسوب لابن الفوطى، (بغداد) ص١٧٨.

٣. ابن الساعى: الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، (بغداد، ١٩٣۴م)، ج٩، ص٧٢؛ ابن الدبيثى: المصدر السابق، ورقة ١٢۴ (ب).

۴. ابن الدبيثى: المصدر السابق، ورقة ١٥٢.

والعلماء المشهورين أخصّ بالذكر منهم يحيى بن الحسن بن الحسين بن على الأسدى الذى برع فى الفقه على المذهب الإمامى، وقد قرأ عليه فى بغداد أصول الفقه والكلام كل من الحمصى والرازى[1]. وجمال الدين بن أبى القاسم عبد الله بن على الحسينى الحلّى ولد سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م[2]، والحسين بن عقيل بن سنان الخفاجى الأصولى الذى يعتبر من العلماء المتبحرين[3].قال عنه السيد الأمينى أنه من فقهاء الإمامية له كتاب يقع فى عشرين مجلد عنوانه: (المنجى من الضلال فى الحرام والحلال) وتوفى سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م. والحسين بن هدّاب بن محمد بن ثابت المقرئ الضرير الملقب بالنورى نسبةً الى قرية النورية من قرى الحلّة. قال عنه ابن الدبيثى أنه كان عارفاً بفقه الشافعى فاهماً بالنحو واللغة حافظاً لدواوين كثير من شعراء العرب[4]. وكذلک العالم الجامعانى المتوفى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م[5]، والفقيه الشيخ سديد الدين الحمصى الرازى[6]، وفقيه الحلّة أبو عبد الله محمد بن إدريس المتوفى سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م وصفه الخوانسارى بالشيخ فخر الدين مؤسس الحوزة العلمية فى الحلّة[7]،

---

١. مخطوطة إنسان العيون، ورقة ١٤٦.

٢. هادى كمال الدين: فقهاء الحلة (بغداد ١٩٦٢) ص٦٨.

٣. ن.م.

٤. ابن الدبيثى: ورقة ١٦٦ أ ـ ١٦٧ ب.

٥. فقهاء الحلة، ص٩١؛ الأمين، محمد الحسينى العاملى: أعيان الشيعة، طبعة أولى، دمشق ـ ١٩٤٦م، ج٢٦، ص٣٨٠.

٦. ن.م.

٧. فقهاء الحلة، ص٨٦؛ الخوانسارى: روضات، ج٦، ص٢٧٨.

والعلماء والفقهاء من عائلة آل طاووس المشهورة. ويجدر ذكره أن السيد مجد الدين محمد آل طاووس كان مع الوفد الحلّى الذى قابل هولاكو وأقنعه بعدم مهاجمة الحلّة[1]. وقد أخذ أفراد هذه العائلة العلوية على عاتقهم النهضة العلمية فى الحلّة فى القرن السابع الهجرى/الرابع عشر للميلاد بعد أفول الإمارة المزيدية.

وخير ما يعكس أزدهار الحركة الأدبية والعلمية خلال هذه الفترات الرواية التى أوردها ابن الفوطى، إذ يذكر فيها الغزو المغولى لبغداد وما جلب من محن ومصائب على هذه المدينة إذ أضطربت أوضاعها الداخلية وأرتبكت أحوالها الإقتصادية فندرت المواد الغذائية وأنتشرت الأمراض وكثر الموتى. وفى هذا الوقت كان أهالى الحلّة يأتون بالأطعمة والمواد الغذائية الى بغداد ويشترون بدلها الكتب النفيسة وأشياء أخرى[2].

وأنجبت المدينة الأديب العلامة أبا الحسن على بن الحسن بن عنتر صاحب التصانيف المتوفى سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م. يقول الغسانى كان يحفظ شيئاً كثيراً من اللغة والأصول والعربية وله الشعر والنظم الجيد[3]. وهناك أبو النجم بدران بن صدقة بن منصور بن دبيس المزيدى الملقب بتاج الملوک وكان من فصحاء الشعراء وتوفى فى مصر سنة

---

١. ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٣٨٢؛ ابن عنبة: عمدة الطالب، ص١٩٠؛ محبوبة: ماضى النجف وحاضرها، ج١، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

٢. الحوادث الجامعة، ص٣٣١.

٣. المسجد المسبوک، ج١، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.

٦٣٠هـ/١٢٣٢م[١]. ومن بين العوائل الحلّية التى خدمت العلم عائلة آل نما الحلّى التى شهر منها أبو البقاء هبة الله بن نما الحلّى الذى يبدو أنه عاصر الأمير صدقة بن منصور وهو مؤلف المناقب المزيدية وابنه إسماعيل بن محمد وكان فقيهاً سمع منه الحافظ الذهبى ومحمد بن على بن رافع العلوى[٢]، والحسن بن أحمد بن محمد بن جعفر بن هبة الله المعروف فى الفقه ونجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله المتوفى ٦٤٥هـ/١٢٤٧م ويعدّ شيخ فقهاء الإمامية[٣]، والمحقق الحلّى نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفى ٦٧٦هـ وكان فقيهاً أسس فى الحلّة بيوتاً للدرس[٤]، وأنجبت الحلّة الفقيه الهروى الحائرى أبو الحسن المتوفى سنة ٥٧٣هـ/١٠٨٠م[٥]، وأبو الفضل بن الحسين الأحدب المتوفى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[٦]. والسيد حمزة بن على من عائلة زهرة المعروفة إذ أنجبت عدداً من العلماء والفقهاء. وتوفى أبو المكارم حمزة سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ووصفه الخوانسارى والمجلسى بأنه كان عالماً فاضلاً متكلماً[٧].

---

١. الغسانى: المسجد، ج١، ص٤٥٥.

٢. آل ياسين، د. محمد مفيد: الحياة الفكرية، ص٢٠٩.

٣. الخوانسارى: روضات، ص٥٧٦.

٤. ن.م.

٥. آغا بزرک: طبقات أعلام الشيعة فى القرن السادس المعروف الثقات العيون فى سادس القرون، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٨٧.

٦. ن.م. ص٧.

٧. روضات: ج٢، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦؛ المجلسى: بحار الأنوار، ج١٠٧، ص٧٩.

(١)

شجرة نسب بني شيبان[1]

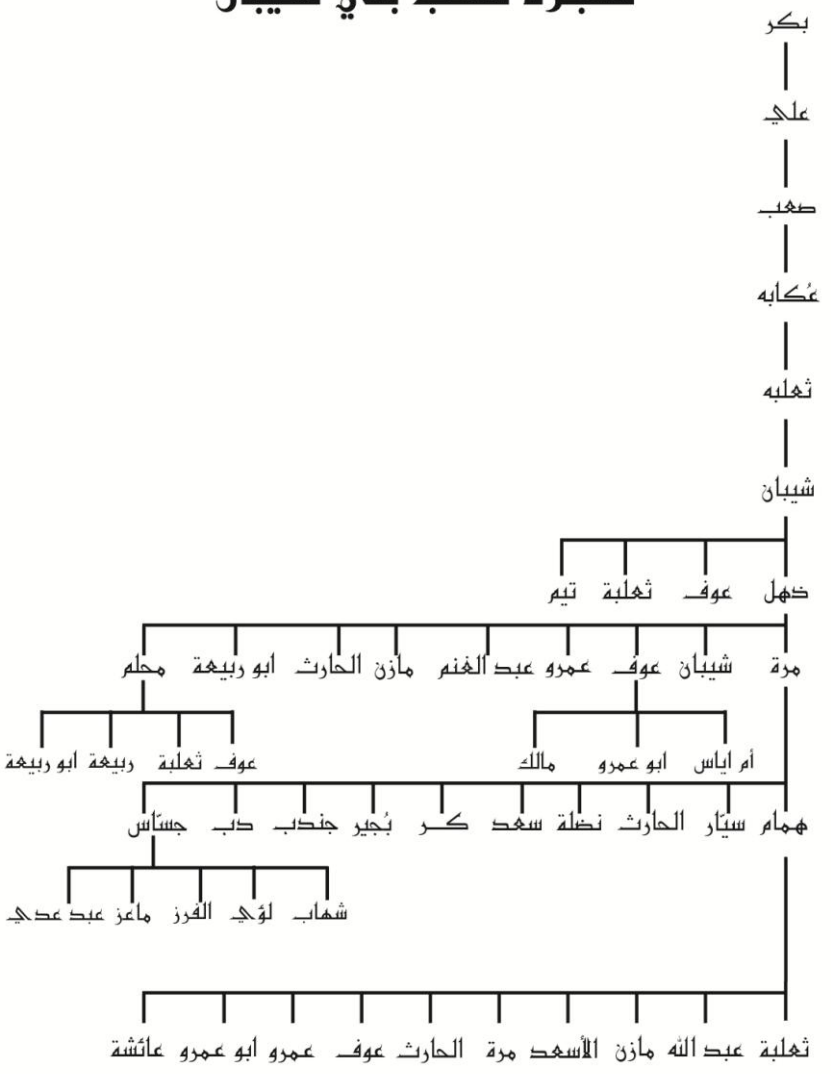

(١)ينظر ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص٣٠٧-٣٢٧

(٢)

شجرة نسب بني نمير بن عامر بن صعصعة[1]

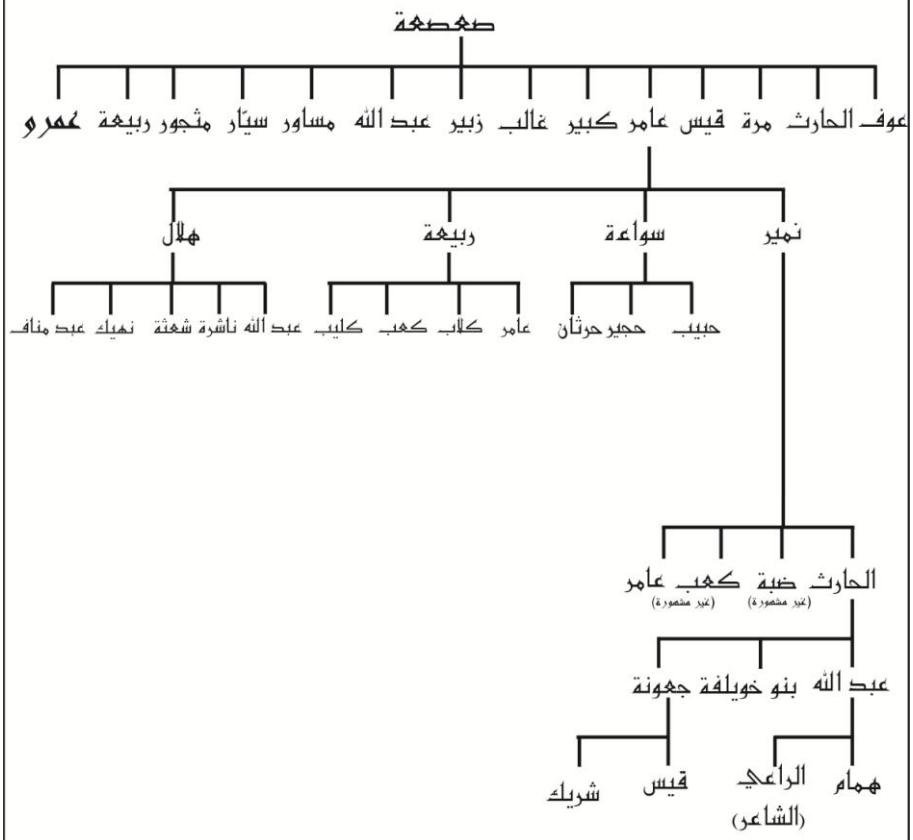

(١) ينظر ابن حزم ص ٢٧١-٢٧٩

(٣)

شجرة نسب بني عقيل

المصدر الرئيس للشـــجرة هو مخطوط الانســـاب لابـــن الكلبي (من ورقـــة١٣١ ب - ١٣٥ ب)
وكذلك جمهرة انساب العرب لابن حزم (من صفحة٢٩٠-٢٩١) وقد رمزنا الى الكتاب بحرف (ج).

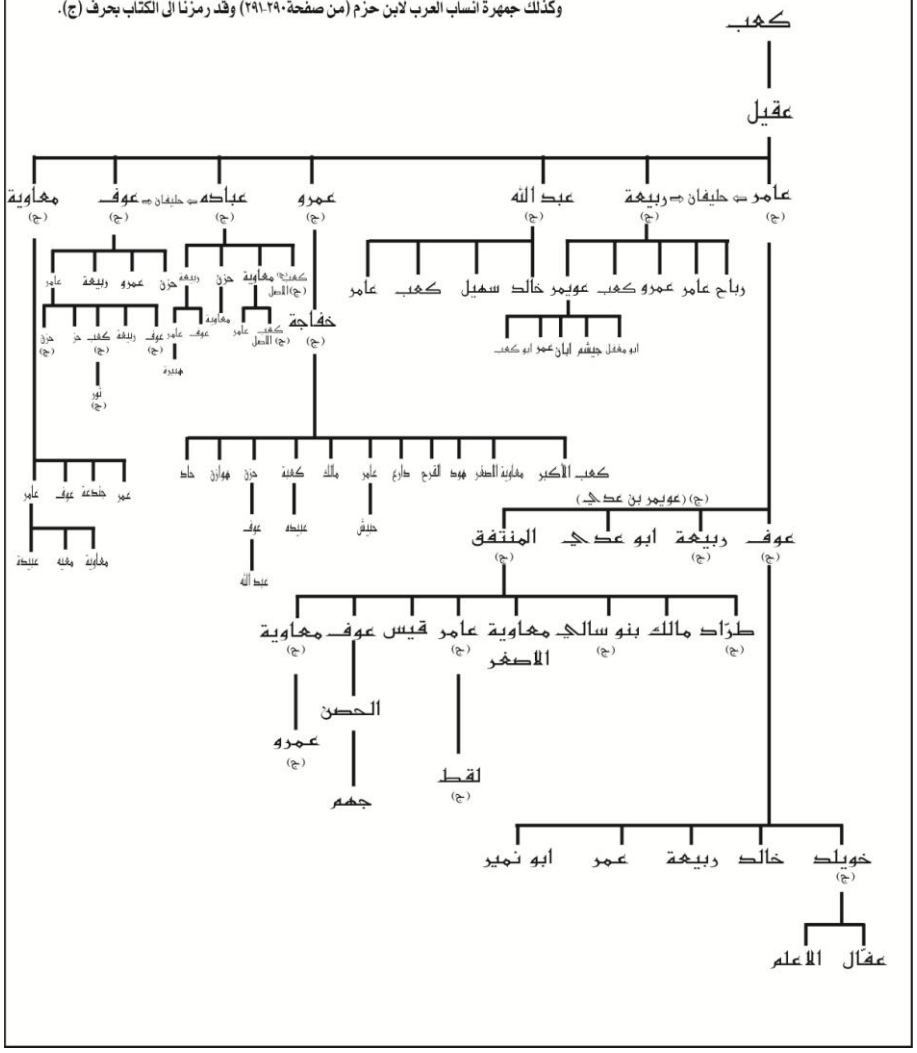

(٤)

شجرة نسب بني عبس[1]

عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان

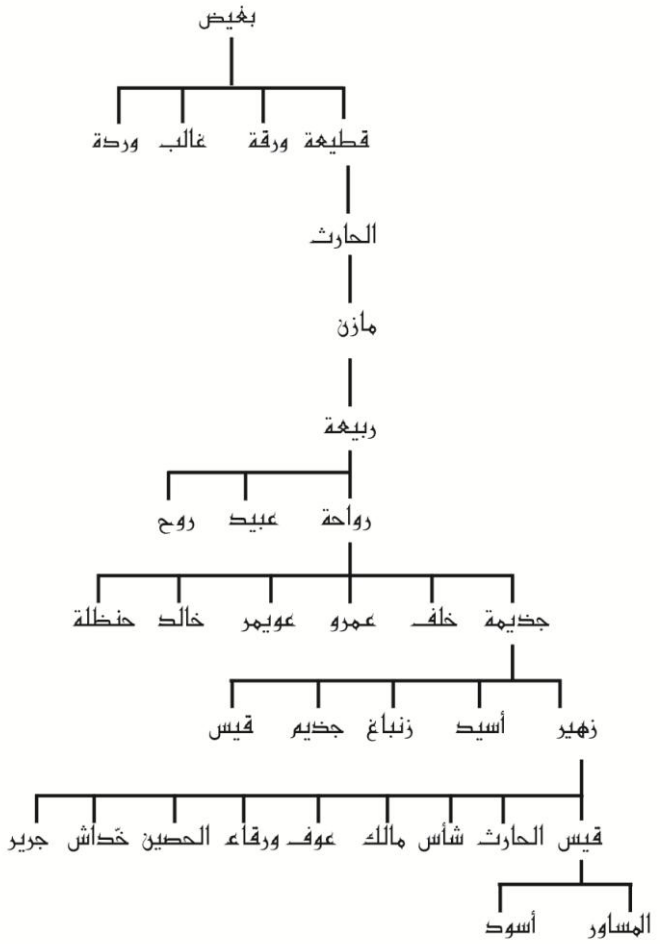

(١) ينظر ابن حزم ص ٢٥٠-٢٥١

(٥)

شجرة نسب بني أسد[1]

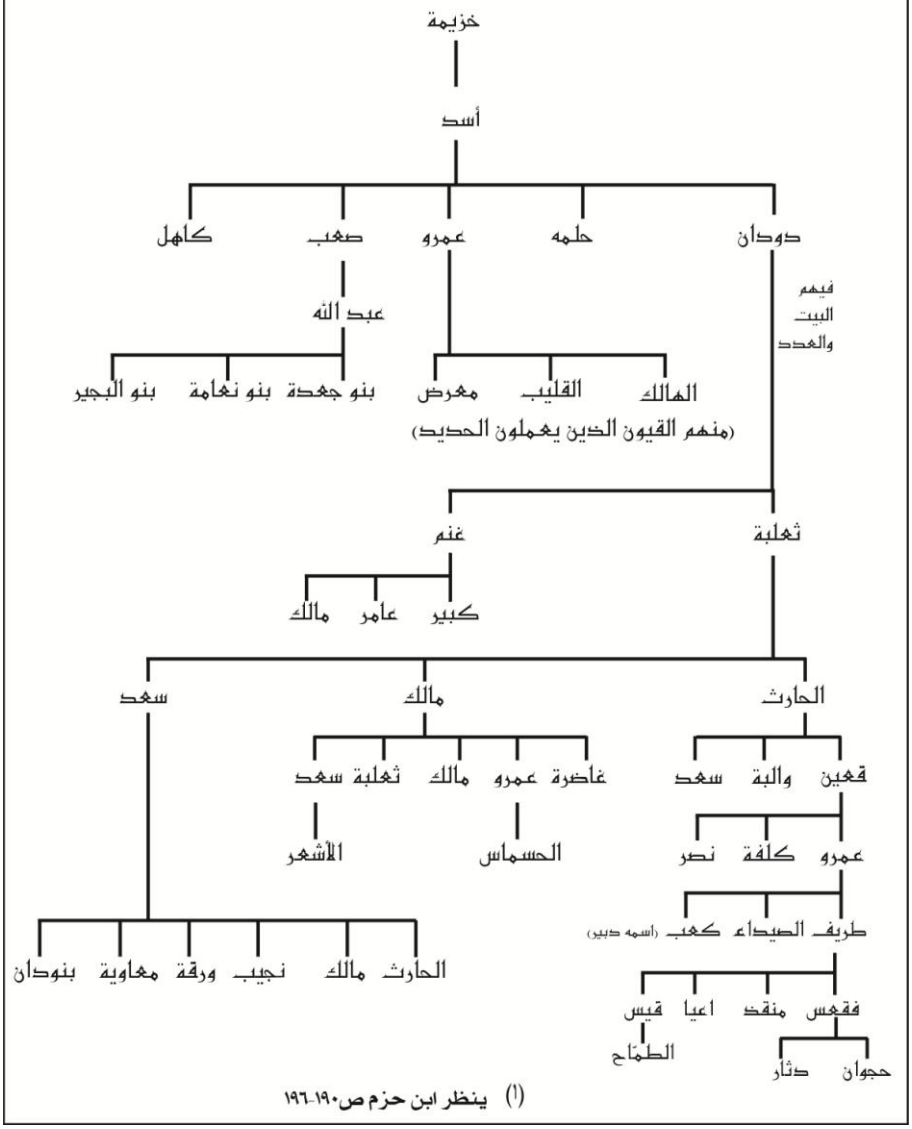

(١) ينظر ابن حزم ص١٩٠-١٩٦

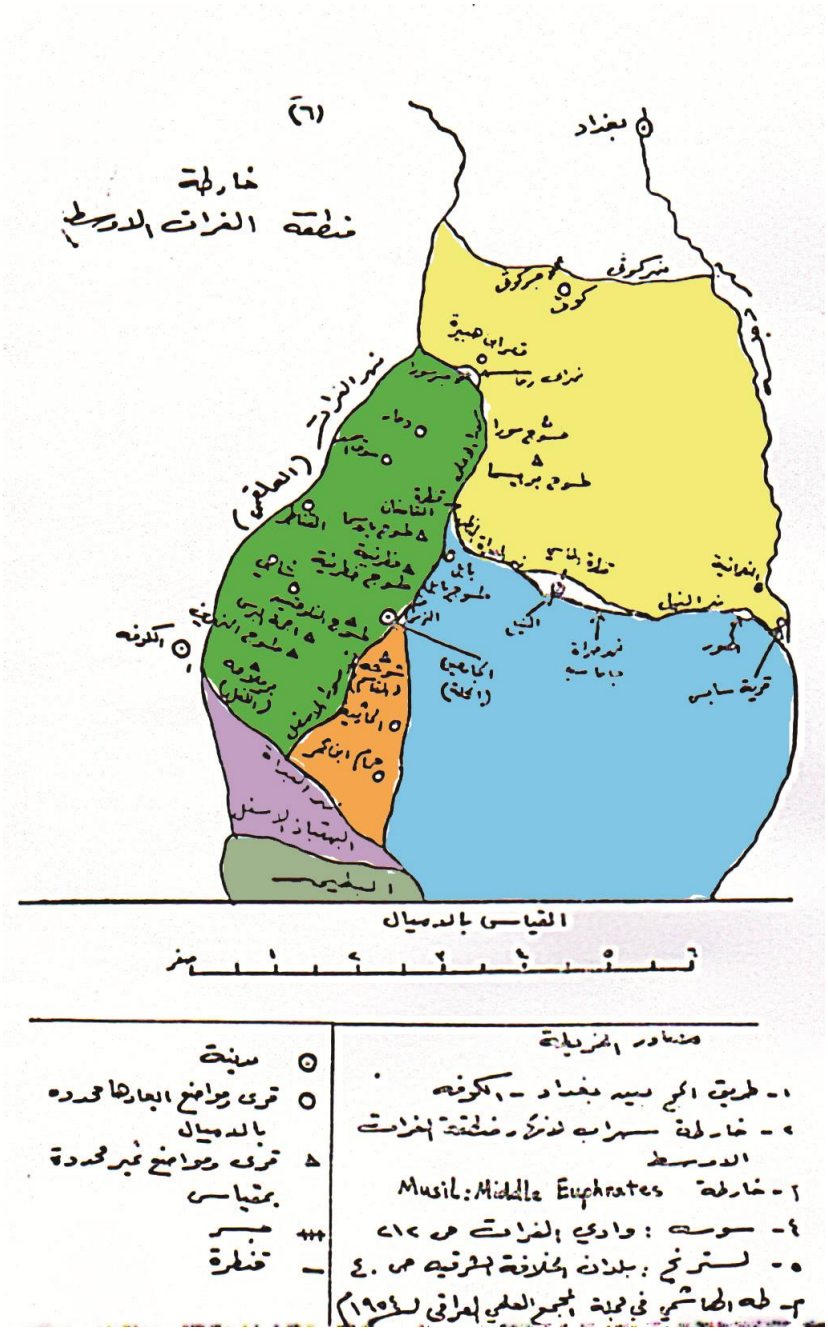
(٦)
خارطة
منطقة الفرات الاوسط
بغداد
كركوك
نهر الزاب (الاعلى)
الكوفة
الفلوجة
الكاظمية (الحلة)
الكوت
الديوانية
قرية سابس
القياس بالدميال
مصادر الخريطة
١- طريق الحج بين بغداد - الكوفة
٢- خارطة سرداب نوزاد - منطقة الفرات الاوسط
٣- خارطة Musil: Middle Euphrates
٤- سوسه : وادي الفرات ص ٢١٧
٥- لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠
٦- طه الهاشمي في مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٥٦
مدينة
قرى وجوامع ابعادها محدده بالدميال
قرى وجوامع غير محددة بمقياس
جسر
قنطرة

المصادر

١ـ المخطوطات

٢ـ المصادر المُحقّقة والمنشورة

٣ـ الكتب الحديثة والأبحاث العربية

٤ـ الكتب والمقالات الأجنبية

المخطوطات

أبو البقاء: هبة الله بن نمّا بن على بن حمدون الحلّى الربعى (ت بعد ٥٢٠هـ/١١٢٥م)، المناقب المزيدية فى الملوک الأسدية، المتحف البريطانى، رقم ٢٣٢٩٦ .or.

الغسانى: الملک الأشرف (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)، المسجد المسبوک فى سيرة الخلفاء والملوک (مصورة فى المجمع العلمى العراقى)، وقد حقق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الجزء الثانى من المسجد بعنوان: (المسجد المسبوک والجوهر المحكوک فى طبقات الخلفاء والملوک) ويبدأ الجزء المُحقق من أخبار خلافة الناصر لدين الله سنة ٥٧٥هـ ولغاية سنة ٦٥٦هـ .

الذهبى: شمس الدين (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام، المتحف البريطانى or. ٤٨, ٤٩ ـ٥٢ .

العظيمى: محمّد بن على، تاريخ العظيمى (بايزيد، أسطنبول) رقم ٣٩٨.

الغزّى: إبراهيم بن عثمان بن محمّد الكلبى (ت٥٢٤هـ/١١٢٩م)، ديوان الغزّى بقلم محمّد السماوى، مكتبة سيد محسن الحكيم، النجف الأشرف، رقم٢٧٢.

سبط بن الجوزى: أبو المظفر (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان، المتحف البريطانى or. ٤٦١٩. وكذلک توجد نسخة ممتازة فى أسطنبول، مكتبة أحمد الثالث، رقم ٢٩٠٧C، حققت الأستاذة جنان الهموانى الجزء الخاص بالعصر البويهى ونشرته، وحقق الأستاذ على سويم الجزء الخاص بسنوات من العصر السلجوقى من ١٠٥٦ـ١٠٨٦ (أنقرةـ١٩٦٧م).

الصفدی: صلاح الدین (ت۷۶۴هـ/۱۳۶۲م)، الوافی بالوفیات، نسخة مصورة فی المکتبة المرکزیة فی بغداد، رقم ۳۲۷۴۱. وکذلک نسخة أسطنبول أحمد الثالث No.A/۲۹۲۰/۲۱.

الفارقی ابن الأزرق: أحمد بن یوسف (ت۵۹۰هـ/۱۱۹۳م)، مخطوطة قطعة من تاریخ میافارقین، فی المتحف البریطانی، رقم or. ۶,۳۱۰.

القفطی: جمال الدین (ت۶۴۶هـ/۱۲۴۸م)، المحمّدون من الشعراء، نسخة مصورة فی کلیة الآداب فی بغداد، رقم۹۰۸۴.

الکلبی: هشام بن محمّد (ت۲۰۴هـ/۸۱۹م)، الأنساب، سکوریال/ثانی۱۶۹۸. ونسخة المتحف البریطانی/أول۱۲۰۲.

لغدة: مخطوطة فی ذکر أماکن القبائل فی الجزیرة العربیة، نسخة محمود الآلوسی، مکتبة الأوقاف، رقم۶۲۱۶.

مخطوطة تاریخ دولة عباسیة، لمؤلف مجهول، أسطنبول ـ بایزید، رقم۲۳۶۰.

المصادر المُحقّقة والمنشورة

ابن الأثير: أبو الحسن على بن الكرم محمد بن عبد الكريم الجزرى (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل فى التاريخ، ١٢جزء، دار الطباعة، القاهرة، ١٢٩٠هـ.

التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣م.

اللباب فى تهذيب الأنساب، ٣ أجزء، ط مكتبة القدسى، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

الأبرص: عبيد بن الأبرص بن حنتم (ت٥٥٥م)، ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيروت، دار صادر، ١٩٥٨م.

الأبيوردى: أبو المظفر محمد بن أحمد القرشى الأموى المعاوى (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)، ديوان الأبيوردى، المطبعة العثمانية فى لبنان، ١٣١٧هـ.

أخوان الصفا وخلان الوفا: الرسائل، ٤ مجلدات، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.

الأزدى: محمد بن أحمد، حكاية أبو جاسم. تحقيق: Mez (١٩٠٢م).

الأصبهانى: عماد الدين (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق)، تحقيق: بهجت الأثرى وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٥٥م.

وقسم شعراء الشام، تحقيق: شكرى فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩م.
الأصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعروف بالكرخى (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالک الممالک، نشر دى غويه، بريل ـ ليدن، ١٩٢٧م.
الأصفهانى: أبو الفرج (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، الأغانى، دار الكتب المصرية بالقاهرة من ١٩٢٧ـ١٩٦١م.
الأصفهانى: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء، ١٠ أجزاء، مكتبة الخانجى ومطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٨م.
ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبى العباس أحمد بن قاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٥٦م.
ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، ١٩٦٠م.
البكرى: أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥ـ١٩٥١م.
البلاذرى: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، نشر دى غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٦٦م.
أنساب الأشراف، ج١، تحقيق: محمد حميد الله، مصر، ١٩٥٩م.
أنساب الأشراف، ج٥، تحقيق: كويتين، القدس، ١٩٣٦م. وقد أُعيد تحقيقه وطبعه من: د. سهيل زكّار.

البنداری: الفتح بن علی بن محمد الأصفهانی (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، تاریخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات بمصر، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.

بنیامین: بنیامین بن یونه التُطیلی النباری الأندلسی (ت٥٦١ـ٥٦٩هـ/١١٦٥ـ١١٧٣م)، الرحلة، ترجمة: عزرا حداد، ط ١، المطبعة الشرقیة ـ بغداد، ١٩٤٥م، والترجمة الإنکلیزیة تحت عنوان: The Itinerary of Benjamin (tr. By Ashar).

ابن تغری بردی: جمال الدین أبی المحاسن یوسف (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، النجوم الزاهرة فی ملوک مصر والقاهرة، ١٢ جزء، ط١، دار الکتب المصریة، القاهرة، ١٩٢٩م.

التنوخی: أبو علی المحسن بن علی بن محمد بن أبی الفهم (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، جامع التواریخ المسمی بکتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاکرة، ج١، أعتناء مرغلیوث، ط أمین هندیة بمصر، ج٨، ط المفید، دمشق ١٩٣٠م.

الفرج بعد الشدة، جزءان، ط١، مکتبة الخانجی، دار الطباعة المحمدیة، القاهرة، ١٩٥٥م.

التوحیدی: أبو حیّان (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، الإمتاع والمؤانسة، ٣ أجزاء، صححه أحمد أمین وأحمد الزین، مطبعة لجنة التألیف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.

الثعالبی: أبو منصور عبد الملک بن محمد بن إسماعیل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، لطائف المعارف، تحقیق: إبراهیم الأبیاری وحسن کامل، إحیاء الکتب العربیة، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

خاص الخواص، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٨٠٩م.

ثمار القلوب، القاهرة، ١٩٠٨م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البیان والتبیین، ٤ أجزاء، تحقیق: عبد

السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.
الحيوان، ٧ أجزاء، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، مطبعة الحلبى بمصر، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.
الدلائل والأعتبار فى الخلق والتدبير، حلب، ١٩٢٨م.
ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد جبير الكنانى الأندلسى (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحلة، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.
الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م)، الوزراء والكتّاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط١، مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده، القاهرة، ١٩٣٨م.
ابن الجواليقى: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن البغدادى (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦١هـ .
ابن الجوزى: أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم فى تاريخ الملوک والأمم، ٥ أجزاء، ط١، مطبعة دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ وقد حققت الأجزاء العشرة كاملةً.
الجوهرى: إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربى بمصر، ١٣٧٧هـ .
حاجى خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطينى (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مجلدان، صححه: محمد شرف الدين بالنقايا، طبع بعناية وكالة المعارف فى المطبعة البهية، ١٩٤١م.

حدود العالم: لمؤلف مجهول، تحقيق: V. Minorsky، لندن، ١٩٣٧م.

الحريرى: القاسم بن على بن محمد بن عثمان البصرى الحريرى (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)، مقامات الحريرى، باريس، ١٨٤٧م.

ابن حزم: على بن محمد (ت٤٥٦هـ/١١٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

الحسينى: على بن ناصر بن على (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمد أقبال، لاهور، ١٩٢٣م.

الحسينى: تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م)، غاية الأختصار فى البيوتات العلوية المحفوظة من الضاد، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢م.

الحسينى: أحمد بن عميد الدين على الحسينى النجفى النسابة، بحر الأنساب المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، تحقيق: السيد حسين محمد الرفاعى الحنفى الشافعى.

الحلبى: محمد بن راغب بن محمود بن هاشم الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ أجزاء، ط١، المطبعة العلمية فى حلب، ١٩٢٥م.

الحلّى: الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلّى (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، رجال العلامة الحلّى، صححه: محمد صادق بحر العلوم، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف،١٩٦١م.

حمزة الأصفهانى: (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، تاريخ سنى ملوک الأرض والأنبياء، لا يبزج، ١٨٤٤م.

الحموى: أبو الغفايل محمد بن على بن عبد العزيز بن على (ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، التاريخ المنصورى فى تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، نشره: بطرس غريار نيويج، موسكو، ١٩٦٠م.

ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، فى قسمين، نشر دى غويه، ط٢، ليدن ـ بريل، ١٩٣٨م. المسالک والممالک، ليدن، بريل، ١٨٧٢م.

ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفى فى حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالک والممالک، نشر دى غويه، ليدن ـ بريل، ١٨٨٩م.

الخطيب البغدادى: أبو بكر أحمد بن على (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ جزء، مكتبة الخانجى، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣١م.

ابن خلدون: عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، ٧ أجزاء، دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر، ١٩٥٩ ـ ١٩٦١م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبى بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٦ أجزاء، حققه: محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٤٨م.

الخوارزمى: حمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب أبو عبد الله (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، صححته: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة الشرق بمصر، ١٣٤٢هـ.

الخوانساری: محمد باقر الموسوی الخوانساری (ت۱۱۵۸هـ/۱۷۴۵م)، روضات الجنات فی أحوال العلماء والسادات، ط۲، طهران، ۱۳۶۷هـ .

ابن دحیّة: أبو الخطاب عمر بن حسن بن علی المعروف بذی النسبین دحیّة (ت۶۳۳هـ/۱۲۳۵م)، النبراس فی تاریخ خلفاء بنی العباس، تحقیق: عباس الغراوی، بغداد، ۱۹۴۶م.

ابن الدبیثی: محمد سعید بن محمد (ت۶۳۷هـ/۱۲۳۹م)، المختصر المحتاج إلیه من تاریخ الحافظ أبی عبد الله، تحقیق: مصطفی جواد، مطبعة المعارف، بغداد، ۱۳۷۱هـ/۱۹۵۱م.

ابن درید: أبو بکر محمد بن الحسن (ت۳۲۱هـ/۹۳۳م)، الإشتقاق، تحقیق: عبد السلام هارون، المطبعة المحمدیة بمصر، ۱۹۵۸م.

الدمشقی: أبو الفضل جعفر بن علی، الإشارة الی محاسن التجارة ومعرفة جید الأعراض ورديها وغشوش المدلسین، مطبعة المؤید، ۱۳۱۸هـ .

الدیلمی: أبو الحسن مهیار الدیلمی، دیوان، ۴ أجزاء، ط۱، مطبعة دار الکتب المصریة، القاهرة، ۱۳۴۴هـ/۱۹۲۵م.

الدینوری: أبو حنیفة أحمد بن داود (ت۲۸۲هـ/۸۹۵م)، الأخبار الطوال، نشر کراتشوفسکی، بریل ـ لیدن، ۱۹۱۲م. النبات، نشره لوین، لیدن، ۱۹۵۳م.

الذهبی: شمس الدین أبی عبد الله (ت۷۴۸هـ/۱۳۴۷م)، دول الإسلام، جزءان، ط۲، مطبعة دار المعارف العثمانیة بحیدر آباد، ۱۳۶۴ـ۱۳۶۵هـ .

العبر فی خبر من غبر، ج۳، تحقیق: فؤاد سید،کویت، ۱۹۶۱، و ج۴، تحقیق: صلاح الدین المنجد، کویت، ۱۹۶۳م.

المشتبه فى الرجال أسمائهم وأنسابهم، جزءان، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.
ابن رسته: أبو على أحمد بن عمر (كان حياً فى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الأعلاق النفيسة، نشر دى غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٩١م.
الروذراورى: أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراورى (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ذيل تجارب الأمم، أعتناء مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية، ١٩١٦م.
الزبيدى: محب الدين ابن الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٠ أجزاء، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.
الزمخشرى: جار الله أبى القاسم محمود بن عمر (ت٥٢٨ـ٥٣٨هـ/١١٣٣ـ١١٤٣م)، الفايق فى غريب الحديث، ٣ أجزاء، صححه: على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م. الجبال والأمكنة والمياه، بريل ـ ليدن، ١٨٥٥م.
ابن الساعى: على بن أنجب بن عثمان بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الرحيم البغدادى (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م.
سبط ابن الجوزى: شمس الدين أبى المظفر بن قزاو غلى التركى (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٩٥١ـ١٩٥٢م.

ابن سهراب: عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة، أعتنى به هانس فون فريک، مطبعة هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م.
السمعانى: أبو سعيد عبد الكريم بن أبى بكر محمد بن عبد أبى المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجبار التميمى (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)، الأنساب، طبع مرغليوث، سلسلة جب التذكارية، ليدن، ١٩١٢م.
السويدى: أبو الفوز محمد أمين البغدادى (ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)، سبائک الذهب فى معرفة قبائل العرب، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة،١٩٥٩م.
الشابشتى: على بن محمد أبو الحسن (ت٣٨٨ـ٣٩٠هـ/٩٩٨ـ٩٩٩م)، الديارات، حققه: كوركيس عواد، مطبعة المعارف ـ بغداد، ١٩٥١م.
ابن شاكر الكتبى: محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥١م.
أبو شامة المقدسى: شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن (ت٦٦٥هـ/١٢٧٦م)، الروضتين فى أخبار الدولتين، جزءان، مطبعة وادى النيل بمصر، القاهرة، ١٢٨٧هـ .
ابن الشحنة: عبد الله بن محمد (ت٨١٥هـ/١٤١٢م)، روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر، هامش على كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير، دار الطباعة، القاهرة، ١٢٩٠هـ .
الشريشى: أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، شرح مقامات الحريرى،٤ أجزاء، نشره: عبد المنعم الخفاجى، ط١، ١٩٥٣م.

الشيبانى: أبو عبد الله محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ/٨٠٤م)، الجامع الكبير، ط١، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٦هـ.

شيخ الربوة: شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أبى طالب الدمشقى (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ط١، المطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، مدينة بطرسبورغ، ١٨٦٥م.

الصابى: أبو الحسن الهلال بن المحسّن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

الصفدى: صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبک (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافى بالوفيات، الأول تحقيق: هلموت ريتر، فيسبادان، ١٩٦٢م، والثانى تحقيق: ديدرنيغ، وزارة المعارف، ١٩٤٩م.

الصولى: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس البغدادى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أدب الكُتّاب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوک، ٣ مجلدات، نشر دى غويه، ليدن، ١٨٧٩م. وطبعة محمد أبو الفضل إبراهيم.

ابن الطقطقى: محمد بن على بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٠م)، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

الطوسى: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، تهذيب الأحكام فى شرح المقنعة، ١٠ أجزاء، تحقيق: حسن الموسوى، نشره الشيخ على الأخوندى، ط٢، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٧٧ـ١٣٨٢هـ.

ابن عبد الحق: عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٠٨م)، مراصد الإطلاع، ٣ أجزاء، تحقيق: على

محمد البجاوى، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.
ابن عبد ربه الأندلسى: أبو عمر بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨ـ١٩٥٣م.
عبد الظاهر محى الدين: عبد الله عبد الظاهر بن نشوان السعدى المصرى (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور محى الدين بن عبد الظاهر، تحقيق: مراد كامل ومحمد على النجّار، ط ١، ١٩٦١م.
ابن العبرى: أبو الفرج غريغوريوس المالطى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت٢١١هـ/٨٢٦م)، نقائض جرير والفرزدق، ٣ أجزاء، بريل ـ ليدن، ١٩٠٨م.
ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، زبدة الحلب فى تاريخ حلب، حققه: سامى الدهان، دمشق، ١٩٥١م. وقد نُشر كتابه الآخر (بُغية الطلب).
عرّام: بن الأصبغ السلمى (القرن الثالث الهجرى)، جبال تهامة. فى نوادر المخطوطات، القاهرة، ١٩٥٤م.
عروضى: نظامى (ألف بين سنتى ٥٥١ـ٥٥٢هـ/١١٥٦ـ١١٥٧م)، جهار مقالة (المقالات الأربعة)، نقله: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، ط ١، القاهرة، ١٩٤٩م.
ابن العماد الحنبلى: أبو الفلاح عبد الحى (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، نشر مكتبة القدسى، ١٣٥٠هـ.
العمرى: أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلى العمرى الدمشقى الشافعى

(ت۷۴۹هـ/۱۳۴۸م)، مسالک الأبصار فی ممالک الأمصار، الجزء الأول فقط، تحقیق: أحمد زکی باشا، دار الکتب المصریة بالقاهرة، ۱۹۲۴م.

ابن عنبة: جمال الدین بن علی الحسینی (ت۸۲۸هـ/۱۴۲۴م)، عمدة الطالب فی أنساب آل أبی طالب، صححه: محمدحسن آل الطالقانی، ط۲، المطبعة الحیدریة، النجف، ۱۹۶۱م.

غرس النعمة: أبو الحسن (ت۴۸۰هـ/۱۰۸۷م)، الهفوات النادرة، تحقیق: الأشتر، دمشق، ۱۹۶۷م.

الفارقی: أحمد بن یوسف بن علی بن الأزرق (ت۶۷۴هـ/۱۲۷۵م)، تاریخ الفارقی، تحقیق: بدوی عبد اللطیف ومحمد شفیق غربال، الهیئة العامة لشؤون المطابع الأمیریة، القاهرة، ۱۹۵۹م.

أبو الفداء: عماد الدین أبو الفدا إسماعیل صاحب حماة (ت۷۳۲هـ/۱۳۳۱م)، المختصر فی أخبار البشر، مجلدان، بیروت، دار الکتاب اللبنانی.

تقویم البلدان، صححه: رینود والبارون ماک کوکی، دار الطباعة السلطانیة، باریس، ۱۸۴۰م.

ابن الفقیه الهمذانی: أبو بکر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقیه (ت۳۶۵هـ/۹۷۵م)، مختصر البلدان، نشر دی غویه، بریل ـ لیدن، ۱۳۰۲هـ.

الفیروز آبادی: مجد الدین (ت۸۱۷هـ/۱۴۱۴م)، القاموس المحیط، ۴ أجزاء، المکتبة التجاریة الکبری لصاحبها مصطفی محمد مؤسسة فن الطباعة.

ابن الفوطی: أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطی البغدادی (ت۷۲۳هـ/۱۳۲۳م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فی المائة السابعة (منسوب)، المکتبة العربیة، مطبعة الفرات، بغداد، ۱۳۵۱هـ.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، حققه: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠م.

عيون الأخبار، ٤ أجزاء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م.

المعانى الكبير فى أبيات العانى، مجلدان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، نبذة من كتاب الخراج، نشر دى غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٨٩م.

القرطبى: عريب بن سعد الكاتب (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)، صلة تاريخ الطبرى، بريل ـ ليدن، ١٨٩٧م.

القرمانى: أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقى (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)، أخبار الأول وآثار الدول، طبع محمد أمين فندى، مطبعة عباس التبريزى، ١٢٨٢هـ .

القزوينى: زكريا بن محمد بن محمد القزوينى (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

ابن قطلوبغا: أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، تاج التراجم فى طبقات الحنفية، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦٢م.

القفطى: جمال الدين ابن الحسن على بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزج، ١٩٠٣م.

ابن القلانسى: أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

القلقشندى: أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الإرب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.
قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، ط١، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م.
صبح الأعشى، ١٤ جزء، طبع الجزء الأول والثانى فى دار الكتب المصرية بالقاهرة سنتى ١٩٢٢م، ١٩٢٨م، بينما طبعت الأجزاء الباقية فى المطبعة الأميرية بالقاهرة بين سنة ١٩١٤ـ١٩١٨م. مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، كويت، ١٩٦٤م.
القمى: الفوائد الرضوية فى أحوال المذاهب الجعفرية، فارسى، ١٣٢٧هـ .
ابن القيسرانى: أبو الفضل محمد بن طاهر (ت٥٠٧هـ/١١٠٠م)، الأنساب المتفقة، نشر دى جونج، بريل ـ ليدن، ١٨٦٥م.
ابن كثير: عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية فى التاريخ، ١٤ جزء، ط١، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣٢م.
الكلينى: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازى (ت٣٢٨ـ٣٢٩هـ/٩٣٩ـ٩٤٠م)، الكافى، صححه: على أكبر الغفارى، طبع مكتبة الصدقة، طهران.
مارى بن سليمان: أخبار فطارقة كرسى المشرق، تحقيق: Gismondi، روما، ١٨٩٩م.
الماوردى: أبو الحسن على بن محمد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، مصطفى الحلبى، ١٩٦٠م.
المؤيد فى الدين: هبة الله موسى عمران الشيرازى (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، سيرة المؤيد فى الدين، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصرى، القاهرة، ١٩٤٩م.

ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصرى، القاهرة، ١٩٤٩م.

المستوفى القزوينى: حمد الله (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، نزهة القلوب، الترجمة الإنكليزية من G. Le Strange، ١٩١٩م.

المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٥ـ٣٤٦هـ/٩٥٦ـ٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، بريل ـ ليدن، ١٨٩٣م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٩ أجزاء، باريس، ١٨٦١ـ١٨٧٦م.

ابن مسكويه: أحمد بن محمد بن مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم، جزءان، أعتناء: امدروز، وترجمة: مرغليوث، مطبعة التمدن الصناعية المحمية، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

المقدسى: محمد بن أحمد ابن أبى بكر البناء المعروف بالبشارى (ت٣٨٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، نشر دى غويه، ط٢، بريل ـ ليدن، ١٩٠٦م.

المقريزى: تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة الملوك، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب،٢٠ جزء، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق.

نظام الملک: سياسة نامة، الترجمة الإنكليزية تحت عنوان: The Book of the Government or rulers for kings (tr. By Hubert Darke) London ١٩٦٠.

النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، نهاية الإرب فى فنون الأدب، القاهرة، ١٩٢٤م.

ابن الهبّارية: محمد بن محمد (ت٥٠٤هـ/١١١٠م)، الصادح والباغم، بغداد، ١٣٤٣هـ .
الهروى: أبو الحسن على بن أبى بكر (ت٦١١هـ/١٢١٥م)، الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣م.
الهمدانى: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود المعروف بابن حائک الهمدانى (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله بن بليهد النجدى، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٣م.
الهمدانى: محمد بن عبد الملک (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبرى، حققه: ألبرت يوسف كنعان، ط١، لبنان ـ بيروت، ١٩٥٩م.
ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٠٦م)، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ٣ أجزاء، نشر جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م.
ابن الوردى: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس المعرى الحلبى (ت٧٤٩ـ٧٥٠هـ/١٣٤٨ـ١٣٤٩م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نشر محمد بن عبد الواحد الطوبى، المطبعة العامرة الشرقية بمصر،١٣١٤هـ . تتمة المختصر فى أخبار البشر، جزءان، تم طبعها على ذمة جمعية المعارف فى عهد الخديوى إسماعيل.
ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغدادى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٦ أجزاء، نشر فستنفيلد، ليبزج، ١٨٦٦ـ١٨٧٠م.

معجم الأدباء، ٧ أجزاء، أعتناء مرغليوث، ط٢، ٢مطبعة هندية بالموسكى مصر، القاهرة، ١٩٢٣ـ١٩٣٠م. المشترک وصفاً والمفترق صقعاً، نشر فستنفيلد، كوتنجن، ١٨٤٦م.
اليعقوبى: أحمد بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، نشر دى غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٩١م. تاريخ، جزءان، نشر هوتسما، بريل ـ ليدن، ١٨٨٣م.
أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، عنيت بنشره المطبعة السلفية، ط٢، القاهرة، ١٣٥٢هـ .

الكتب الحديثة والأبحاث

إبراهيم شريف: الموقع الجغرافى للعراق، جزءان، مطبعة شفيق، بغداد.

إنستانس الكرملى: النقود العربية وعلم النميّات، المطبعة العصرية ـ القاهرة، ١٩٣٩م.

البراقى: السيد حسين السيد أحمد (ت١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة، حققه: محمد صادق بحر العلوم، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٠م.

جرجى زيدان: العرب قبل الإسلام، ط٣، ١٩٣٩م.

تاريخ التمدن الإسلامى، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٢م.

جعفر باقر آل محبوبة (ت١٣٧٧هـ): ماضى النجف وحاضرها، ٣ أجزاء، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م.

حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبل الغزو المغولى، مصر، ١٩٥٥م.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م.

حسن باشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، ١٩٥٧م.

حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم شريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسنين: عبد المنعم، سلاجقة إيران والعراق، القاهرة، المكتبة الفيضية، ١٩٥٩م.

الخفاجى: عبد المنعم، بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والإدارى، المنيرية، ١٩٥٢م.

الدورى: عبد العزيز، تاريخ العراق الإقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م.

زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، جزءان، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

زكى: أحمد أمين، تاريخ الإمارات الكردية، مصر، ١٩٤٨م.

سرور: جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس فى مصر، دار الفكر العربى، ١٩٦٠م.

سعداوى: نظير حسان، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى، القاهرة، ١٩٥٧م.

سوسة: أحمد، فى رى العراق نهر الفرات، بغداد، ١٩٤٥م.

الصدفى: رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، ٣ أجزاء، مطبعة الهلال بمصر، ١٩٠٧ـ١٩٠٨م.

عاشور: سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط١، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٦٣م.

عبد العزيز آل صاحب جواهر: آثار الشيعة الإمامية، ط١، المطبعة العلمية الإيرانية.

العلى: د. صالح أحمد، التنظيمات الإجتماعية فى القرن الأول الهجرى فى البصرة، بغداد، ١٩٥٣م.

محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٦٤م.

المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٦٤م.

منطقة الكوفة دراسة طوبوغرافية مستندة الى المصادر الأدبية.

غنيمة: يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، بغداد، ١٩٣٦م.

لسترنج: كى، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

ماسنيون: خطط الكوفة، ترجمة: تقى المصعبى، ط١، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٤٦م.
متز: آدم، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، جزءان، ترجمة: أبو ريدة، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.
الهاشمى: طه، مفصل جغرافية العراق، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد.
ولكوكس: جنة عدن الى عبور نهر الأردن، ترجمة: محمد الهاشمى، بغداد، ١٩٥٥م.

المجلات العربية المستعملة فى الكتاب

١ـ مجلة كلية الآداب، لسنة ١٩٦٢م.

٢ـ مجلة المجمع العلمى العراقى، لسنة ١٩٥٤م.

٣ـ مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق، كانون الثانى، لسنة ١٩٤٢م.

٤ـ مجلة المشرق، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، لسنة ١٩٥٦م.

٥ـ مجلة سومر، لسنة ١٩٥٨م، م٤.

٦ـ مجلة الأبحاث، دار الكتاب، بيروت، لبنان، كانون الثانى، السنة ١٤ لسنة ١٩٦١م.

٧ـ مجلة العرفان، أحمد عارف الزين، كانون الثانى، لسنة ١٩٦٠م، م٤٧.

الكتب الأجنبية

Arnold, T.W. The Caliphate. London ١٩٦٥.

Bosworth, C.E.

١ـ The Ghaznvids their Empire in Afghanistan and Eastern Iran. Edinburgh ١٩٦٣.

٢ـ The Islamic Dynasties, Edinburgh ١٩٦٧.

Barazi The geography of Agriculture in irrigated areas in the middle Euphrates valley, Baghdad ١٩٦١.

Brown, E.G. A literary history of Persia, ٤ vols.

Buringh

١ـ Soils and soil conditions in Iraq, Baghdad ١٩٦٠.

٢ـ Kifel drainge project, Baghdad ـ Soil survey report of the Hilla ١٩٦١.

Delaparte, Mesopotamia the Babylonian and Assyrian civilization, ١٩٢٥.

Encyclopaedia of Islam (old edition).

Encyclopaedia of Islam (new edition).

Fischel, W.J. Jews in the economic and political life of Medieval Islam. London ١٩٣٧.

Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem (Paris ١٩٣٤) ٣ vols.

Von Grunebaum, Medival Islam. ٢nd ed. Chicago ١٩٥٣.

Hinz, W. Islamische Masse und Gewichte. London ١٩٥٥. وقد تُرجم
الى اللغة العربية

Ionides The regime of the rivers Euphrates and Tigris. London ١٩٣٧.

Justi, F. Iranische Namenbuch (١٨٩٥).

Kabir, M. The Buwayhid Dynasty of Baghdad (Calcutta ١٩٦٤).

Karabacek, J. Beitrage zur geschichte der Mazjaditen (Leipzig ١٨٧٤).

Lambton A.K.S.
١ـ Contributions to the Study of Seljuq institutions. Unpudlished
Ph.D. Thesis ١٩٣٩.

٢ـ Landlord and peasant in Persia. London ١٩٥٣.

Lane ـ Poole, S. Mohammadan Dynasties. Paris ١٩٢٥.

Le ـ Strange, G. The lands of the Eastern Caliphate. Cambridge ١٩٣٠.

Levy, R. An introduction to the sociology of Islam (London ١٩٣٣) ٢ vols.

Lewis, B. The Arabs in History. London ١٩٦٦.

Musil, Alois, The Middle Euphrates. New York ١٩٢٧.

Obermeyer, J. Die Landschaft Babylonien, Frankfurt ١٩٢٩.

Pareja, F.M. Islamolagia, Beyrouth ١٩٥٧ ـ ١٩٦٣.

Rogers, R.W. A History of Babylonia and Assyria, New York ۱۹۱۵, ۲ vols.

Schawarz, P. Iran im mittelater nach den Arabischen geographen. Leipzig ۱۸۹۶.

Sprenger, A. Die Post ـund Reiserouten des Orients. Leipzig ۱۸۶۴.

Zambaur, E. Manuel de genealogie et de chronologie pour ۱’ historie de I’Islam. Hanovre ۱۹۲۷.

البحوث الأجنبية

Bosworth, E.C.

١ـ ‘Ghaznevid Military Organization’ in Der Islam, ١٩٦١.

٢ـ ‘The titulature of the early Ghaznavids’ in Oriens ١٩٦٢.

٣ـ ‘The political and dynastic history of the Iranian World’ in The Cambridge History of Iran, vol. ٥ pp. ١ـ ٢٠٢.

Cahen, C.

١ـ ‘The Turks in Iran and Antolia before the invasions’ in A History of the crusades, ed. By K.M. Setton vol. ٢.

٢ـ Quelques problemes economiques et fiscaux de I’Iraq Buyids’. in Annales de I’institut d’etudes Orientales ١٩٥٢.

Edward G. Browne ‘Account of a rare if not unique manuscript History of the Seljuqs’ in JRAS, ١٩٠٢.

Gibb, Sir Hamilton ‘Zengi and the fall of Edessa’ in A History of the Crusades, ed. By Setton.

Houtsma, M.Th. ‘Some remarks on the history of the Seljuqks’ in Acta Orientalia ١٩٢٥.

Lewis, B. ‘Government, society and economic life under the Abbasid and Fatimid’ in The Cambridge Medieval History, ۲nd ed. Vol. ۴, ۱۹۶۶.

ص: ۳۷۹

Makdisi, G. ‘Notes on Hilla and the Mazyadids in Medieval Islam’ in J. of the American Oriental Society ۱۹۵۴, pp. ۲۴۹ـ ۲۶۲.
Sayar, ‘The Empire of Seljukids’ in J. of Near Eastern Studies, vol. ۱۰.

ص: ۳۸۰